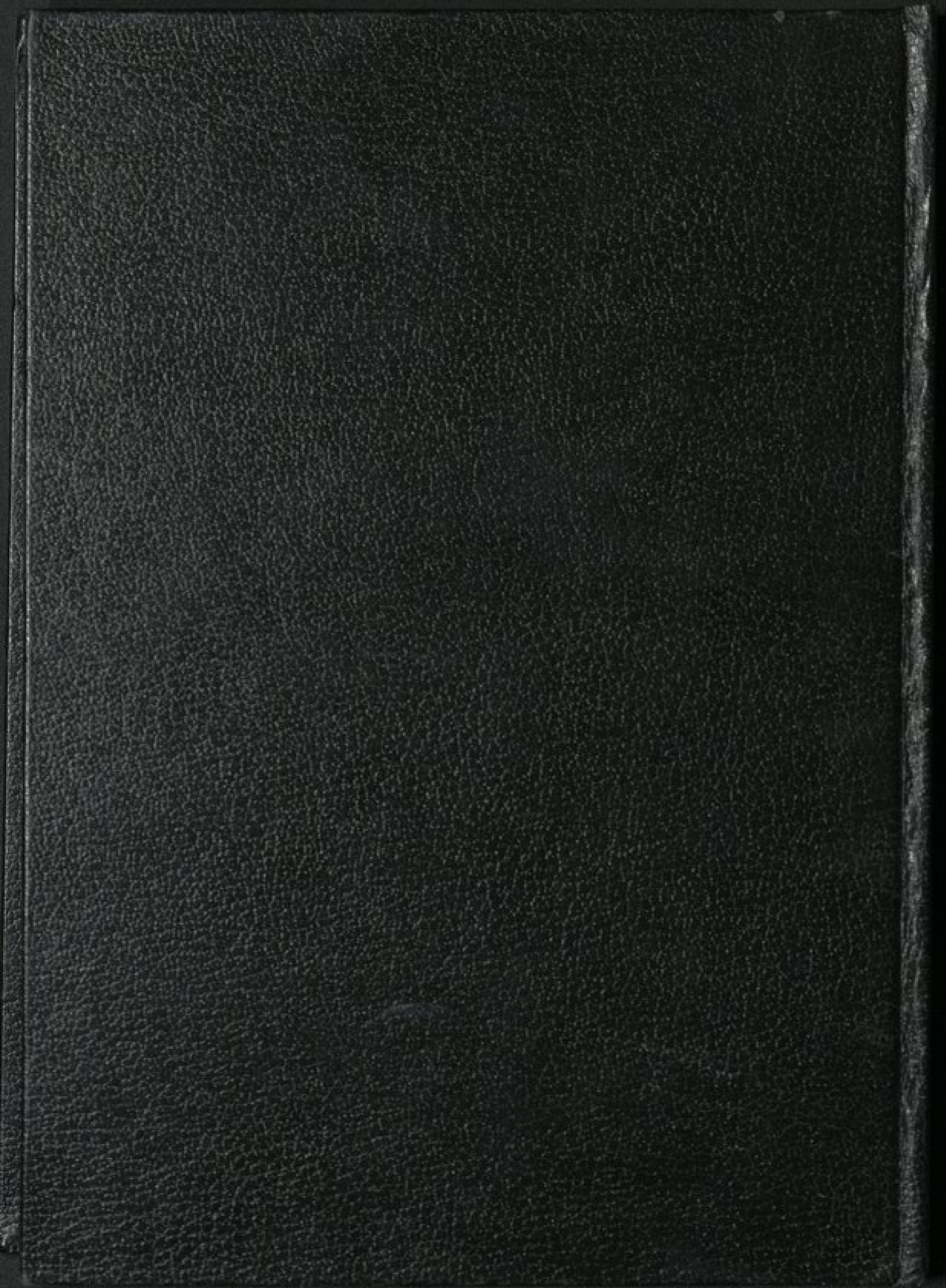
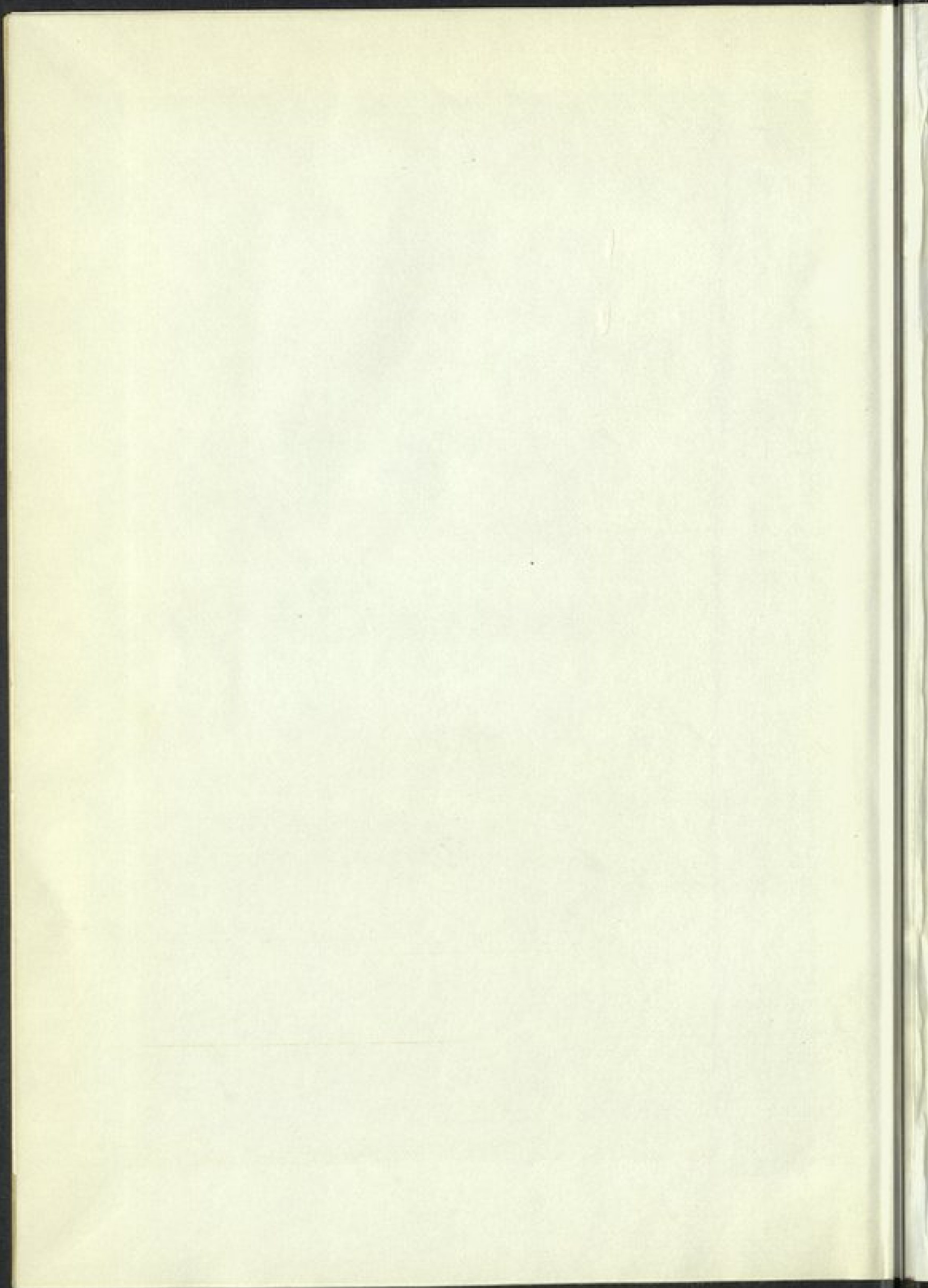
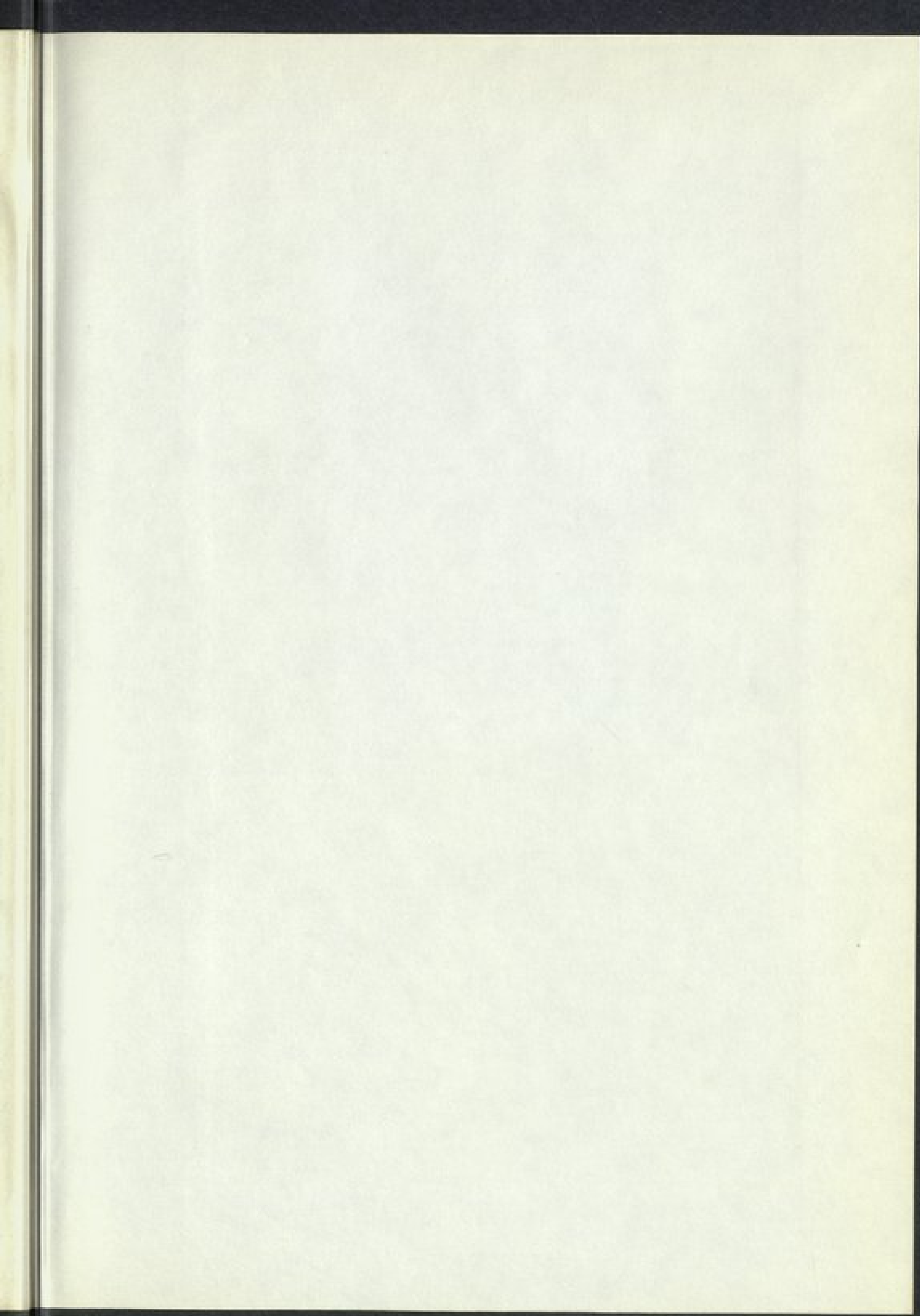
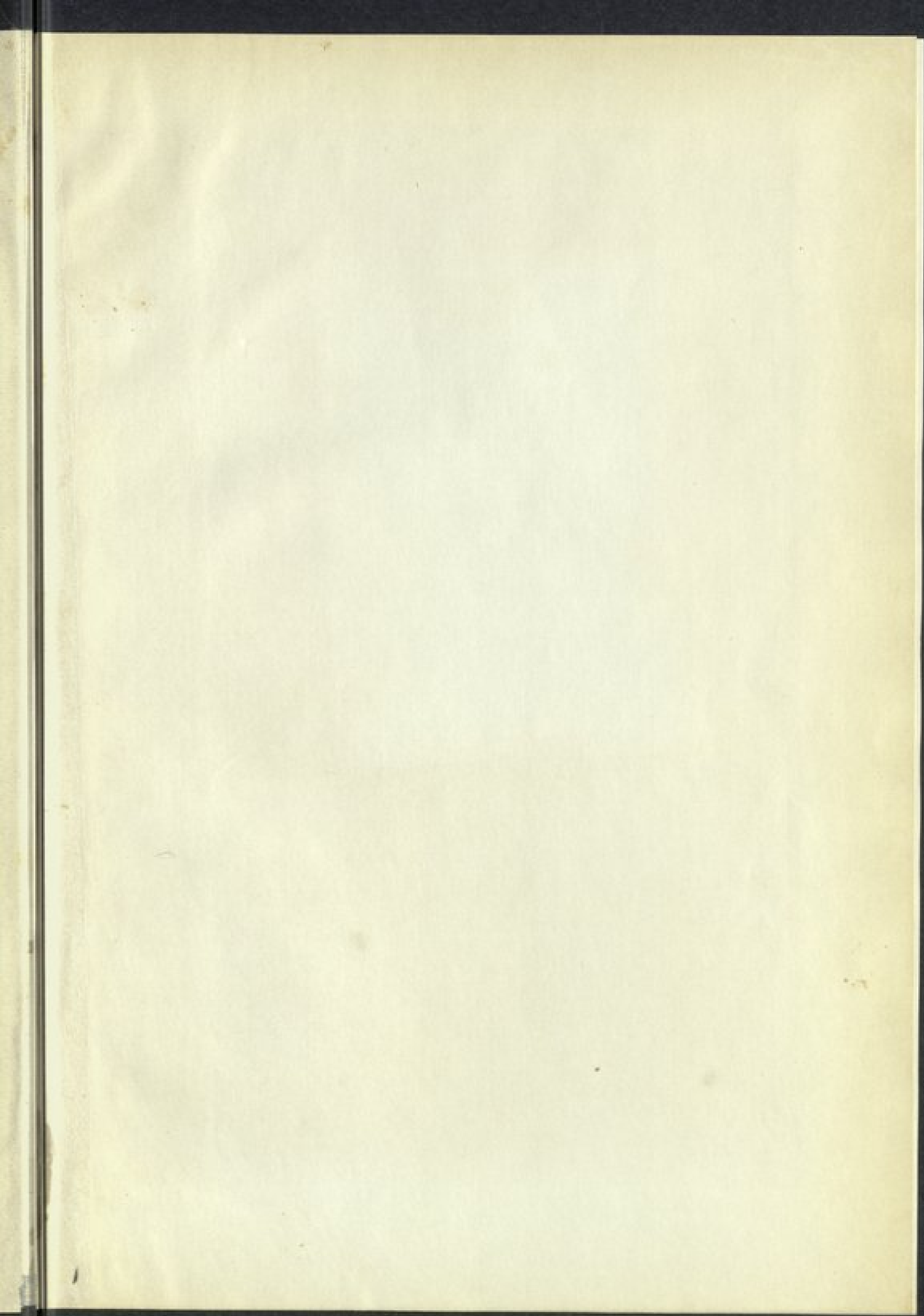
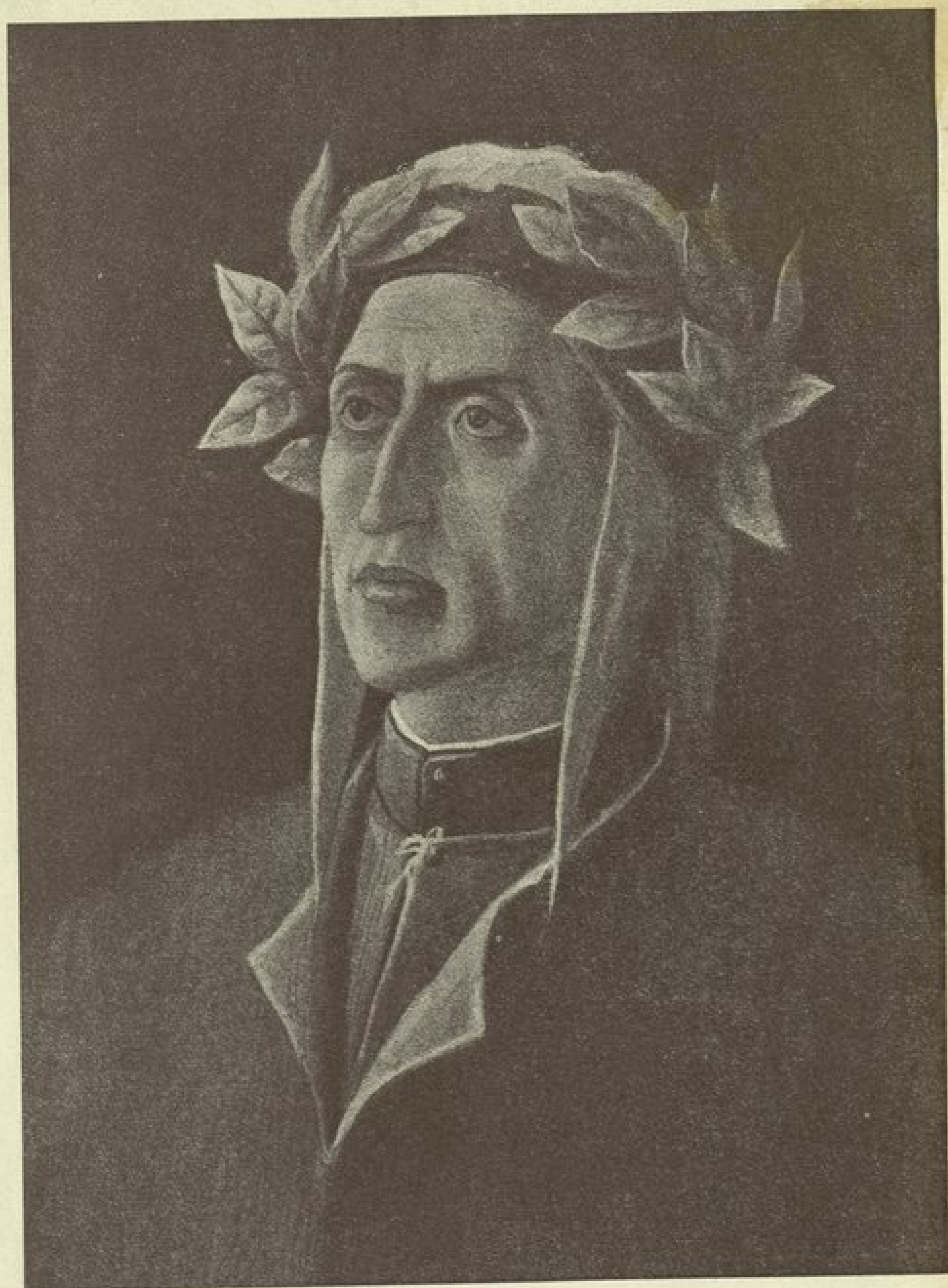



AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

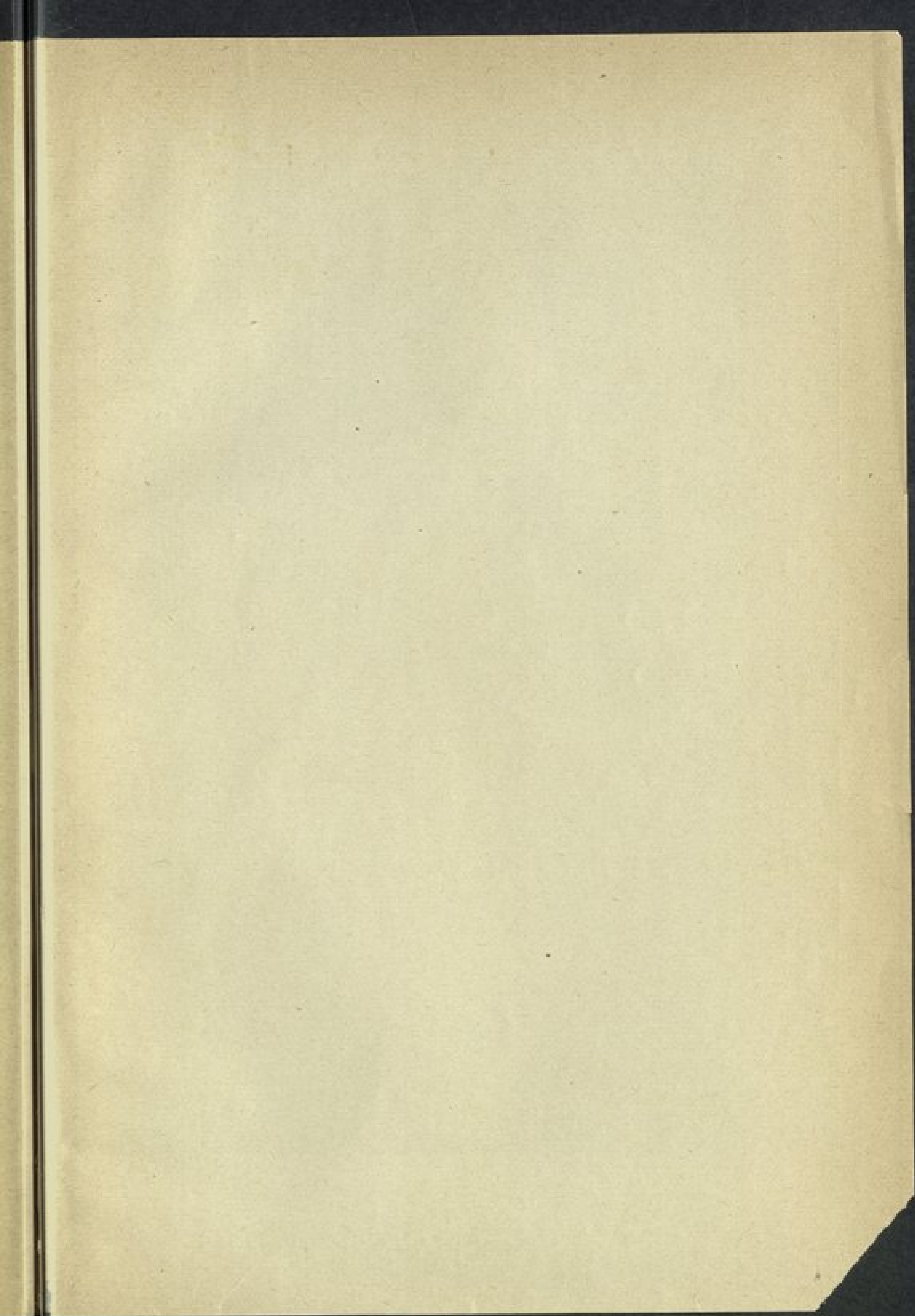








دانتي أليغيري



الرحلة الدانتية

في

الممالك الالهية

وهي

تعريب

لاديفينا كوميديا

للشاعر الايطالى دانتى اليغيرى

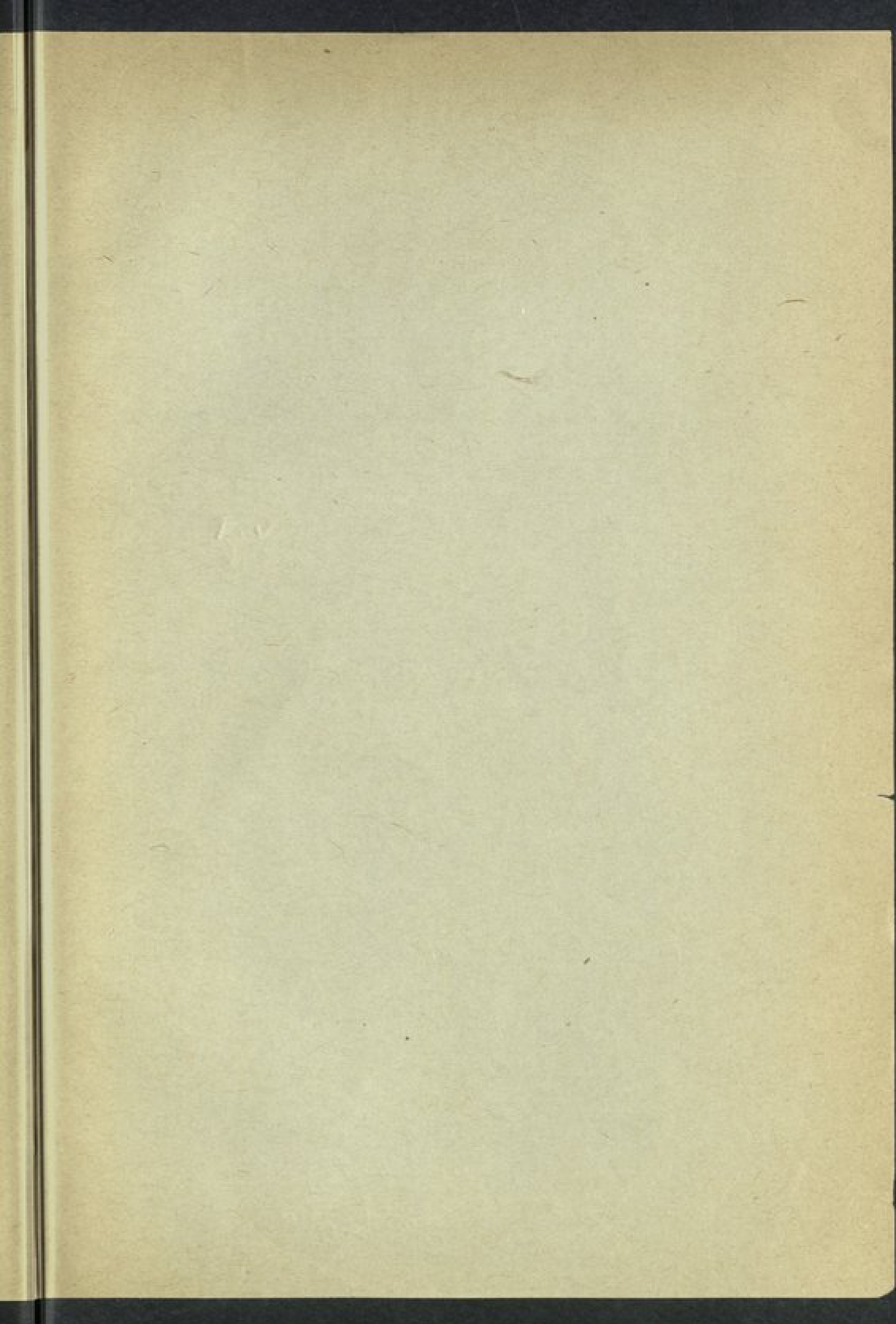
بقلم

الكوالير الاستاذ عبود ابي راشد

الجزء الاول

في

الجحيم





المقدمة

الحمد لمن علم الانسان ما لا يعلم. واعانه على فهم ما لا يفهم. اما بعد . فان الشاعر الايطالى «دانتى اليغيرى» (١) (Dante Alighieri) قد اشتهر فى العصور المتوسطة وما بعدها بمعجزته الشعرية «لاديفينا كوميديا» (La Divina Commedia) الاغنية الالهية. لكونها مبتكرة الوضع فريدة المعنى.

فهى عبارة عن رحلة تصور الشاعر انه عملها فى العالم الكائن ما وراء القبر . وقسمها الى ثلاث مراحل : جحيم، ومطهر، ونعيم.

تخيل انه لما بلغ الخامسة والثلاثين من العمر - اى قطع نصف طريق الحياة - ضل فى غابة قفرة . ولكى يخرج منها تحتم

---

(١) - دانتى اليغيرى ولد فى فيرنزه (Firenze) من اعمال توسكانا (ايطاليا) سنة ١٢٦٥ م. من عائلة شريفة. ومات فى رافنا (Ravenna) فى ١٤ ايلول (ستمبرى) سنة ١٣٢١ م. (راجع ترجمته فى «تحفة الجنان فى مختصر تاريخ الطليان» للمعرب)

عليه اجتياز الممالك الالهية الثلاث . وليس له سبيل اخر . فشرع حينئذ برحلته هذه التي دامت – حسب رأى شراحها – سبعة ايام بلياليها . اى يوم وليلة فى الجحيم . ويوم وليلة فى المرور من الجحيم الى المطهر . وثلاثة ايام بلياليها فى الصعود على جبل المطهر . ونصف يوم فى الفردوس الارضى . والباقى فى النعيم .

ففى الجحيم والمطهر ارشده الشاعر اللاتينى فيرجيليو (Virgilio) (١) وفى النعيم صحبته حبيبته بياتريشه (Beatrice) (٢)

---

(١) – فيرجيليو مارون بوبليو « امير الشعراء اللاتين» ولد فى قرية قريبة من منتوفا (Mantova) فى ١٠ تشرين الاول (اوتوبرى) سنة ٧٠ ق. م. تلقى العلوم فى كريمونا (Crem·na) وميلانو (Milano) وروما (Roma) . وقضى معظم حياته فى نابولى (Napoli) . نظم عدة منظومات غاية فى النفاسة واهمها المدعوة انيده (Eneide) قضى فى نظمها ١٢ سنة . كان ذا حظوة لدى الامراء ومكرما من الامبراطور الرومانى اغوسطس قيصر نفسه . توفى فى ٢١ ايلول (ستمبرى) سنة ١٩ ق. م. كانت دواوينه منتشرة كثيرا فى زمان دانتى فولع بمطالعتها ودرسها فاكتسب منها فوائد جزيلة لذلك اتخذه مرشدا له فى رحلته هذه الخيالية ممثلا به العقل المستقيم .

(٢) – بياتريشه – اسم المرأة التى هام دانتى بحبها وهما لم يتجاوزا العشرة من العمر . وهى ابنة فولكو بورتينارى . من عائلة شريفة من مدينة فيرنزه . ولدت سنة ١٢٦٦ م. وماتت سنة ١٢٩٠ م. فحفظ دانتى دائما حبها فى فؤاده وتألم كثيرا لموتها . وهذا الحب وذاك الالم ولدا فى مخيلة الشاعر افكارا جديدة مبتكرة حتى قال بعضهم ان الاغنية الالهية انما هى وليدة ذينك الحب والالم الشديدين فتمثل ببياتريشه فى هذه الرحلة السلطة الروحية وهى تصحبه الى المرحلة الاخيرة منها الا وهو النعيم .

اتفق شراح الاغنية الالهية على كونها ذات مغزيين ممتازين : الواحد خيالى ادبى . والاخر خيالى سياسي .

ففى المغزى الادبى يمثل دانتى الخاطئ فى الغابة قد ضل السبيل . لانه ابتعد عن نعمة الله . واصبح غير قادر على خلاص نفسه . فيحتاج الى العقل البشرى المستقيم الممثل بفيرجيليو . والمسترشد بالسلطة الروحية الممثلة ببياتريشه. فيرشد هذا العقل الخاطئ فى الجحيم. ليعتبر الرذائل البشرية . وفى المطهر. ليدرس الوسائط الاكثر تأثيرا لاصلاح الميول الشريرة . ثم تأتى السلطة الروحية. فترفع التائب الى النعيم حيث يعرف الفضائل السامية الفائقة الطبيعة. ويرى المكافأة المعدة لها. واخيراً يتأمل فى الاسرار الالهية.

اما المعنى السياسي الظاهر بكل جلاء فى هذه المنظومة . فيعبر ناظمها عنه باظهار يقينه . ان الممالك المختلفة التى كانت ايطاليا وقتئذ منقسمة اليهن . لم يكن بامكانهن المحافظة عن استقلالهن مالم يرأسهن امبراطور من حزب الاحرار . ولذلك يؤيد الضرورة اللازبة لنزع السلطة الزمنية من ايدى الاحبار العظام ـ الباباوات ـ . وتسليم زمامها الى امبراطور .

فيتخيل جحيما يضع فيه اولئك الحكام المستبدين. ورؤساء الاحزاب الهائجين. وذوى الاعمال والعوائد الفاسدة الذين كانوا يعيثون ايطاليا فساداً بمنازعاتهم الدائمة. وحروبهم الاهلية. وافعالهم الشريرة.

ويخترع مطهراً يحوى كافة اولئك الامراء ورجال الحكومة الذين وان لم يجلبوا الاضرار لايطاليا. فانهم لم يدافعوا عنها كما كان واجباً عليهم.

واخيراً يرينا نعيما يكافأ فيه جميع الذين بذلوا انفسهم لمنفعة الشعوب . ويضع فى وسطه عرشاً فى اعلاه تاج ليشير بذلك الى المكان المعد للامبراطور اريغو السابع دى لوسمبورج . الذى كان يعتقده قادراً على ان يعيد لايطاليا رونقها القديم .

هذه هى المواضيع التى ادخلها دانتى فى منظومته الالهية . مواضيع واسعة سامية مبتكرة . لم يتطرق اليها شاعر ولا ناثر. ثم يغتنم الفرصة فيتكلم عن العلوم المعروفة فى عصره .

وكان علماء ذلك الزمن فى اوربا عموما يستعملون اللغة اللاتينية فى كتاباتهم . والمظنون ان شاعرنا بدأ بها نظم معجزته هذه. بيد انه تركها ونظمها باللغة العامية ليسهل فهمها لعامة الشعب . وبذلك رفع شأن هذه اللغة الى منزلة سامية فى الاداب. فاصبحت فيما بعد المعول عليها لدى شعوب ايطاليا كلها . فلقبه المتأخرون

بالشاعر الالهى. وبانى اللغة. ولقبوا اللغة به فدعوها لغة دانتى.

قلت ان اجزاء الاغنية الالهية ثلاثة: جحيم ومطهر ونعيم. فالجزء الاول مؤلف من ٣٤ نشيداً وكل من الثانى والثالث ٣٣ نشيداً: ومجموع الاناشيد كلها مئة نشيد. وقد نظمها الشاعر وهو فى منفاه وذلك فى اواخر الجيل الثالث عشر. فالجحيم والمطهر نشرا فى سنة ١٣١٨. وبعد موت الشاعر. يقال: انه ترأى لابنه يعقوب فى الحلم واراه المكان الذى كان وضع فيه النعيم. فاخذه يعقوب ونشره. وما انتشرت الاغنية بكاملها حتى تداولتها الايدى وكان لها اقبال عظيم واعجاب مدهش لدى الخاصة والعامة. فتعددت طبعاتها وبلغت المئات. وشرحها شراح عديدون. وترجمت الى لغات شتى.

قرأت منظومة دانتى هذه لاول مرة وانا على مقاعد المدرسة الملكية الايطالية بمدينة بيروت. حاضرة لبنان واستظهرت منها ابياتا لا بل اناشيد. ولم اك وقتئذ مقتدراً على فهم مغزاها بل كنت ورفقائى الطلبة نتعلمها ونرددها متغنين بها من دون ان نقف على موضوعاتها. وغب مرور اعوام طويلة امتزجت فى اثنائها بالامة الايطالية الناهضة امتزاجا قويا حتى اصبحت واحداً منها. فولعت باداب لغتها العذبة ودرست ظواهرها وغوامضها والفت

فيها ودرستها سنوات عديدة. وكثيراً ما ترجمت منها واليها. وطالعت مؤلفات ادباء الايطاليان المجيدين. ومنظومات شعرائهم المفلقين. واخيرا مالت نفسي الى دراسة اغنية دانتي درساً عميقاً. فقرأت اولا متنها ثم ما كتبه شراحها ومفسروها. فدهشت من سمو عقل ناظمها. واستعظمت موضوعاتها. وطابت نفسي بما فيها من العظات للبشر على مختلف الطبقات والنزعات. واستفدت من تعاليمها الدينية. وحوادثها التاريخية. ودروسها الادبية. واقوالها الفلسفية. واستعبرت ما يرى في طيات ابياتها من الارشادات السياسية. والحكم السامية. والعبر المؤثرة.

كل ذلك يحمل القارئ على اعتبار دانتي في مقدمة شعراء العالم وعلى مشاركة ابناء جنسه في تعظيمه واجلاله وموافقة مادحيه وناشري الوية الثناء على منظومته هذه نخص منهم بالذكر الكاتب العالم الانكليزي الشهير توما كارليل (١) الذي تفتخر به انكلترا بعد شكسبير. فمن قوله:

« ان دانتي لعظيم اديبا واعظم من الجميع وجدير بان يدعى مقدم الكل. وان أوربا اتت عدة اشياء جميلة ، فشيدت مدنا عظيمه ، واسست ممالك واسعة الاطراف والسلطان . ونظمت دوائر معارف واستنبطت طرائق وعوائد وآراء ومع ذلك فقد عملت شيئا قليل الفائدة بالنسبة لما انتجته فكرة دانتي في منظومته الالهية» .

---

(١) — كارليل (Carlyle) كاتب ومؤرخ شهير ولد في انكلترا سنة ١٧٩٥ ومات ١٨٨١.

وحيث كانت اللغة العربية خالية للآن - كما اعلم - من ترجمة لهذه المنظومة الفريدة . اقدمت على سد هذا الفراغ . وانا عالم بعجزى . ومقر بقصورى . ولكنى اجتهدت ما استطعت فى نقلها الى اخوانى الناطقين بالضاد نثراً لا نظما . ودعوتها «الرحلة الدانتية فى الممالك الالهية» وتسهيلا للفهم قدمت كل نشيد منها بتوطئة لخصت فيها فحواه . وعلقت عليها حواشى شرحت فيها ما ورد من اسماء اشخاص وبلدان. ثم رأيت من الحكمة والضرورة ان اضرب صفحاً عما جاء فيها عن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبى العربى القريشى مؤسس دين الاسلام حفاظاً عن شعور الامة المحمدية الكريمة . لا سيما وان هذا الحذف لا يقلل من اهمية الكتاب ولا يمس مواضيعه على الاطلاق .

فارجو ان يصادف عملى قبولا فيقدم نصراء الادب والشباب الناهض على مطالعة هذا السفر الغريب العجيب. ويرون حينئذ انى مهما اسهبت فى اطراء الشاعر الخالد. واظهار فضله وفضائله لم افه حقه .

والشكر لله فى بدء ونهاية كل عمل

درنه (برقه) ٢٥ لوليو ١٩٢٦

عبود ابى راشد

الجحيم

ان الجحيم دانتى هيئة مخروط . قاعدته على سطح الارض وذروته فى وسطها .

فعلى سطح الارض وقبل المشروع بالانحدار منه توجد غابة مظلمة قفرة . فيها يضل الشاعر السبيل .

ولهذا الجحيم تسع دوائر منقسمة الى ثلاثة صفوف كبيرة :

اولاً — المدخل. وهى دائرة تحوى اولئك الذين لم يرتكبوا الخطايا . غير انهم لم يعملوا الصالحات . ومنهم الذين ماتوا من دون ان يقتبلوا سر المعمودية .

ثانياً — مكان خارج القاع . وهو مركب من اربع دوائر . فيها اولئك الذين ارتكبوا الخطيئة بافراط .

ثالثاً — مكان داخل القاع . وهو يقسم الى اربع دوائر . فى احداها يعاقب الهراطقة . وفى الثلاث الاخرى يتعذب اولئك الذين ارتكبوا الذنوب بمكر وتوحش : وفى وسط القاع يقيم لوسيفاروس رئس الابالسة الذى حد نصف جسده موافق لوسط الارض .

(المعرب)

النشيد الاول

توطئة

مائل دانتى الحياة البشرية برحلة ولما بلغ نصفها استولى عليه سبات. فتاه فى غابة مظلمة قفرة. وسعى ليصعد على رابية شاهد نوراً فى قمتها . واذا بثلاثة وحوش ضارية : نمر واسد وذئبة وقفت امامه . ونظرت اليه شذراً. فارتعدت فرائصه خوفاً. وامتنع عن الصعود واعتزم العود الى الغابة .

فتراى له طيف محبوبه الشاعر فيرجيليو الذى خاطبه قائلا : ان امرأةً فى السماء. انفذتنى اليك لارشدك الى الخلاص فى سبيل آخر . حينئذ تشجع دانتى وسار مع مرشده .

اراد الشاعر هنا ان يمثل بالغابة : الرذائل البشرية. وبالنمر : الدعارة. وبالاسد الكبر. وبالذئبة: البخل. وبالشاعر فيرجيليو : العقل السليم والجودة والتعاليم الدينية. وبالمراءة التى هى حبيبته بياتريشه: السلطة الروحية. وبذروة الرابية : الحياة الفاضلة .

(المعرب)

النشـيد

دانتى يتيه فى غابة

فلما بلغت نصف طريق الحياة . ضللت الصراط المستقيم . فوجدت نفسى فى غابة حالكة يتعذر علىّ وصفها لكونها وحشة وقفرة وصعبة الاجتياز .

فبمجرد تفكرى فيها يعاودنى الخوف الذى شعرت به وقتما رأيتنى ضللت السبيل. وياله من خوف مؤلم قد يحاكى الموت.

انى سأتكلم عن الاشياء التى رأيتها فى هذه الرحلة . لاخبر بما حصل لى فيها من الخير. ولكنى لست اعرف ان اقص جيداً خبر دخولى تلك الغابة . لان سباتاً عميقاً استولى على فى الوقت الذى ضللت الصراط المستقيم . ولما وصلت الى سفح رابية كائنة فى آخر ذاك الوادى الذى ارعب فؤادى واخافنى خوفاً عظيماً رفعت عيني. فشاهدت قمة الرابية تنيرها الشمس منيرة طريق كل انسان. حينئذ ذهب عنى نوعاً الخوف الذى كان ارعب قلبي الليلة التى قضيتها بكل الم فى الغابة القفرة .

فكالغارق الذى بعد صراع عنيف . واضطراب نفس مخيف قدر ان يخرج من اليم ويتمسك بالشاطئ . فيدير طرفه برعب نحو المياه التى كادت تبتلعه. هكذا انا ـ وكنت مندفعاً للانهزام ـ التفت الى الوراء لاشاهد تلك الغابة الوحشة التى لم تدع ابداً شخصاً حياً يجتازها .

الوحوش الثلاثة

وبعد ان أخذت قليلاً من الراحة. استأنفت السير فى ذلك الحدود القفر صاعداً الهوينا. بحيث ان قدمى الثابتة كانت دائماً السفلى . ولما بدأت الصعود . ظهرلى نمر فتي سريع الحركة . مخطط الجلد. ولم يبرح من امامى. بل كان يحول دون صعودى. حتى انى كثيراً ما التفت الى الوراء لارجع على عقبي .

كان اول الصباح . والشمس تتصاعد مع تلك الكواكب التى كانت تحتاط بها حينما اراد الله ان يظهر محبته فخلق اولاً تلك الاجرام البديعة. ولهذا املنى كثيراً جلد ذلك الحيوان المختلف

الالوان الزاهيـة انى فى طـالع فجر ربيـع جميل . بيد ان املى هذا لم يطل . لانى ارتعبت حالاً من ظهور اسـد كان يلوح انه آت ضدى رافعاً رأسـه وهائجاً من شـدة الجوع حتى ان منظره يرعب الريح. ومن حضور ذئبة هزيلة هزالاً هائلاً كانت سببت الاماً شديدة لاناس عديدين . قد راعنى منظرها الى حد افقدنى الامل بالوصول الى قمة الرابية .

واذ رأيت ذلك الحيوان المفترس (الذئبة) اتياً نحوى. وكان يدفعنى رويداً رويداً الى الوراء ـ الى الغابة السـوداء ـ . حزنت كما يحزن البخيل الذى يفقد فى دقيقة واحدة كل ما كان حشده بتعب شديد .

ظهور فيرجيليو

بينما كدت اهلك فى الغابة السـفلى القفرة ظهر لى انسـان لحظت ان سكوت الموت الطويل قد انحله. وحينما رأيته فى تلك الخلوة المرعبة. صحت به: اشفق على اياً كنت طيفاً ام انساناً حياً .

فاجابنى : لست انساناً . ولكن انساناً كنت . وكان ابواى لومبرديين [١] وكلاهما من منتوفا [٢]. ولدت قبل وفاة يوليوس [٣] بسنوات قليلة. واقمت برومه فى عهد اغوسطس الصالح [٤] . وقت كانت تعبد الالهة الكذبة المنافقون. كنت شاعراً ونظمت قصيدة مدحت فيها ابن انكيزى [٥] . ذلك الابن المشفوق الذى قدم ايطاليا بعد ان احترقت مدينته ترويا (Troia) [٦] .

---

(١) – اى من مقاطعة لومبارديا (Lombardia) ايطاليا الشمالية عاصمتها ميلانو.

(٢) – منتوفا (Mantova) احدى مدن لومبارديا .

(٣) – ولد في رومه سنة ١٠٠ ق. م. وكان حاكما مطلقا فى عهد الجمهورية الرومانية . قتل بمكيدة سنة ٢٤ ق. م. (ترى اعماله مذكورة فى مختصر تاريخ ايطاليا للمعرب)

(٤) – اغوسطس قيصر . اول امبراطور رومانى . فى عهده ولد يسوع المسيح (عيسى بن مريم) فى بيت لحم من اعمال اورشليم (بيت المقدس) (كذلك اعماله منشورة فى التاريخ المشار اليه) .

(٥) – انيئا (Enea) امير ترويا. بعد ان احترقت مدينته تاه مع رفقاءه فى البحر زمانا طويلاً واخيراً نزل فى لازيو (Lazio) (ايطاليا). ومن ذريته اتى مؤسس المملكة الرومانية (ورد ذلك فى تحفة الجنان فى مختصر تاريخ الطليان للمعرب) .

(٦) – ترويا (Troia) مدينة قديمة فى اسيا الصغرى. عاصمة تروادة . حرقها اليونان بعد حصار دام عشر سنوات (١١٨٣-١١٩٣ ق. م.)

ولكن انت لماذا تعود الى الغابة الوحشة ؟

ولم لا تصعد على الجبل المبهج فانه بدء كل فرح وسببه ؟

فاجبته بكل خجل وتواضع : أأنت فيرجيليو ذلك الشاعر العظيم وتلك العين التى فاض منها نهر غزير من العلم ؟

فيا زينة الشعراء ونبراسهم . ان الزمان الطويل الذى قضيته فى دراسة منظومتك[1] بشغف يشفع بى لديك كى تتخذنى تحت حمايتك . فانت معلمى ومؤلفى المحبوب . منك وحدك تعلمت الانشاء الجميل الذى شرفنى كثيراً . انظر الى الحيوان الذى بسببه التفت لارجع. فساعدنى عليه . ايها الحكيم الشهير. فان منظره يرعب عروق السواكن والضوارب .

واذ رآنى اذرف الدموع اجابنى : ان شئت الخروج من هذا المكان القفر يجب عليك ان تتخذ سبيلاً آخر . لان هذا الوحش الذى تشكوه . لا يدع احداً يمر بطريقه. فيعترضه حتى يفتك به . لانه ضار وكاسر بهذا القدر حتى انه لا يشبع ابداً. بل يزداد جوعا غب ان يفترس طريدته .

(١) – انيده (Eneide) معجزة فيرجيليو الشعرية وقد مر بنا ذكرها .

انها لعديدة الحيوانات التى تجتمع لاذية الانسان ويزداد عددها الى ان ياتى فلترو (Feltro) (كلب الصيد)[١] فيؤلم هذا الوحش حتى يميته .

وان هذا الكلب لا يغتذى من الموجودات الارضية بل من الحكمة والمحبة والفضيلة. ووطنه سيكون بين مونتيفلترو (Montefeltro) وفلترو (Feltro) (ايطاليا العليا) . وهو سينقذ ايطاليا الوضيعة . التى من اجلها ماتت العذراء كاميلا واوريالو وتورنو ونيزو[٢] متأثرين من جراحاتهم فى الحرب . وسيطارد الذئبة من بلد الى اخر حتى يعيدها الى الجحيم الذى اخرجها منه حسد لوسيفودس[٣] ولذلك انى افكر فى خيرك . وارى من الضرورة ان تتبعنى . وانا آخذ بك من هنا وارشدك مجتازين مكاناً ابدياً تشاهد فيه تلك

---

(١) – يرمز الشاعر بكلب الصيد الى رجل عظيم ينتظره ليأتى العالم كى يصلحه من شوائبه وينظمه تنظيماً كاملاً .

(٢) – كاميلا : فتاة محربة ابنة متابو ملك الفولشيين .
وتورنو ابن داناو ملك الرتوليين قتلهما فى الحرب التروايانيون الذين نزلوا فى لازيو (ايطاليا) مع اميرهم اينيا . اما اوريالو ونيزو . فكانا شابين تروايانين قتلا ايضا فى الحرب نفسها .

(٣) – لوسيفودس : رئيس الابالسة سياتى بنا ذكره .

الارواح الهالكة . وتسمع استغاثاتهن اليائسة طالبات عبثاً موتاً ثانياً. وسوف تشاهد ايضاً اولئك الذين ـوان كانوا فى النار يتعذبون ـ فانهم لمسرورون حيث يأملون الذهاب يوما الى مقر الابرار الصالحين. وان شئت (فيما بعد) الصعود الى مقر هؤلاء . حينئذ اتركك بعد ان اسلمك الى روح اجدر به منى . لان سلطانه لا يشاء ان ادخل سلطنته بسبب عصيانى شرائعه[1] . فملكه ممتد فى كل مكان. وهو مقيم فى السماء حيث كرسي ملكوته وعرشه الاسمى. فطوبى لمن يدعوه اليه .

فاجبته : ايها الشاعر . اسالك بالله الذى لم تعرفه . ان تعيننى لافر من هذا الشر ومن شر اعظم . واضرع اليك ان ترشدنى الى حيث قلت الان . لان نفسى تتوق الى رؤية باب القديس بطرس[2] (السماء) واولئك الذين ذكرت عنهم انهم يتألمون . (فى الجحيم وفى المطهر). حينئذ تحرك هو وانا تبعته .

---

(١) – لان فيرجيليو كان وثنيا كما سبقت الاشارة الى ذلك فى احدى حواشي المقدمة

(٢) – القديس بطرس خليفة السيد المسيح على الارض وقد سلمه سيده مفاتيح السماء . ولذلك بقوله باب القديس بطرس يعنى السماء .

النشيد الثاني

توطئة

استنجد دانتى بآلهة الشعر ليأتوا لمعونته. ولكنه ارتاب بمقدرته على القيام بالرحلة التى اقترحها عليه فيرجيليو حينئذ اعلمه فيرجيلو بمن ارسله لانقاذه. فعزم دانتى على السير معه من دون ان يفكر فى شئ آخر.

(المعرب)

النشيد

ارتياب دانتي

كان النهار يمضى والظلام يحمل الكائنات الحية على الاستراحة وكنت وحدى فقط استعد لسفر شاق. ولتقوية قلبي لزيارة الهالكين ولاصف ما عانى اشاهده وصفاً حقيقياً.

فيا الهة الشعر . ساعدونى الان بقرائحكم السامية . و يا ذهنى اظهر مقدرتك فى وصف ما عسى ان اراه ! فاخذت اقول: ايها الشاعر الذى ترشدنى . انظر قبل ان ابداء بالصعود اذا كانت قواى تمكننى من احتمال متاعب هذا السفر الشاق .

لقد قلت فى منظومتك (اينيده) ان ابا سيلفيو (انيئا) . ولئن كان حياً فقد ذهب الى عالم الارواح فى جسده ونفسه. فاذا كان الله ـ وهو عدو كل شر ـ قد انم عليه بذلك فان الامر لمفهوم . لاننا اذا تأملنا ان من ذريته كان عتيداً مجئ مؤسسى رومه والامبراطوريه الرومانية فلهذا السبب اختير فى الملكوت السماوى كى يكون مؤسساً لرومه العظمى ولسلطانها . وان شاء المرء الحقيقة. يجب عليه ان يسلم بان تلك المدينة وذلك السلطان لم يؤسسا من تلقاء نفسيهما . بل ان الله سبق فاعدهما ليكونا مقاماً لخلفاء بطرس[1] هامة الرسل .

(١) – القديس بطرس احد تلامذة يسوع المسيح ورسله وقد اقامه سيده رئيسا على الرسل وقبل صعوده الى السماء عينه خليفته على الارض قائلا له «انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى وابواب الجحيم لن تقو عليها» وسلمه مفاتيح السماء فبعد ان اجتاز بطرس سوريا مبشرا بالايمان المسيحى ذهب الى رومه حيث اسس كرسى الخلافة المسيحية . ثم قبض الوثنيون عليه مع بولس الرسول واماتوهما مصلوبين فى ١٩ حزيران (جونيو) سنة ٦٦ م. وكان عمره اذ ذاك ٧٦ عاما .

ان انيئا فى زيارته عالم الارواح هذه التى من اجلها اكثرت الثناء عليه قد سمع اشياء كانت سببا اولاً للظفر الذى احرزه وثانياً لبقاء رومه ومجد البابوات [١]. ومن بعده ذهب اليه الاناء المصطفى [٢] ليحمل القوم على اعتناق ذلك الايمان والثبات فيه لكونه بدء الخلاص الابدى .

اما انا فكيف يجب علىّ ان اذهب ومن انعم علىّ بذلك . فانى لست انيئا ولا (القديس) بولس . ولا احد يحكم بانى اهل لهذا الشرف العظيم. فاذا قبلت ان اعمل هذه الرحلة . اخشى ان يعد عملى هذا جنوناً . فانت عاقل وتفهم خير مما اقول .

وهكذا صرت فى تلك البقعة الحالكة كمن يرفض شيئاً اراده قبلاً . ويفكر فيه ايضاً. ثم يغير قصده. ويمكث متحيراً. ولذلك لا يبدأ عملاً ابداً. لانى بافتكارى فى صعوبة الرحلة تركتها بعد ان باشرتها بمزيد الاهتمام.

---

(١) – البابوات جمع بابا وهم الاحبار العظام رؤساء الدين الكاثوليكى وخلفاء القديس بطرس خليفة المسيح .

(٢) – هو القديس بولس احد رسل المسيح . وكان يدعى شاوول من مدينة طرسوس (قليقيه) التابعة وقتئذ للامبراطورية الرومانية . قاوم اولا الدين المسيحى ثم اعتنقه وصار من اشد انصاره وناشرى لوائه . عهد اليه القديس بطرس فى التبشير بالايمان الجديد فبشر به فى اسيا الصغرى وبلاد الاغريق ثم ذهب الى رومه حيث استشهد مع الخليفة بطرس فى ٢٩ حزيران (جونيو) سنة ٦٦ م. وكان عمره ٦٨ عاما .

جواب فيرجيليو - النسوة الثلاث

فاجابني طيف ذلك السرى : لقد فهمت كلامك . ان خوفاً مخجلاً قد استولى على نفسك وكثيراً ما يستولى على المرء حتى يمنعه من القيام باعمال شريفة. ويجعله كالبهيمة المخدوعة من منظر كاذب لاشياء تخيلتها . فتتفزع وتقف. ثم تتقهقر .

ولكي انقذك من هذا الخوف اقول لك لماذا اتيت لمساعدتك وما سمعته في اول وقت حتى اني توجعت لحالك التعبة .

كنت في الليمبوس[1] فاتت امرأة بديعة الجمال كثيرة الغبطة تدعوني اليها . واذ فهمت انها لم تكن قادمة الا من النعيم . اسرعت ورجوت منها ان تأمرني بما تريد. وكانت عيناها تلمعان اكثر من الكوكب . فشرعت تقول لي بصوت ملائكي . وبكلام سدته اللطف ولحمته الحشمة :

---

(١) - الليمبوس : هو المكان الذي بحسب اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية تذهب اليه انفس اولئك الصالحين غير المسيحيين الذين لم يرتكبوا الخطايا ولكنهم لم يتطهروا من الخطيئة الاصلية التي ارتكبها آدم ابو البشر باقتبالهم سر المعمودية وفيه كانت تقيم انفس الموتى قبل المسيح .

ايتها الروح المنتوفانية[١] التى شهرتها ما زالت حية فى العالم الارضى وستبقى الى الابد. ان صديقى المحبوب منى وليس من الحظ. تاه فى الغابة. وفى طريقه عقبات كؤود خشيها والتفت ليرجع على عقبيه . وحسبما سمعت عنه فى السماء. اخاف من انه يكون ضل سبيله واكون ابطأت كثيراً فى معاونته. تحرك اذاً الان وساعده بكلامك الرصين وبكل مايلزم لخلاصه حتى اتعزى. انا بياتريشه التى اسألك الذهاب. لقد جئت من السماء واليها ارغب بالعود . فالحب قد حركنى. والحب نفسه حملنى على ان اوجه اليك هذا الطلب. وعند ما امتثل امام العلى ساكثر من اظهار فضائلك لعزته الالهية .

هنا سكتت وانا جاوبتها : ايتها المرأة الممتلئة فضيلة تسمو بالانسان الى ما فوق الكائنات الارضية . يسرنى كثيراً امرك . واتوق بالاكثر الى الاسراع لمرضاتك . ولكن قولى لى اولاً : لماذا لا تخشين الانحدار الى هذا المكان الحقير من النعيم السماوى الذى تتوق نفسك كثيراً الرجوع اليه .

---

(١) – نسبة لمدينة منتوفا مسقط رأس فيرجيليو وقد سبق الاشارة الى ذلك.

فاجابت : حيث انك كثير الاشتياق لمعرفة هذا السر اقول لك بايجاز لماذا لا اخشى النزول الى ههنا :

يجب الخوف فقط من الاشياء التى تؤذى الغير . وليس من غيرها. وقد صرت بنعمة الله ذات طبيعة تجعلنى أن لا أتألم من شقائكم. ولا يمسنى لهيب الجحيم بضر .

ان العذراء مريم[1] فى السماء متألمة من هذا الضيق حيث ابعثك الآن حتى انها حننت عدل الله القاسى. فاستدعت القديسة لوشيا[2] وقالت لها ان اميفك بحاجة اليك وانا اوصيك به .

وحيث كانت لوشيا عدوة كل قساوة تحركت واتت المكان الذى كنت جالسة فيه مع راحيل العهد القديم[3]. وقالت لى. يا بياتريشه - حمد الله الحقيقى - لماذا لا تعينين ذاك الذى احبك كثيراً . ومن اجل حبه لك خرج من طبقة البشر العاديين ؟ هلا تشفقين على بكائه ؟ الا ترين الموت يصارعه فى الغابة ولا مصارعة زوبعة البحر ؟

---

(١) - مريم : ام يسوع المسيح عليها اشرف السلام .

(٢) - القديسة لوشيا : عذراء شهيدة من سيراغوزا عاشت فى الجيل الثالث وكان دانتى متعبداً لها ويسال دائما شفاعتها .

(٣) - راحيل : زوج يعقوب ووالدة يوسف وبنيامين .

فكنت بعد سماعى تلك الكلمات اسرع من اى شخص فى العالم يبحث عن خيره. ويفر من شره. وتركت مكانى السعيد واتيت هذا المكان وانى لواثقة بكلامك الفطن المستقيم الذى يشرفك ويشرف سامعيه.

ولما انتهت من كلامها التفتت نحو السماء وعيناها مغرورقتان بالدموع. وعندما رأيتها متألمة بهذا القدر. تحركت حالا اجابة لرغبتها. وجئتك ورفعتك من امام ذلك الوحش الذى كان يحول دون صعودك على الجبل الجميل باقرب طريق.

فلم ارتيابك هذا؟ ولماذا تتوقف؟ ولاى سبب تخاف هكذا؟ ولماذا لا تجرأ ولا تحتر بعد ان عرفت ان فى السماء ثلاث نسوة مباركات يعتنين بك. وغب ان وعدتك باستصحابك الى مقر الابرار الصالحين؟

عزم دانتى

فكالازهار المنحنية والمطبقة من الندى المتساقط عليها ليلا تنتعش عندما ترسل الشمس اشعتها عليها صباحا. هكذا انتعشت وشعرت بشجاعة قوية. وبكل حرية نطقت: انها لشفوقة تلك المرأة التى انحدرت اليك وانقذتك لمساعدتى. ولطيف انت لانك اسرعت فامتثلت اقوالها الحقة.

ان كلامك قد جدد فى فؤادى الرغبة بالسير معك. فسر اذاً فقد اتحدت فكرتانا. انت تكون قائدى ومولاى واستاذى. وانا اطيعك واصغى لتعاليمك.

قال هذا فتحرك هو وانا سرت معه فى الطريق القفر الوعر.

النشيد الثالث

توطئة

يصل دانتى الى باب الجحيم فيقرأ فى اعلاه كتابة مرعبة. ثم يدخل وفيرجيليو. وحالاً يلقى الماطلين البطالين المحكوم عليهم بالجرى والبعوض والزنابير تضايقهم بلسعاتها. ثم يصل الى ضفة نهر اكيرونته منها الابليس كارونته يعبر الانفس الهالكة الى دوائر الجحيم. هنا يبهر الشاعر من شعاع نور قوى ويسقط فى ذهول عميق.

(المعرب)

النشيد

مدخل الجحيم

«مني (اي من هذا الباب) يدخل في مدينة الآلام. ومني يذهب الى العذاب الابدي. ومني يسار بين الناس الهالكين. ان العدل حرك العلي بنائي. وان القدرة الالهية والحكمة السامية والمحبة الاولى(١) اوجدتني. قبلي لم تخلق اشياء غير ازلية وانا سادوم الى الابد: فاتركوا كل رجاء يا من تدخلونه».

رأيت هذه الكلمات مكتوبة في اعلى باب بحروف سوداء فقلت لفيرجيليو: ايها الاستاذ ان مغزاها لمر وقاس عليّ. اما هو فكرجل عالم قال لي: هنا يجب ان تبعد عنك كل خوف وجبن. لقد اتينا هذا المكان حيث تشاهد - كما قلت لك آنفاً - الناس المتألمين لانهم فقدوا امل الاجتماع بالله.

ثم وضع يده بيدي ووجهه يقطر بشراً فشجعني. وادخلني الجحيم لأرى الاشياء الغامضة.

العاطلون - البطالون

تنهدات وصاخات وبكاء ونحيب وانين وعويل كان كل ذلك يدوى فى ذاك الفضاء المظلم حتى انى بكيت فى بادئ الامر.

قلقات مختلفة وتجاديف فظيعة وتألمات واشارات غضب. واصوات مرتفعة ومنخفضة وحركات ايدى كانت كلها تتضارب فى ذلك المكان الحالك الازلى فتجعل صخباً وضجيجاً عظيمين كما تفعل الريح الصرصر فى الرمال عندما تهب وتنسفها.

فقلت ورأسى مضطرب وممتلئ من ذاك الدوى: ما هذا الذى اسمعه. ايها الاستاذ؟ ومن هم هؤلاء الذين يظهرون بكونهم ضنكاً من الامهم؟

فاجابنى: بهذا الشكل الفظيع تعاقب انفس اولئك الذين قضوا حياتهم دون ان يقترفوا ذنوباً تصيرهم اشراراً ولا ان

(١) – القدرة الالهية (الاب) والحكمة السامية (الابن) والمحبة الاولى (الروح القدس) وهى ثلاثة اقانيم الالوهية حسب اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية. ان الله واحد موجود فى ثلاثة اقانيم: اب وابن وروح قدس.

يعملوا اعمالاً تجعلهم اخياراً . ومعهم ايضاً طغمة الملائكة الذين لم يشتركوا بالعصيان ضد الله . غير انهم لم يعلنوا اماناتهم لعزته الالهية والتزموا الحياد . فطردتهم السماوات لان وجودهم فيها ينقص من كمالها وجمالها. ورفضت الجحيم قبولهم فى اعماقها حيث يقيم الهالكون الذين ارتكبوا خطايا كبرى. ولعل هؤلاء يفتخرون عند ما يرون ارواحا اقل شراً منهم قادمة اليهم ومتساوية معهم بالقصاص .

ثم سألت فيرجيليو : ما الذى يؤلمهم بهذه الشدة ؟

فاجاب : اقوله لك بايجاز . انهم لا يأملون نهاية حالهم الشقية هذه. وان الحياة التى يقضونها كالعميان فى هذا المكان الخالى عن الكواكب لهى حياة دنيئة جداً حتى انهم يحسدون كل حال اخرى (ولو كانت حال الهالكين فى اعماق جهنم). فلم يبق لهم ذكر فى العالم ابداً . ورفضهم النعيم ولم يقبلهم المطهر (حيث تظهر رحمة الله) حتى ولا الجحيم ايضاً (حيث العدل الهائل). فلن نتكلم عنهم بعد الآن لانهم لا يستحقون. ولكن تطلع وامش .

فعدت وتطلعت فرأيت علماً يتدحرج بسرعة مدهشة. وعلى ما ظهر لى انه محكوم عليه بالحركة الدائمة . ومن ورائه صف

كثيف طويل من الهالكين لم اكن اظن عدد الموتى كثيراً بهذا القدر. وعرفت من بينهم اكثر من واحد وبالاخص روح الذى رفض بدناءة مقامه تخلصاً من عبثه[١] ففهمت حالاً وتاكدت انهم الضعيفو العزيمة المكروهون من الله ومن اعدائه (الابالسة). والتعساء لانهم لم يحيوا ابداً حيث لم يأتوا عملاً صالحاً ولا طالحاً.

كانوا عراة تلسعهم البعوض و الزنابير الموجودة هناك فتلطخ وجوههم بالدم الذى بعد ان يمتزج بالعبرات تمتصه الديدان الكريهة عند اقدامهم .

نهر اكيرونته ومرور دانتي

ثم التفت الى جهة اخرى فشاهدت ارواحاً قائمة على ضفة نهر كبير وقلت لمعلمى: تكرم على الآن وقل لى من هم اولئك وما يحملهم على المرور بسرعة الى الضفة الاخرى كما يلوح الى بين نصف الظلام ؟

(١) – لم يتفق الشراح على تعيين الشخص المقصود هنا. وحيث كان دانتى شاء ان يكتم اسمه لانه من الذين لم يعملوا الصالحات ولا الطالحات فرأيت من الواجب احترام ارادة الشاعر واهمال البحث بشأنه .

فاجابني: ستعرف السبب عندما نصل الى ضفة اكيرونتة[١] المحزنة.

اما انا فخوفاً من ان كلامي يثقل عليه اطرقت خجلاً وسكت حتى بلغنا ضفة النهر. واذا شيخ ذو لحية بيضاء طويلة كثة آت بزورق نحونا صارخاً: الويل لك ايتها الانفس الهالكة فلا تأملين ابداً مشاهدة السماء. اني آت لاقودك الى الضفة الاخرى في الظلمات الابدية. في الحر وفي الجليد معاً.

وانت ايها الحي الموجود هنالك. ابتعد عن هؤلاء الموتى الهالكين.

ولما رآني لم ابتعد قال: ستأتي الضفة من طريق غير هذا ومن ثغر آخر. وليس من هنا. ينبغي ان تقلك سفينة اخف من هذه.

فقال له مرشدي: لا تتعب نفسك يا كارونته[٢]. هكذا يراد في السماء حيث يمكن كل ما يشاء ولا تسل شيئاً آخر.

حينئذ سكن جاش نوتي الغدير المظلم بعد ان ارسل حواليه نظرة تتقد غيظاً.

---

(١) – اكيرونته او نهر الالم – بحسب الديانات القديمة تجتازه الارواح لتذهب الى جهنم.

(٢) – كارونته: نوتي قديم ينقل الارواح الهالكة الى ما وراء نهر اكيرونته المشار اليه.

اما تلك الانفس العراة الشقية فقد تبدلت الوانها وصرصرت اسنانها حينما سمعت تلك الكلمات القاسية وانشأت تجدف على الله وعلى اقاربها والجنس البشرى والمكان والزمان اللذين ولدت فيهما وعلى ابائها واباء ابائها . ثم انسحبت كلها معاً باكية ناحبة الى ضفة النهر الذى ينتظر كل انسان لا يخاف الله .

وكان الابليس كارونته يشير اليها بعينيه الملتهبتين ويحشرها فى الزورق ويضرب بالجذاف الروح التى تتأخر فى الدخول او تبطأ بالجلوس .

فكما تتناثر اوراق الاشجار فى الخريف واحدة فواحدة حتى يتعرى الغصن منها ويراها كلها فى الارض. هكذا حصل لارواح الخطاة المنكودى الحظ فانها كانت ترتمى الواحدة تلو الاخرى فى القارب عملا باشارات كارونته. كالطير التى يدعوها مربيها .

على هذا النمط يعبر الهالكون تلك الموجة الحمراء . وقبل ان ينزلوا من القارب الى الضفة يجتمع هنا عدد آخر .

فقال لى استاذى بلطف: يا بنى ان جميع الذين يموتون بعيدين عن نعمة الله ياتون هنا من كل بلد وهم مستعدون ليعبروا النهر لان العدل الالهى يهزهم بقوة حتى ان خوفهم من العبور

يستحيل الى رغبة شديدة بالاسراع اليه . فلا روح صالحة تمر ابداً بهذا المكان ولذلك اذا تمرمر منك كارونته عليك ان تستفتج من كلامه انك معين للخلاص .

عندئذ اهتزت البرية المظلمة اهتزازاً قويا حتى انى بمجرد تذكرى الخوف الذى شعرت به يتصبب العرق من جبينى . فمن الارض المرتوية من دموع اولئك التعساء هبت ريح لمع منها نور قرمزى افقدنى شعورى فسقطت كمن يتسلط عليه سبات عميق.

النشيد الرابع

توطئة

ان رعداً قاصفاً أفاق دانتى فوجد نفسه فى دائرة الجحيم الاولى أى فى اليمبوس حيث أرواح الاطفال المائتين قبل اقتبالهم سر المعمودية وأنفس الافاضل الذين عاشوا قبل مجيئ يسوع المسيح.

فعرف فرجيليو دانتى الى الشعراء القدماء : كاوميروس واورازيوس واوفيديوس ولوكانوس فتقبلوه برفقهم . وبعد أن أراه أبطال الزمان القديم وفلاسفته مشى به نحو الدائرة الثانية . (المعرب)

النشـــيد

اليمبوس

ان رعـداً جهنمياً أفاقني من سباتي العميـق . وكنت كمن يستفيق مرغماً . ولما انتصبت على قدميّ . وكانت عيناي استراحتا . التفت لاستعرف المكان الذى كنت فيه . واذا أنا على شفير وادى اللجة المؤلمة يتصاعد منها دوى تألمات لا نهاية لها . وكان الوادى مظلماً عميقاً ممتلئاً بخاراً . مهما حدقت الى قعره لم أكن اميز شيئاً منه.

فقال لي الشاعر وقد امتقع لونه اصفراراً : فلننحدرن الى أسفل - الى عالم الالم المظلم . فأنا أسير أمامك وأنت تتبعنى .

واذ لحظت اصفراره قلت له : كيف يمكنني أن أتبعك اذا كنت أنت نفسك خائفاً مع أنك معتاد أن تشجعنى عندما يستولى عليّ الارتياب .

فاجاب : ان ضيق البشر الموجودين هنا أسفل يرسم فى وجهى تلك الشفقة التى حكمت بكونها خوفاً . فلنذهبن لأن الطريق الواجب أن نجتازها طويلة لا تسمح لنا بالابطاء .

قال هذا ودخل وأدخلني الدائرة الاولى الكائنة حول تلك اللجة حيث لاتوجد آلام ظاهرة حسبما يسمع . ولكن تنهدات قوية كانت تدوى فى ذلك الفضاء الابدى . فكانت الانفس تتألم بلا عذاب خارجي وفيه عدة سرب كبيرة من أرواح أطفال ونساء ورجال .

فقال لي استاذى الصالح: لماذا لاتسأل عن الأرواح التى تشاهدها ؟ وقبل أن اواصل السير اريد أن تعلم انها أرواح اناس لم يقترفوا ذنوبا فحسب بل قد عملوا الصالحات . غير ان عملهم لم يكن كافياً للخلاص . لأنهم لم يقتبلوا سر المعمودية[1] وهو باب الايمان الذى تعتقده . ولم يعبدوا الله كما يجب لانهم عاشوا قبل مجئ المسيح ولم يؤمنوا به مع ان مجيئه كان عتيداً . وبين هؤلاء أنا ذاتى . فلهذه النقائص فقط هلكنا . وعذابنا الوحيد هو أننا نمكث باشتياق دائم لمشاهدة الله وليس لنا رجاء الحصول على ذلك.

فجاش فؤادى ألماً من هذا الخبر لأنى عرفت منه ان اناساً كثيرى الاعتبار مقيمون فى ذلك المكان بلا عذاب مقرر ولكن ليسوا بدون عقاب .

(١) — هو السر الذى باقتباله يصير المرء مسيحيا او نصرانيا

انحدار المسيح الى اليمبوس

فلكى أزداد تاكيداً من الايمان المسيحى الذى ينتصر على كل خطاء قل لى يامعلمى وسيدى هل خرج احد أبداً من هذا المكان باستحقاقه او باستحقاق غيره وذهب فيما بعد الى مقر الغبطة ؟

ففهم مغزى كلامى المعمى وأجاب : انى كنت حديث الوجود فى هذا المكان عند ما رأيت عظيماً قادراً [١] حاملاً علامة النصر وعلى رأسه تاج جاء اليه فاخذ منه روح الاب الاول [٢] وابنه هابيل ونوح وموسى المشترع الطائع والبطريرك ابراهيم الخليل والملك داود واسرائيل (يعقوب) وأبيه اسحاق وبنيه (وزوجته) راحيل التى تعب كثيراً من أجلها [٣] وأرواح كثيرين غيرهم فنحهم الغبطة. وأرغب بأن تعلم أن لا روح بشرية كانت انقذت قبل تلك الارواح .

وكنا نتكلم مواصلين السير ونجتاز المكان المزدحمة فيه الانفس بتلك الجهة من اليمبوس .

---

(١) يسوع المسيح (عيسى ابن مريم)
(٢) آدم أبو البشر
(٣) يعقوب يدعى أيضا اسرائيل فلكى يتمكن من الاقتران براحيل خدم أباها ١٤ سنة .

الشعراء الاقدمون ودانتى

ولم نكن ابتعدنا كثيراً عن قمة ذاك الوادى الجهنمى حينما شاهدت ناراً تخترق ظلمات تلك الدائرة الانتصافية ولم يمنعنى البعد من أن اميز بعضاً من الاناس المعتبرين الذين كانوا يشغلون تلك الدائرة المستنيرة . (فقلت لمرشدى) أنت الذى تكرم كل علم وكل فن قل لى من هم هؤلاء المعتبرون المقيمون على حدة ؟

فاجاب ان الشهرة العظيمة التى لهم فى عالمك الفانى أكسبتهم النعمة الالهية فمنحهم الله هذا الامتياز .

وفى تلك الاثناء سمعت صوتاً يقول : كرموا الشاعر السامى (فيرجيليو) فان روحه التى كانت ابتعدت عنا عائدة الينا .

ولما سكت الصوت رأيت أربع أرواح عظيمة آتية نحونا ومنظرها غير كئيب ولا فرح . (لانها لم تكن فى عذاب ولا فى غبطة)

فشرع الاستاذ الصالح يقول لى : تفرس فى ذلك الذى يتقدم الآخرين وبيده سيف متخذاً الرئاسة عليهم . فهو اوميروس

(Omero)[١] أمير الشعراء ومن يأتي بعده فهو اورازيوس(Orazio)[٢] الشاعر الهجائي . والثالث اوفيديوس (Ovidio)[٣] . والآخر لوكانوس (Lucano) [٤] وحيث كان هؤلاء شعراء مثلي كرموني فاحسنوا بذلك عملاً لانهم كرموا الفن والحكمة .

وهكذا رأيت أفضل تلامذة مدرسة ذلك الشاعر السامي (اوميروس) مجتمعين وهو محلق كالنسر فوقهم .

---

(١) — اوميروس : أعظم شعراء اليونان. ان سبع مدن في آسيا الصغرى تتنازع المجد بكونها مسقط رأسه . وان المعجزتين الشعريتين الالياده (Iliade) والاوديسايا (Odissea) قد أكسبتاه شهرة أزلية .

وقد وجد من أنكر وجود اوميروس مثبتا أن الالياده والاوديسايا ليستا سوى منظومات انتشرت في عصر خرافات اليونان غير أن الاقاصيص القديمة المنقولة تمثل لنا اوميروس رجلاً هرماً فقيراً مسكيناً يتجول في المدن ناشداً أشعاره وذلك في الجيل العاشر قبل المسيح .

(٢) — اورازيوس: شاعر لاتيني شهير ولد في فينوزا من أعمال بوليه (ايطاليا) في ٨ كانون الاول (ديشمبرى) سنة ٦٨ ق. م. ومات في ٢٧ تشرين الاول (اتوبرى) سنة ٨ ب. م.

(٣) — اوفيدويوس : شاعر روماني شهير ولد في ٢٠ أزار [مارسو] سنة ٤٣ ق. م. ومات سنة ١٧ ب. م. وكان معاصراً لفيرجيليو

(٤) — لوكانوس: شاعر لاتيني ولد في كردوفا [اسبانيا] في ٣ تشرين الثاني [نوفمبرى] سنة ٣٩ م. وقتله نيرون الظالم سنة ٦٥ م.

وبعد أن تحادث الشعراء قليلا التفتوا نحوى وحيونى تحية رصيف. فسر استاذى من تكريمهم اياى وزادونى تكرمة لأنهم تقبلونى فى صفهم . فصرت اذاً السادس بين شعراء ذوى حكمة سامية. وسرنا ونحن على ته الحال نحو حيث تضئ النار المشار اليها وتكلمنا عن امور يحسن السكوت عنها الآن كما كان يجمل التحدث بها حينئذ .

قصر العلماء

ثم وصلنا الى أسفل قصر منيف تحوطه سبعة أسوار عالية ويحميه من حواليه جدول جميل . فعبرناه على الاقدام كأننا نجتاز الارض اليابسة. ودخلت برفق اولئك الحكماء مارين بسبعة أبواب الى أن وصلنا الى مرج نضر أخضر حيث كانت أرواح عليها سمات العظمة والرصانة تحادث قليلاً وبصوت رخيم . فانسحبنا من احدى الزوايا الى مكان مفتوح عال منه كانت تشاهد كافة الارواح .

هنالك تجاهي في المرج الاخضر اللماع ألفت نظري الى انفس أعاظم العهد القديم فسرني كثيراً مرآها. فابصرت اليترا (Eletra) [١] مع كثيرين من رفاقها الترويانيين وعرفت من بينهم اتوره (Ettore) [٢] وايناا (Enea) [٣]. ونظرت أيضاً قيصر (Giulio Cesare) [٤] وكانت عيناه سوداويين. وكاميلا (Camilla) [٥]. وفي الجهة الاخرى رأيت بنتسيليا (Pentisilea) [٦] وشاهدت الملك لاتينو (Latino) [٧] جالساً بجانب ابنته لافينيا (Lavinia) [٨] وبروتوس (Bruto) [٩] ذلك

(١) – ام دوردانو مؤسس مدينة ترويا التي سبق ذكرها .

(٢) – اتوره : بكر بريامو ملك ترويا

(٣) – ايناا : امير ترويا وقد تقدم ذكره

(٤) – يوليوس قيصر : المسيطر الروماني وقد سبقت الاشارة اليه

(٥) – كاميلا : تقدم ذكرها في حاشية النشيد الاول

(٦) – بنتسيليا : امرأة محربة اشتركت في حرب ترويا ضد اليونان وقتلها اكيله .

(٧) – لاتينو : ملك لازيو (ايطاليا) في الزمن الذي وصل فيه ايناا اليها

(٨) – لافينيا : ابنة الملك لاتينو خطبها تورنو ملك الروطوليين ولكن ايناا اقترن بها . وكان زواجها هذا سبباً للحرب بين لاتينو وتورنو

(٩) – بروتوس لوشيوس : جن احتيالاً وهيج الرومانيين على تركوينيوس ملك رومه لان ابنه أهان السيدة لوكرزيا فثاروا عليه وطردوه مع أسرته من المملكة

الذى طرد الملك تركوينيوس(Tarquinio). ولوكريزيا (Lucrezia) [١]
وجوليا (Giulia)[٢] ومرزيا(Marzia)[٣] وكورنيليا (Cornelia) [٤]
ثم شاهدت منفرداً على حدة صلاح الدين (Saladino) [٥]
بعده رفعت طرفى قليلاً فابصرت ذلك المعلم الحكيم (اريسطوطاليس
(Aristotele) [٦] جالساً بين كثيرين من الفلاسفة وهم يكرمونه

---

(١) - لوكريزيا: سيدة رومانية اشتهرت بالجمال والفضيلة وكانت زوج لوسيوس تركوينيوس كولاتينو اغتصبها سيستوس تركوينيوس المتكبر ملك رومه واذ لم تشأ أن تحيا بعد العار انتحرت وكان ذلك سبباً لطرد الملك تركوينيوس وعائلته من رومه كما ورد فى الحاشية الاخيرة من الصفحة السابقة .

(٢) - جوليا: ابنة يوليوس قيصر وزوجة بومبيوس القائد الرومانى الشهير

(٣) - مرزيا : زوجة كولينتو اورتنسو خطيب رومانى شهير.

(٤) - كورنيليا : سيدة رومانية اشتهرت بفضائلها وبتهذيب ولديها الغراكيين وهى بنت شيبيونى الملقب بالافريقى قائد رومانى عظيم .

(٥) - صلاح الدين الايوبى : سلطان مصر وسوريه ولد سنة ١١٣٧ ومات سنة ١١٩٣ م واشتهر بفضائله وكرمه فى حروبه ضد الصليبيين .

(٦) - اريسطوطاليس: الفيلسوف اليونانى الشهير ولد فى ستاجيرا سنة ٣٨٤ ق. م. تتلمذ لافلاطون مدة عشرين سنة ومن عام ٣٤٣ الى ٣٤٠ ق. م. كان استاذ الاسكندر المكدونى العظيم الملقب بذى القرنين . علم الفلسفة فى اتينا حيث مات سنة ٣٢٤ ق. م.

معجبين به. وبينهم سقراط (Socrate) [١] وافلاطون (Platone) [٢] وهما اقرب الباقين منه. وديموقراط (Democrito) [٣] الذى كان يعلم ان العالم تكون صدفة من تجمع ذرات. وديوجينوس (Diogene) [٤] وانساغورا (Anassagora) [٥] وطاليس (Tale) [٦] وامبدوكليس (Empedocles) [٧] واراقليطوس (Araclito) [٨] وزينون

(١) – سقراط: فيلسوف يونانى شهير. ولد فى اتينا سنة ٤٧٠ ومات فيها سنة ٣٩٩ ق. م.

(٢) – افلاطون: فيلسوف يونانى شهير ولد سنة ٤٢٧ ومات سنة ٣٤٧ ق. م. وكان تلميذ سقراط

(٣) – ديموقراط: فيلسوف يونانى ولد فى ايديره [تراقيه] سنة ٤٦٥ ومات سنة ٣٦١ ق. م. مؤسس علم الذرات.

(٤) – ديوجينوس: فيلسوف يونانى ولد فى سينوب سنة ٤٠٤ ومات سنة ٣٢٣ ق. م. اشتهر باحتقاره المال.

(٥) – انساغورا: فيلسوف يونانى ولد سنة ٥٠٠ ومات سنة ٤٢٧ ق. م.

(٦) – طاليس: احد حكماء اليونان السبعة وزعيمهم. فينيق الاصل من ذرية قدما الذى هاجر من مدينة صور الى بلاد الاغريق. ولد فى مدينة مليتس بآسيا الصغرى سنة ٦٤٠ ومات سنة ٥٤٦ ق. م.

اما حكماء اليونان السبعة فهم: طاليس المذكور رئيسهم وعميدهم وصولون الأثينى وبياس البرينى وبتاقوس المتيلينى وشيلون اللقدمونى وكليوبوس الكنيدى وبرياندر الكورنثى.

(٧) – امبدوكليس: فيلسوف يونانى ولد سنة ٦٣٩ ومات سنة ٥٤٦ ق. م.

(٨) – اراقليطوس: فيلسوف يونانى عاش فى الجيل الخامس ق. م.

(Zenone) (١) . ثم عاينت ديوسكوريدى (Dioscoride) (٢) دارس طبيعة الاعشاب والنبات وجمعها ومرتبها حسب اجناسها . ونظرت ايضاً اورفئو (Orfeo) (٣) وتوليو (Tulio) (٤) ولينو (Lino) (٥) وسينيكا الاديب (Seneca) (٦) واوكليدى المهندس (Euclide) (٧) وبطليموس (Tolomeo) (٨) وايبوقراط (Ippocrate) (٩)

---

(١) — زينون: فيلسوف يونانى ولد فى جزيرة قبرص سنة ٣٥٠ ومات سنة ٢٦٤ ق. م.

(٢) — ديوسكوريدى: طبيب يونانى مولود فى قيليقيه ووضع خمسة مؤلفات فى الطب بحث فيها انواع الاعشاب والنبات ومنافعها الطبية ومختلف المعادن .

(٣) — اورفئو: شاعر وموسيقى يونانى شهير .

(٤) — توليو: هو مرقس توليوس شيشرون الخطيب والكاتب الرومانى الشهير ولد فى اربينو يوم ٣ كانون الثانى [جنايو] سنة ١٠٦ وقتل فى ٦ كانون الاول [ديشمبرى] سنة ٤٣ ق. م.

(٥) — لينو: شاعر يونانى قديم .

(٦) — لوشيو سينيكا: ولد فى كردوفا سنة ٤ ق. م. وانتحر سنة ٦٥ ب. م. لان نيرون الظالم حكم عليه بالموت. وكان فيلسوفا رومانياً شهيراً وكاتبا كبيراً .

(٧) — اوكليدى: رياضى يونانى شهير عاش فى الاسكندرية نحو سنة ٣٠٠ ق. م. ووضع ١٣ مؤلفا فى الهندسة .

(٨) — بطليموس كلوديوس : فلكى ورياضى مصرى شهير عاش فى الجيل الثانى للمسيح وضع الطريقة الفلكية التى تتبعها دانتى .

(٩) — ايبوقراط: طبيب يونانى شهير ولد سنة ٤٧٠ وتوفى سنة ٣٥٩ ق. م.

وابن سينا (Avicenna) [١] وغالينوس (Galieno) [٢] وابن رشد (Averroe) [٣] شارح مؤلفات اريسطوطايس شرحاً وافياً .

ولست استطيع ذكر الاخرين لان المهمة التى اتخذت على عاتقى اتمامها تدفعنى للسير الى الامام ومع ذلك فانى مهما اتكلم لا افى بوصف كل ما رأيته.

ثم نقص صف الشعراء اثنين لان المرشد الحكيم اخذنى فى طريق اخرى ومشى بى خارج ذلك الفضاء الهادئ الى فضاء مضطرب حتى اوصلنى الى مكان خالٍ عن النور .

---

(١) – هو الحسن ابن سينا الشيخ الطبيب والفيلسوف العربى الشهير صاحب كتاب القانون فى الطب ولد سنة ٩٨٠ وتوفى سنة ١٠٥٧ م.

(٢) – غالينوس : طبيب يونانى شهير ولد فى برغامو [ايطاليا] وعاش فى الجيل الرابع ب. م.

(٣) – ابن رشد الفيلسوف العربى الاندلسى الشهير ولد فى كردوفا [الاندلس] سنة ١١٢٦ وتوفى سنة ١١٩٨ م. شرح فلسفة اريسطوطاليس ونقل من اليونانية الى العربية جميع مؤلفاته .

النشيد الخامس

توطئة

يصل دانتي وفيرجيليو الى مدخل الدائرة الثانية من الجحيم فيجد مينوس يدين الارواح ويعين لها مكان العقاب . في هذه الدائرة يعاقب المتهتكون. خالعو العذار. تديرهم عاصفة بصورة دائمة. فيبصر دانتي بين هؤلاء. فرنشيسكا داريميني. فتقص عليه حكاية غرامها.

(المعرب)

النشيد

مينوس

نزلت (برفق فرجيليو) من الدائرة الاولى الى الثانية وهي اضيق من تلك ولكنها تحوي الاماً كبرى فتتألم فيها الانفس بشدة. ففيها مينوس[1] يصر اسنانه مستشاطاً غيظاً . ويفحص خطايا تلك

(١) – كان مينوس هذا بحسب الميثولوجيا [قصص اديان الوثنيين واساطيرها] ملكا على اكريت وحيث كان احكم المشترعين واقساهم وضعه دانتي في الجحيم ليدين الخطاة ويبين لهم العقوبات المفروضة عليهم .

الارواح لدى دخولها ويبعث كلاً منها الى الدائرة المعينة لها. وذلك بحسب عدد ضربات ذنبه من حوله.

وبعبارة اوضح. عندما تتقدم النفس الهالكة اليه. تعترف بخطاياها. وهو العالم بالخطايا فيعرف فى اية دائرة من دوائر الجحيم تستحق ان تلقى. فيضرب ذنبه يمنة ويسرى على جنبيه ضربات متعددة بحسب عدد الدائرة الواجب ان ترمى فيها تلك الروح. وامامه عدد كبير من هاتيك الانفس. فتتقدم الواحدة تلو الاخرى الى الدينونة. فتعترف بذنوبها وتستمع الحكم الصادر عليها. ثم يستلمها الزبانية ويلقونها فى الدائرة المعدة لها.

فلما شاهدنى مينوس ترك وظيفته المؤلمة وصاح بى قائلا: انت الآتى الى جهنم فلا تخدعنك سهولة المدخل.

فقال له مرشدى: وانت لماذا تصرخ ايضاً (اى مثل كرونته الذى تقدم ذكره). فانك لا تحول دون سيره المقدر. هكذا يشاء هناك (فى السماء) حيث يستطاع ما يشاء. وما عدت تسل شيئاً اخر.

المتهتكون ـ خالعو العذار

الآن اخذت الانات المؤلمة يدوي صداها في اذني . الآن وصلت الى حيث استمع نحيباً قوياً. أتيت مكاناً حالكاً مداهماً ممتلئاً بكاءً وصراخاً يحدثان عجيجاً كعجيج البحر الهائج من تضارب مختلف الرياح. اما العاصفة الجهنمية الدائمة الحركة فتخطف الارواح وتديرها وتخبطها ببعضها. وحينما تصل تلك الانفس الى هذه الدائرة المحزنة تبكي وتنوح وتصيح ثم تجدف على القدرة الالهية التي تأمر العاصفة بالهبوب لتديرها بهذا النوع . وفهمت من طبيعة العقاب ان المحكوم عليهم به هم مرتكبوا خطيئة الدنس الذين يخضعون العقل للشهوة .

وكالطير تحملها الرياح العاصفة في الشتاء فتطير اسراباً طويلة كثيفة في الهواء. هكذا هذه الارواح الشريرة تحملها تلك العاصفة الجهنمية فتديرها من هنا ومن هناك. من اعلى ومن اسفل. ولا امل لها بالاستراحة على الاطلاق حتى ولا بعذاب اخف .

وكطير الرها تعمل لدى طيرانها خطاً مستقيماً وتصيح شاكية في الهواء. هكذا رأيت انفساً عديدة تمر باكية وتنوح متألمة .

تقذفها العاصفة الجهنمية وتتلاعب بها. لذلك سألت معلمي من هم هؤلاء الذين تعاقبهم الريح الصرصر بهذا الشكل ؟

فاجابني: ان الاولى من تلك الارواح التي سألتني عنها. هي روح امبراطورة امم عديدة سامت نفسها لشهواتها. فخلعت العذار بتاتاً. ولكي تسد افواه اللائمين المتذمرين من الاعمال الشائنة التي كانت ترتكبها. وضعت قوانين حللت بها الى رعاياها ارتكاب تلك الرذائل وكانت قبلاً محرمة عليهم. فهي سيميراميس (Semiramide) [١] التي ذكر عنها التاريخ بانها خلفت بعلها نينو على الارض التي يحكمها الان السلطان. والثانيه [٢] هي تلك التي نذرت العفة بعد وفاة بعلها سيخو (Sicheo) ثم عشقت ولم تحفظ له عهداً.

(١) — سيميراميس: عاشت في الجيل العشرين ق. م. وكانت ملكه الاشوريين وزوجة الملك نينوس وخليفته في الملك بدلاً من ابنه القاصر نينيا. فساست المملكة بحكمة ونشاط. غير انها كانت خالعة العذار في معيشتها ولكي تبرر نفسها من خلاعتها سنت قوانين اجازت بها لرعاياها ارتكاب كل خطيئة دنسة. ويقال انها عشقت ابنها ثم قتلها بعد ان حكمت ٤٢ سنة.

(٢) — هي ديدونه: ويدعوها مؤرخو العرب اليسار - ملكة فينيقية ابنة ملك صور وزوجة سيخو. تركت مملكتها بعد وفاة بعلها وركبت البحر مع فريق من اتباعها ونزلت في افريقيه حيث شيدت مدينة قرطاجه وذلك سنة ٨٨٠ ق. م. وكانت نذرت العفة بعد ان ترملت. ثم هامت بانيئا ابن انكيزي ملك ترويا وبعد ان سلبته عرضها تركها وشأنها فانتحرت من اليأس وقد اشتهرت بخلاعتها المدفوعة ايها بالغرام المفرط وليس لارضاء شهوتها الحيوانية.

[في مختصر تاريخ الطليان للمعرب كلام مسهب عن بناء قرطاجه وحروبها الشهيرة معرومه]

وبعدها تأتى كلوبطره[1] الدعارة. ثم انظر الى هيلانه[2] التى سببت حروباً طويلة. واكيله العظيم[3] الذى دفعه الغرام لخوض معامع القتال. وفيما بعد وجه طرفك الى باريديس[4] وتريستانو[5] ثم دلنى باصبعه على نيف والف نفس من الانفس الهالكة بسبب الغرام .

---

(١) – كلوبطره: ملكة مصر ابنة بطليموس - عاشت من سنة ٦٩ الى سنة ٣٠ ق. م. كانت معشوقة يوليوس قيصر وانطونيوس الرومانيين . ثم وقعت اسيرة فى يد اوطافيانوس الذى دعى فيما بعد اغوسطس قيصر. فانتحرت تخلصاً من عار الاسر مسمومة من افعى [راجع حادثتها فى تحفة الجنان فى مختصر تاريخ الطليان]

(٢) – هيلانه: زوجة ميتيلاو ملك سبرطا - اختطفها باريديس. وكانت سببا لحروب ترويا .

(٣) – اكيله: (Achille) بطل منظومة اوميروس عشق بوليسنا اخت باريديس وقتل غيلةً .

(٤) – باريديس: ابن بريامو ملك ترويا - شهير بجماله ودعارته اختطف هيلانه السابقة الذكر وسبب عمله نشوب حرب ترويا .

(٥) – تريستانو: فارس قصصى حفيد مرقس ملك كورنوفاليا - عشق الملكة ايزونا زوجة عمه ولذلك قتله عمه مرقس شر قتلة .

فرنشيسكا داريمنى

Francesca da Rimini

بعد ما سمعت ما عدد لى استاذى الحكيم من اسماء النساء القديمات ورفقائهن تأثرت من حالهم وشفقت عليهم كثيراً حتى كاد يغمى علىّ . ثم قلت له ايها الشاعر: اتوق الى التكلم مع تينيك الروحين اللتين تسيران معا وتلوحان ان الريح تحملهما لخفتهما.

فقال : انتبه الى حينما تقتربان منا حينئذ سلهما بالحب الذى يجذبهما وهما يأتيانك. وحالما حملتهما الريح الى مقربة منا صرخت :

ايتها الروحان المتألمتان. تعالى كلمانا ان لم يكن ثمَّ مانع يمنعكما.

وكفرخى حمام يدفعهما الحب فيطيران باجنحة منبسطة ثابتة الى عشهما العذب خرج تانك الروحان من الصف الموجودة فيه ديدونه[٢] (اى صف الذين ارتكبوا الخطيئة لغرامهم وليس لاشباع شهواتهم الحيوانية). وآتتا الينا مجتازتين الفضاء الخبيث متأثرتين من دعوتى الودية .

---

(١) – فرنشيسكا داريمنى: ابنة غويدو مينورى من بولنتا وسيد رافنا. فى سنة ١٢٧٥ م. تزوجت فرنشيسكا بجانشوتو مالاتستا سيد ريمنى اعرج قبيح الصورة فرزقهما الله ابنة دعيت كونكورديا . ثم عشقت فرنشيسكا سلفها بولس شقيق بعلها وفى ذات يوم فاجأ الزوج المعشوقين وقتلهما وذلك سنة ١٢٨٩ م.

(٢) – ديدونه سبقت الاشارة اليها .

(وقالتا لى) ايها الانسان اللطيف المحسن الذى اتيت الى هذا الفضاء المظلم لتزودنا نحن اللذين صبغنا العالم الارضي بدمنا فلو كنا حاصلين على نعمة خالق الكون لكنا نضرع اليه من اجل سلامتك. لانك شفقت على عذابنا الهائل .

فنحن مصغيان الكل ما تريد ان تقوله لنا. ونقول لك ما يطيب لك استماعه. بينما الريح ساكنة (بامر الله) اكراما لك.

(فقالت فرنشيسكا) ان الارض التى ولدت فيها كائنة على شاطئ البحر (الادرياتيك) عند مصب نهر البو (Po) حيث تجرى مياهه. وتنضم الى مياه الانهار الاخرى لتستريح فى المحيط الواسع.

ان الحب الذى يستولى سريعاً على فؤاد لطيف حمل هذا (اى رفيقها) على الانشغاف بجسمى الجميل الذى سلبه منى فيما بعد بنوع انى لا ازال اشعر بالاهانة التى التحقت بى منه .

فالحب الذى يلزم دائما المحبوب ان يبادل الحب حبيبه. جعلنى ان احب هذا بقوة هكذا شديدة حتى ان ذلك الحب لم يزل مستولياً على كما ترى. (قال الاثنان) وهو الذى اوصلنا نحن الاثنين الى

ميتة واحدة. والدائرة القاينية[١] فى جهنم تنتظر روح من قتلنا .

هذا ما قالته لنا الروحان المشار اليهما . وعند ما سمعت كلامهما الملفوظ بنغمة محزنة اطرقت متألماً ومفكراً ومكثت على ته الحال الى ان سألنى الشاعر بما تفكر ؟ ولما استطعت الجواب تكلمت : وآسفاه . كم من افكار غرامية عذبة وكم من اشواق حادة حملت هذين الهالكين الى الموت الفظيع والهلاك الازلى .

ثم التفت اليهما وقلت: يا فرنشيسكا . ان عذاباتك تبكينى المآ وشفقة. ولكن قولى لى: فى ساعة التنهدات الهيامية الحلوة كيف استدليتما على حبكما المتبادل وكيف تفهمتماه وهو ما زال مكتوماً؟

فاجابت لا الم اشد من ذكر الزمن السعيد فى وقت الشقاء وهذا الامر يعرفه استاذك الحكيم. ولكن حيث انك تحب كثيراً ان تعرف كيف بدأ حبنا فانى ساعمل كما يعمل ذلك الذى يبكى ويتكلم. بينا كنا نتسلى يوما فى مطالعة رواية غرام لانشالوتو

(١) – الدائرة القاينية: نسبة الى قاين [حسب ضبط التوراة العبرانية الكريمة او قابيل حسب ضبط القرآن العربى الكريم] الذى قتل اخاه هابيل .

وهى احدى الدوائر الجهنمية معدة لعذاب قتلة الاخوة والاقارب كما سترى.

(Lanciallotto) [١] وكنا وحدنا لا رقيب علينا. ولا خوف من ان احداً يعلم بنا. وكثيراً ما حملتنا تلك المطالعة على ان نتبادل نظرات الحب والاصفرار يعلو وجهينا. ولكن نقطة واحدة انتصرت علينا وهى عندما وصلنا بالقرأة الى ان ذلك العاشق قبل الثغر البسام المعشوق. فهذا (بولس) الذى لن يفترق عنى ابداً. قبل ثغرى مرتجفاً. وكان لنا الكتاب ومؤلفه وسيطين. [اى غاليثوتو (Galeotto)] [٢] ولم نعد نواصل القرأة فى ذلك اليوم.

وبينا كانت فرنشيسكا تتكلم كان بولس يذرف العبرات حتى انى تأثرت شفقة عليه ولم اعد اشعر بشئ كما لو كنت فقدت الحياة. ثم سقطت كما تسقط جثة باردة.

---

(١) — لانشالوتو : احد ابطال روايات [الطاولة المستديرة] وكانت هذه الروايات كثيرة الانتشار فى زمن دانتى. كان هذا البطل ابن الملك المخلوع بانده بونوا فامتاز باعماله البطولية فى بلاط الملك ارتو حيث عشق الملكة عشقا قويا.

(٢) — غاليثوتو: اسم الوسيط بين الملكة ومعشوقها لانشولوتو. اى ان الكتاب ومؤلفه كانا وسيطين لفرنشيسكا وبولس كما كان غاليثوتو وسيطا للملكة ومعشوقها

النشيد السادس

توطئة

عاد دانتى الى رشده فوجد نفسه مع فيرجيليو فى الدائرة الثالثة حيث يعاقب الشرهون المنغمسون فى الاوحال. وعليهم تتساقط الامطار الممتزجة بالثلج والبرد يحرسهم المسخ شربيرو الذى ينبح من ثلاثة افواه. ويخمشهم بمخالبه وينهشم بانيابه. بين هؤلاء التعساء يجد دانتى احد مواطنيه المدعو شياكو الذى يتنبأله عن احوال وطنه فيرنزه المضطربة بالمنازعات القائمة بين حزبى البيض والسود. (المعرب)

النشيد

شربيرو والشرهون

فلما آب الىَّ عقلى الذى شعرت بفقدانه لتأثرى الشديد من تعاسة السلفين (المشوقين فرنشيسكا وبولس). تحركت والتفت حوالى واذا عذابات جديدة ومتعذبون جدد امام عيني .

انى الان فى الدائرة الثالثة . دائرة المطر الابدى الملعون والثقيل البارد الذى لا تتبدل كيفيته ولا صفته. ففى هذا الفضاء الحالك يتساقط البرد الضخم . والماء القذر . والثلج. والارض التى تستقبل كل هذه الاشياء الممتزجة تصير موحلا تنبعث منه رائحة كريهة.

هناك شربيرو. وحش مسخ شرس ينبح نباح الكلاب من افواهه الثلاثة على الانفس المنغمسة فى ذلك الموحل الكريه الرائحة . وله عينان قرمزيتان ولحية مصبوغة سوداء وبطن عريضة وقوائم ذات مخالب يخمش بها تلك الارواح ويمزق جلودها ويقطع لحومها. ان المطر يحمل تلك الانفس التعسة على ان تنبح نبح الكلاب وكل روح منها تحمى الاخرى بجنبها لانها كثيراً ما تدور من صوب الى اخر لتتق المطر.

وعندما ابصرنا المسخ الكبير فتح افواهه وارانا اسنانه وكانت اعضاؤه ترتجف من الغيظ. فمد مرشدى يديه الى الارض وتناول ملء قبضتيه تراباً ورمى به فى تلك الافواه الجائعة .

فكما يفعل الكلب الذى ينبح لدى شعوره بالجوع ويسكت عندما يلتقم طعاما بعد ان يشتغل بمضغه وازدراده. هكذا سكتت افواه ذلك الشيطان الرجيم الذى بنباحه يزعج اذان تلك الارواح المسكينة فتتمنى ان تكون صماء .

اما نحن فكنا نمر فوق الارواح التي يتساقط عليها المطر ونضع اقدامنا على خيالاتها التي كانت تحاكى الاجسام البشرية .

شياكو

وكانت تلك الارواح متمددة على الحضيض ،اعدا واحدة منها فلما ابصرتنا نمر امامها نهضت وجلست وقالت لى:

انت الذى انجذبت الى هذا الجحيم. اعرفنى ان كنت تستطيع فانك ابصرت النور قبل ان افارق الحياة :

فقلت لها ان العذاب الذى تعذبينه ربما يكون بدل ،ملامحك حتى انى لم اعد اعرفك ولا أذكر انى رايتك ابداً. قولى لى اذاً روح من انت. يا من أتيت الى هذا المكان المؤلم. وانى هذا العقاب المزعج الذى وان يكن يوجد عقاب اشد منه صرامة فانه لا عقاب يماثله انزعاجا.

فاجابتنى : انا عشت فى الحياة الاولى الصافية فى مدينتك الممتلئة حسداً يفوق الحد المعتاد. فانتم ابناء وطنى دعوتمونى شياكو[١] ولارتكابى خطيئة الشره اضنكنى المطر كما ترى. وليست روحى الشقية وحدها بل ان كافة هذه الارواح محكوم عليها بالعقاب نفسه للذنب عينه (قال هذا) وسكت .

---

(١) – شياكو (Ciacco): صراف شره من مدينة فيرنزه(Firenze) قبل انه لشراهته فى الاكل والشرب اضر عينيه فلم يعد يعرف النقود ومات كلبا.

نبوءة شياكو

فقلت له : ان عذابك يؤلمني يا شياكو حتى انه يبكيني .
ولكن قل لي ان كنت تعلم الى اي حد يصل اهالي فيرنزه
الذين قسمتهم الاحزاب ومزقت شملهم ؟

أما فيهم رجل ذو شعور عادل يستطيع ان يضع حداً لهذه الشرور المديدة؟
واخبرني ايضا لماذا كل هذا الخلاف ؟

فاجاب : ان بعد نزاع طويل سيتطاحن الحزبان[1] ويهرق
دم غزير ثم يفوز الحزب الاقل مدنية ويطرد الاخر بعد ان يكبده
خساير جسيمة. وغب مرور عدة سنوات يسقط الحزب الفائز
ويخلفه الاخر بمساعدة من يتظاهر اليوم بالحياد[2] ويلبث قابضاً على زمام
السلطة زمناً طويلاً ضاغطاً على خصومه ضغطاً عنيفاً فيتألمون منه كثيراً.

ان في فيرنزه رجلين عادلين غير انهما لا يتفاهمان. لان الرذائل الثلاث
اي الكبر والحسد والبخل المتسلطة على قلوب الاهلين تحول دون وفاقهما.

---

(١) – ان المنازعات الداخلية في فيرنزه قسمت اهاليها الى حزبين : السود
والبيض وكان دانتي من حزب البيض. فالسود كانوا قليلي المدنية لانهم كانوا اتوا
حديثا من القرى المجاورة وسكنوا المدينة .

(٢) – هو البابا بونيفاشيوس الثامن .

هنا انتهت نبوءة شياكو المؤلمة عن حال فيرنزه المنكودة الحظ. فقلت له ارغب اليك فى ان تخبرنى عن اشياء اخرى وتمكث معى ايضاً فتحدثنى. قل لى اين يوجد فاريناتا (Farinata) [١] وتيجايو (Teggaio) [٢] اللذان كانا من الاشراف ويعقوب روستيكوتشى (Rusticucci) [٣] واريغو (Arrigo) [٤] وموسكا (Mosca) [٥] وغيرهم الذين بذلوا جهودهم لخير المدينة . وساجتهد لاستعرافهم لانى باشتياق لاعلم اذا كانوا يتمتعون فى النعيم ام يتعذبون فى الجحيم؟.

فاجاب . انهم مقيمون بين ارواح اكثر ذنباً من هذه الدائرة . فان خطيئة اخرى قذفت بهم الى القاع. ومتى انحدرت كثيراً تقدر ان تراهم فيه .ولكن حينما تعود الى العالم العذب ارجومنك ان تذكرنى لمواطنى. ولن اقول لك غير هذا. ولن اجيبك بعد الان.

ثم ادار عينيه باعوجاج وكان حتى تلك الساعة ينظر فيهما مستقيما فنظر الى قليلاً ثم حنى راسه وتطلع الى اسفل اسوة بالعميان الاخرين (الشرهين المنغمسين فى الموحل) .

(١) – فاريناتا لوبرتى: من اشراف فيرنزه ومن حزب البيض وسياتى ذكره امامنا فى النشيد العاشر بين المارقين .

(٢) – تيجايو الدوبرتى: من اشراف فيرنزه ومن حزب السود. كبير النفس وسياتى ذكره ايضا فى النشيد السادس عشر بين اللواطين .

(٣) – يعقوب روستيكوتشى: رجل غنى ارتكب خطيئة اللواط وسياتى ذكره فى النشيد ١٦ .

(٤) – اريغو: لم يشا دانتى اظهار اسم عائلته والمظنون انه اريغو جاندوناتى من عائلة قديمة شريفة من فيرنزه .

(٥) – موسكا لامبرتى: سنرى ذكره فى النشيد ٢٨ بين ناشرى لواء الخلافات بين البشر .

قيامة الموتى

فقال لى مرشدى لا احد يبعث من هنا حتى يوم الدينونة عند ما ينفخ البوق الملائكى فيأتى المسيح عدو الارواح الشريرة. وتعود كل نفس الى رمسها وتسترجع جسدها وهيئتها البشريين ثم تستمع الحكم الاخير الابدى الذى يصدر عليها .

بعدئذ اجتزنا مكان الانفس الهالكة المنغمسة فى الوحل المتكون من المطر . وبينا كنا نسير رويداً تكلمنا قليلاً عن الحياة الآتية وقلت لمعلمى : قل لى بحقك هل تزداد هذه العذابات ام تنقص ام تبقى فى درجتها الحاضرة بعد صدور حكم الدينونة العامة؟

فاجاب: عد الى فلسفتك الاريسطوطاليسية (اى فلسفة اريسطوطاليس التى تعلمتها) وافهم انه بقدر مايكون الانسان كاملاً بقدر ذلك يشعر بالفرح والالم. والان وان كان هؤلاء الناس الملعونون لا يبلغون ابداً درجة الكمال. بيد انهم ينتظرون ان يكونوا بعد الدينونة العامة اكمل مما كانوا قبلها.

ثم درنا حول هذه الدائرة ونحن نتحادث عن الحياة العتيدة باكثر مما اشرحه الان. حتى اتينا النقطه التى منها ننزل الى الدائرة الاخرى فوجدنا فيها بلوتو[١] العدو الاكبر لراحة الانسان وسعادته

(١) – بلوتو (Pluto) اله الغنى يمثل البخل والاسراف معا .

النشيد السابع

توطئة

عند مدخل الدائرة الرابعة يستقبل بلوتو (Pluto) [١] الشاعرين بكلام غريب غير مفهوم. فيسكته فيرجيليو. ثم يواصل السير ذاهبا بتلميذه الى زيارة المكان الذى فيه يعاقب المسرفون والبخلاء المحكوم عليهم بقلب اثقال ضخمة. يقطع المسرفون نصفاً من الدائرة ويدور البخلاء حول النصف الاخر. وحينما يتقابل الفريقان يتبادلان كلاما قبيحاً . ثم ينحدر الشاعران الى الدائرة الخامسة حيث يقيم الغضبى المنغمسون فى الوحل . ثم يدوران حوالى المستنقع المدعو ستيجه (Stige) ويصلان الى سفح برج آخر .

(المعرب)

(١) – سبقت الاشارة اليه فى احدى حواشى النشيد السابق .

النشـــيد

بلوتو

كان بلوتو يصرخ بصوت أبح متلفظاً بالكلمات الاتية :

Papè satan. Papè satan. Aleppe . . . [بابه-اتان بابه-ساتان الپه][١]

فقال لى معلمى بلطفه المعتاد ليشجعنى وقد فهم القصد من هذا الصراخ الوحشى. لا تمكن الخوف من الاستيلاء عليك . فمهما يكن قوياً لا يحول دون انحدارك من هذه الصخرة . ثم التفت الى ذلك الوجه المنتفخ غضباً وقال : اصمت ايها الذئب الملعون.

---

(١) – ان هذه الالفاظ ليست ايطالية ولذلك قد اجتهد الشراح والمفسرون فى تفسيرها فلم يفلحوا لانهم لم يتمكنوا من اعطائها المعنى المقبول. اما نحن فنقول انها عربية الاصل غير انها مغلوطة الوضع والكتابة . واما هذا الغلط مقصود ام غير مقصود واما الشاعر كان عالماً بالعربية او غير عالم فهذا بحث لا مجال له هنا ونترك للمستشرقين الخوض فيه واعطاء النتيجة. وقد رأينا ان نفسر هذه الالفاظ او بالاحرى ان نعيدها الى اصلها فنقول :

باب الشيطان . باب الشيطان . اهبوا

فعلى ظننا قد اصبنا بذلك الهدف واتينا المعنى المقصود. والله اعلم .

ومت كمداً. فان لانحدارنا الى اعماق جهنم سبباً. هكذا شاء وا
فى السماء حيث مخائيل (جبريل رئيس الملائكة) انتصر على طغمة
الملائكة العصاة .

فكما تسقط الشراع المنتفخة بالريح وتلتف حالما ينكسر
السارى الكبير. هكذا سقط بلوتو الى الحضيض مقهوراً متكبياً .

البخلاء والمسرفون

حينئذ انحدرنا الى الدائرة الرابعة وتوغلنا فى النزول الى اسفل
مارين بالضفة الجهنمية المحتوية على كافة رذائل الدنيا الفانية .

آه ايها العدل الالهى . من يقدر غيرك ان يجمع عذابات
وعقوبات عديدة غريبة كالتى اشاهدها. ولماذا تعذبنا ذنوبنا
بهذ النوع ؟

فكمثل امواج بحر يونيو (Ionio) تتضارب فى مضيق مسينا
(Messina) بالقرب من كريدى (Cariddi) (اليوم يدعى كالوفارو
(Calofaro)) مع امواج بحر تيرينو (Tirreno) لدى ملتقاها ببعضها
هكذا يتناطح بقوة صفا المتعذبين فى الدائرة السابعة بينما يدوران
بهيئة رقص مؤلمة ويتلاقيان .

فرأيت هنا فى جهة. وهناك فى جهة اخرى اناساً اكثر عددا من مكان آخر يصرخون ويقلبون بصدورهم حجارة ضخمة وثقيلة جداً منقسمين الى فئتين : فئة البخلاء وهى على اليسار. وفئة المسرفين وهى على اليمين. وحيث محكوم عليهم بالجرى الدائم فى نصف الدائرة فلما يصلون الى منتهى قطرها تتقابل الفئة الواحدة بالاخرى فتتضاربان . وعند نقطة المقابلة نفسها كل فئة تدور على محورها وتقلب الحجارة ذاتها. وبينماهما تدوران تتشاتمان فيقول المسرفون للبخلاء : لماذا تجمعون؟ ويصرخ البخلاء للمسرفين لماذا تبذرون ؟

وهكذا يعود الفريقان الى اجتياز الدائرة المظلمة من كلتا الجهتين الى المكان المقابل مكررين الاهانات نفسها. ولما يصل الفريق الى نصف الدائرة. يدور ليجدد العمل الشاق الى ان يبلغ نقطة الملتقى .

فاصبحت من هذا المنظر كئيب القلب حزيناً. وقلت لمعلمى اشرح لى من هم هؤلاء المحلوقة رؤوسهم المقيمون على اليسار؟ فاجابنى : ان عقولهم كانت مظلمة فى العالم الفانى حتى انهم لم

يعرفوا ان يستخدموا اموالهم بالقياس اللازم كما يظهر لك بوضوح من العبارتين اللتين يتبادلونهما لدى وصولهما الى نقطة الملتقى . حيث يفرق بينهما البون الكائن بين الخطيئتين. فالذين على اليسار ذوو الرؤوس المحلوقة ماعدا اكليل فى اعلاها كانوا رهباناً واحباراً وكرادل وعلى جانب عظيم من البخل.

فلربما ايها المعلم يمكننى ان استعرف بعضاً بين هؤلاء كان منغمساً فى هذه الرذيلة .

فاجاب : عبثاً تفكر بذلك. لان الحياة التى قضوها بالخطيئة دون ان يعلموا حقيقة منتهى الانسان تجعلهم فى حال لا يمكن استعرافهم ولا يستحقون ان يدعوا باسم. فسيتطاحنون الى الابد فى نقطتى الدائرة . ويوم الدينونة يبعث البخلاء وأيديهم مطبقة ليظهروا انهم كانوا بخلاء فى الدنيا الغرور . ويبعث المسرفون وشعورهم مقصوصة ليظهروا انهم اسرفوا حتى انفقوا شعورهم. فان الاسراف وحشد الاموال دون قياس افقداهم جنة النعيم . والقياهم فى هذه المعركة . فاضرب صفحاً عن شرح حالها لك بكلام منمق .

والان تقدر يابنى ان ترى كم هى قصيرة مدة الافتخار بانعامات الحظ الذى من اجله يتنازع البشر . فالاموال التى وجدت قبلاً والموجودة الان على وجه البسيطة لا تمكن احدى هذه الارواح التى اضنكها العذاب من ان تاخذ راحة ولو برهة واحدة .

الحظ

فقلت له قل لى الان ايضاً ايها المعلم ما هو هذا الحظ الذى ذكرت لى انه سيد خيرات الدنيا باسرها ؟

وهو : ان الخلائق الذين يعتقدون بحماقة ان الخيرات الارضية ملك للحظ لهم اغبياء جهلة فما الحظ سوى مدبر هذه الخيرات. واريد ان تفهم الان جيداً ما اقوله لك :

ان الله — الحكمة السامية — خلق السماوات واقام فى كل واحدة منها قوة محركة تمثلها طغمة من الملائكة بنوع ان كل طغمة تسطع فى دائرتها موزعة نورها على السواء . واقام بالوقت

نفسه لافتخارات العالم وخيراته قوة عامة موزعة ومنظمة. وهذه القوة انما هى الحظ الذى ينقل فى حين وآخر الخيرات الارضية من امة الى اخرى ومن عائلة الى غيرها دون ان يفقه العقل البشرى السبب الداعى الى ذلك. ولهذا نرى شعباً يامر وآخر ياتمر وفقاً لحكم هذا الحظ. وهذا الحكم مختبئ كاختباء الحية فى الاعشاب.

ان معرفة البشر لا تقدر ان تعارض هذا الحظ. فهو يدبر وهو يحكم وهو ينفذ احكامه المتعلقة بالخيرات الارضيه التى تتالف منها مملكته. وهكذا كل طغمة من الملائكة تجرى بارادتها فى منطقتها السماوية. فتبدلاته لا تنقطع ابداً والضرورة تجعلها سريعة. ولذلك كثيراً ما يحدث ان رجلاً محظوظاً يحصل ايضاً على قسم من اموال غيره

هذا هو الحظ الذى يذمه البشر ويلعنونه حتى الذين يجب عليهم امتداحه فانهم يطعنون فيه ويستهينون به دون حق

اما هو فغتبط لا يبالى بالاهانات التى يوجهها اليه البشر. ويدبر شؤون مملكته بسرور وانشراح ويتمتع بها بسعادة كالقوات الاخرى المحركة .

مستنقع ستيجه - الغضبى

فلننحدرن الان الى مكان احقر. فقد غابت الكواكب التى كانت تتصاعد عند ما تحركنا: ويحول الوقت دون مواصلة المبقاء هنا

فاجتزنا الدائرة حتى وصلنا الى الضفة المقابلة مادين بعين تنبع من تلك الضفة وتجرى مياهها فى قناة حفرتها بجريانها المتواصل وكانت المياه ذات لون قاتم. ونحن باتباعنا مجرى هذه المياه نزلنا الى الدائرة الخامسة بطريق شاق .

وهذه المياه القاتمة لدى وصولها الى شاطئ تلك الضفة الوعر يتكون منها مستنقع يدعى ستيجه (Stige) [١]. وكنت اتطلع بانتباه فشاهدت فى ذلك المستنقع اناساً غاطسين فيه ممتلئين وحلاً ومنظرهم محتقر قبيح . وكانوا يتضاربون ليس فقط بايديهم فحسب بل برؤوسهم وبصدورهم وباقدامهم ايضاً. ويمزقون باسنانهم اجساد بعضهم بعضاً ويقطعونها ارباً ارباً .

---

(١) - ستيجة : اسم النهر الثانى فى الجحيم . وهو مشتق من اليونانية ومعناه المخيف الهائل .

فقال لى معلمى الصالح : يابنى انك تشاهد الان ارواح اولئك الذين سلموا انفسهم للغضب. واريد ان تعتقد بكل تأكيد ان تحت المياه اناساً يتنهدون وعندما تتصاعد نفثاتهم تفقفق المياه من تحتها كما يمكنك ان تشاهد جيداً فى اية جهة توجه نظرك. وهم منغمسون فى الوحل ويرددون قائلين : انا فى الدنيا الجميلة التى تنيرها الشمس باشعتها كنا تعساء لاننا اشغلنا قلوبنا بالغضب. والان نتعذب فى المستنقع المؤلم. فهم يتلفظون بهذه الكلمات باصوات متقطعة لانهـا تبقى فى حناجرهم حيث الوحل والماء المنغمسون فيهما يمنعانهم عن التلفظ بالكلام الكامل. ثم درنا حوالى المستنقع القذر بين الضفة الناشفة وبينه ناظرين الى الخطأة الذين يبتلعون الوحل المنغمسين فيه واخيراً وصلنا الى سفح برج.

النشيد الثامن

توطئة

بينا يدور الشاعران حوالى المستنقع يسرع فلاجياس [١] بزورقه ليقلهم الى مدينة ديته [٢]. وفى اثناء الطريق يتقابلان مع فيليب ارجنتى [٣]. ولما يصلان الى ابواب المدينة يعترضهما الابالسة بعنف ويحولون دون دخولهما. فعبثاً يسعى فيرجيليو لاقناعهم. ثم يغلقون الباب بوجهه. فيؤكد لدانتى انه سوف ينتصر عليهم. وفيما هما فى تلك الحال يأتى من يساعدهما. (المعرب)

---

(١) – فلاجياس : من ابطال الميتولوجيا. غضب يوما على ابولو لاغتصابه ابنته كورونيدى وحرق هيكل دالو. لذلك قتله ابولو وارسله الى جهنم حيث يقوم فى نقل الارواح الهالكة فى مستنقع ستيجه الى اعماق الجحيم.

(٢) – ديته آلهة كان الوثنيون يعتقدون بانها ترأس الجحيم. ولكن دانتى هنا يدعو لوسيفاروس ديته ولذلك يلزم ان نفهم ان الدخول فى مدينة ديته يعنى اعماق جهنم. يقسم دانتى الجحيم الى قسمين: الاعلى اى الذى اجتازه الشاعر الى هنا وفيه يتعذب الخطاة الذين ارتكبوا الذنوب مدفوعين من شهواتهم او من محبتهم للدعارة. والاسفل اى اعماق جهنم. وهو يحتوى على الذين ارتكبوا الخطيئة بمكر وتوحش.

(٣) – فيليب ارجينتى (Argenti) : فارس فيورنتينى شديد الغضب والكبر. وضع لفرسه نعلين من فضة ولذلك دعى ارجنتينى اى فضى وكان خصما لدانتى فى فيرنزه

النشــيد

فلاجياس(Flagias) ونهر ستيجه(Stige)

فلنواصلن الحديث الذى كنا بدأنا به فى النشيد السابق فاقول: قبل ان نصل الى اسفل البرج الفت نظرنا الى قمته مشعلان يضيئان هنالك. وتجاههما مشعل اخر بعيد لا تكاد العين تراه. فالتفت الى بحر العلوم (فيرجيليو) وقلت: ما معنى الاشارة التى يعملها المشعلان؟ وماذا يجيب المشعل الاخر البعيد؟ ومن وضع تلك المشاعيل او الاشارات؟

فاجابنى: يمكنك ان تشاهد فوق امواج نهر ستيجه الحالكة الموحلة ما سوف يحصل للاشارتين هذا اذا لم يمنعك من النظر الضباب الكثيف المتصاعد من المستنقع.

وبينا كان يواصل كلامه شاهدت زورقاً فيه جذاف واحد اتياً نحونا باسرع من السهم والجذاف يصرخ قائلاً: لقد وصلت اخيراً ايتها النفس المحكوم عليك بالهلاك؟

فاجابه مولاى: يا فلاجياس يا فلاجياس عبثاً تصيح . ليس من سلطة لك علينا سوى انك تجتاز بنا المستنقع .

فاصبح فلاجياس لدى سماعه هذا الكلام يحترق غضباً لانه لم يقدر ان يبرد غليله. كمن يعلم بكونه مخدوعاً من امر يسعى لقضائه وحالاً يأسف لعدم تمكنه من اتمام ذلك الامر.

فنزل مرشدى الى الزورق ثم ادخلنى فيه وحالما وضعت قدماى ظهر بازدياد ثقل حمله وسار بنا غاطساً المياه باكثر من المعتاد (اى عندما يقل الانفس وحدها).

فيليب ارجنتى

ولدى اجتيازنا مستنقع ستيجه الهادئ انتصب امامى واحد مغطى بالوحل وقال لى: من انت ايها الاتى الى الجحيم قبل الاوان؟ فاجبته: ان كنت اتيت هذا المكان فلن امكث فيه. ولكن قل لى من انت وقد صيرك الوحل هكذا بشعاً قبيح الصورة: فقال الا ترانى انى هالك باك؟

فقلت امكثى فى مكانك ايتها النفس الملعونة. فانى عرفتك نفس من انت رغم وجودك بهذه الحال القذرة. حينئذ مد يده

الى القارب ليسكني ويجذبني الى المستنقع. غير ان معلمي وقد فهم قصده دفعه قائلاً : اذهب الى هناك مع الكلاب الاخرين ثم طوق عنق بذراعيه وقبلني وقال : يالك من ذي نفس كبيرة . مباركة المرأة التي حملتك في احشائها . فانك تحتقر الكبر احتقاراً عظيما . ان ذلك كان متكبراً في حياته ولم يأتِ عملاً فاضلاً يحيي ذكره. ولهذا السبب تتهيج روحه المتكبرة ههنا كما كانت تغضب في الحياة الاولى. فكم من الاحياء يظنون انهم عظماء واقوياء وبعد موتهم يأتون الى هنا يتمرغون في الاوحال كما تتمرغ الخنازير في الاقذار ولا يتركون من بعدهم ذكرى سوى اثار سيئة محتقرة .

فقلت: اتشوق يامعلمي ان اراه يغطس في هذه المياه الموحلة قبل ان نخرج من المستنقع. فقال : قبل ان ترى الضفة الاخرى تحقق رغبتك وتسر بمشاهدة كيف تعاقب الرذيلة .

وبعد قليل رأيت الانفس الهالكة تعذب روح ذلك المتكبر بنوع انني مازلت احمد الله واشكره عليه. فكانوا يصيحون: كلنا على فيليب ارجنتي. وكانت روح هذا المغضوب الفيورنتيني تلتفت وتعض ذاتها لتبرد غليل كبرها الهائج .

مدينة ديته

تركناه هناك ولن اتكلم عنه فيما بعد وعندها طرق أذنى صوت الم قوى فحملقت عينى ونظرت امامى . اما معلمى الصالح فقال لى: يا بنى سنصل قريباً الى المدينة المدعوة ديته وسكانها الزبانية يعذبون الانفس العديدة الهالكة. فقلت ايها المعلم انى ارى بكل وضوح فى الوادى ابراج المدينة محمرة كما لو كانت خارجة من النار . فقال: ان النار الابدية التى تستعر فى داخلها تظهرها حمراء كما ترى فى هذا القاع الجهنمى.

واخيراً وصلنا الى الحفر العميقة التى تحتاط مدينة ديته فتصب فيها مياه ستيجه . وكانت جدرانها تلوح لى مصنوعة من الحديد. وبعد ان درنا كثيراً فى هذه الحفر بلغنا مكاناً فيه صاح النوتى فلاجياس: اخرجا من الزورق. هنا مدخل المدينة .

مقاومة الابالسة

فرايت على الابواب نيف والف شيطان طردتهم السماء (حيث ثاروا مع لوسيفورس على الله). فاخذوا يصيحون والغيظ ملء افواههم: من هو ذاك الذى يدور فى عالم الاموات وهو مازال حياً يرزق ؟

فاومأ اليهم معلمى الحكيم بانه يريد التحدث اليهم سراً فسكتوا قليلاً. ثم قالوا تعال انت وحدك. اما ذلك الذى تجاسر على الدخول الى هذه المملكة فليذهبن حالاً وليرجعن وحده ادراجه بكل جرأة وليجرب اذا كان يعرف ان يرجع. وانت الذى ارشدته الى السبيل المظلم هذا ستبقى هنا .

تأمل ايها القارئ كيف كان خوفى لدى استماعى تلك الكلمات المشؤومة. واعتقدت اننى لست بعائد الى هذا العالم الارضى. وشعرت بفقدان قواى. وقلت لمرشدى العزيز يا من شجعتنى دائماً وانقذتنى من اخطار جسيمة كنت وقعت فيها لا تتركنى فى هذه الحال المؤلمة . واذا كان محظوراً علينا السير الى الامام فلنعد حالاً على اعقابنا فى الطريق التى اجتزناها. فقال لى السيد الذى ارشدنى حتى الساعة لا تخف فلا احد يستطيع ان يقف عثرة فى سبيلنا . فان الله اراد لنا هذه الرحلة. ولكن انتظرنى هنا قليلاً وردّ اليك روعك وشدد ثقتك بالنجاح فاننى لن اتركك فى العالم السفلى (الجحيم). قال هذا وذهب وانا لبثت يتجاذبنى عاملا الرجاء والشك فيما انه سيعود الى ارشادى لمواصلة السير ام يعتريه ما يعيقه عن ذلك .

انني لم اتمكن من استماع حديثه مع الزبانية غير انه لم يمكث كثيراً معهم لان كل واحد منهم انسحب باسرع ما يمكن الى داخل اسوار المدينة وقفلوا الابواب بوجهه وهو بقي خارجاً. ثم رجع نحوي بقدم متثاقله مطرقاً وعيناه خاليتان من التأثير الاكيد الدال على الثقة بالنفس حسب عادته وكان يتلفظ متنهداً: من منعني عن دخول مدينة الالم هذه؟ ثم قال لي: لا تنذهل اذ رايتني غضوباً فسانتصر في هذه المعركة مهما يكن من يحول دون دخولنا. ليست هذه المرة الاولى التي بها يتجرأون على معارضة الارادة الالهية. فقد سعوا قبلاً ليمنعوا المسيح يوم انحدر منتصراً في الليمبوس. وقفلوا الباب بوجهه ولكنه حطمه. ومن ذلك الحين مفتوح على مصراعيه. هو ذلك الباب عينه الذي شاهدت في اعلاه تلك الكتابة التي تذكر الانفس بالموت الازلي. وبينا انا اتكلم الان يخرج واحد من ذلك الباب ويأتي الينا دون ان نحتاج الى مرشد ويفتح لنا ابواب المدينة.

النشيد التاسع

توطئة

بينا دانتي وفيرجيليو ينتظران المعونة مفكرين يظهر فوق اسوار المدينة ثلاث آلهات الانتقام فيهددن الشاعرين ولكن ملاكاً يصل فيضرب الباب بعصا فينفتح حالاً وحينئذٍ يدخل الاثنان المدينة بلا مانع فيشاهدان هنالك الملحدين متمددين فى مدافن مضيئة لانهم كانوا يعتقدون ان لا زوال بالموت .

(المعرب)

النشيد

انحدار فيرجيليو الاول الى جهنم

ان الاصفرار الذى اعتلى وجهى من الخوف عندما ابصرت مرشدى عائداً اعاد اليه لونه كى يزيل عنى الوهم الذى كان اعترانى. فوقف يتنصت عله يسمع حركة مجئ احد لانه لم يكن ممكناً

النظر الى بعد شاسع بسبب الظلام المدلهم او الضباب الكثيف. ثم اخذ يقول: علنا مع ذلك نتغلب على هذه العقبة والا . . . ولكن المعونة التى تقدمت الينا قوية . . . كم اننى استبطأ قدوم من يقدم هنا .

ففهمت جيداً كيف احب فيرجيليو ان يخفى فى كلماته الاخيرة الشك الذى اظهره فى الاولى. ومع ذلك فان كلامه المتقطع قد اخافنى . لاننى افسر كلمة والا . . . بمعنى اوحش مما احب الاعراب عنه. ولكى اطمئن وجهت اليه السؤال الآتى :

الا ينحدر احد الى هذا القعر الجهنمى من الدائرة الاولى حيث العقاب الوحيد هو فقدان الامل بالحصول على الغبطة ؟

فاجابنى: من النادر ان يجتاز احدنا السبيل الذى اسلكه الان. ومع ذلك فقد اتيت هنا مرة اخرى اجابة لتوسلات اريتونه[1] الظالمة التى كانت تعيد الارواح الى اجسادها. وكانت روحى قد فارقت جسدى من زمان قصير حينما اجتازت بى الى ما بعد ذلك السور لتجذب منه روحاً كانت فى دائرة يهوذا (التاسعة)

(١) – اريتونه : ساحرة شهيرة فى تساليا [اليونان] يقال انها اعادت الحياة الى ميت لتنباء لبومبئوس القائد الرومانى عن نتيجة واقعة فرسالو .

ان تلك الدائرة لاعمق دوائر جهنم واظلمها وابعدها عن اعلى الطبقات السماوية. فكن مطمئناً . انني لعارف الطريق الذى نسلكه. ان هذا المستنقع الذى تصعد منه رائحة كريهة يحيط بمدينة الالم حيث لا نستطيع الدخول بالحسنى .

آلهات جهنميات

وقال فيرجيليو غير ما ذكر انفاً بيد انني لم اتذكر. لان نظرى اتجه نحو ذروة ذلك البرج الملتهب حيث ظهرت فجأة ثلاث آلهات جهنميات مصبوغات دماً ولهن هيئات نسائية واعناقهن مطوقة بافاعى خضراء وفى شعورهن حيات صغيرة وفى ضفائرهن حيات كبيرة :

فعرف فيرجيليو تلك الالهات بكونهن حواريات ملكة عالم البكاء الابدى. وقال لى : انظر هذه الالهات المتوحشات. فالتى على اليسار تدعى ميجيرا (Megera) (المعدوة) والتى تبكى على اليمين تسمى اليتو (Aletto) (عديمة الراحة). والتى فى الوسط فهى تيسيفونى (المنتقمة للقتيل) ولم يزد على هذا الكلام .

فكانت تلك الالهات الجهنمية يخرمشن صدورهن ويصفقن ويصحن بشدة حتى انني التصقت بفيرجيليو من الخوف.

ثم التفتن الىّ صارخات: فلتأتي ميدوسا لنصيرها حجراً وقد اسأنا في عدم انتقامنا من تيسئو (Teseo) [١] بسبب هجوم البشر على الجحيم.

فاسرع معلمي وقال لي: التفت الى الوراء وطبق عينيك. فاذا ظهرت الفرغونيات [٢] ورأيتهن فلا يعود بامكانك الرجوع الى العالم. قال هذا وواراني بنفسه واذ لم يثق بانني اغطي عيني بيدي جيداً غطاها بيديه ايضاً.

فعليكم ايها القراء ذوو العقول السليمة ان تتأملوا في ما يتوارى طي هذه الابيات الغريبة من التعاليم الالهية [٣].

---

(١) – تيسئو: بطل في الميتولوجيا اليونانية. وهو ابسل ابطالها بعد اركولي يقال بانه انحدر الى الجحيم ليختطف بروسربينا ملكة عالم البكاء الابدي ولكنه اسر وبقي هناك الى ان انحدر اركولي وانقذه.

(٢) – الفرغونيات: شقيقات ثلاث في الميتولوجيا وهن ميدوسا واراليا وستينو. وكانت شعورهن استحالت افاعي واياديهن نحاساً قلزاً. ويصير حجراً كل من ينظر اليهن.

(٣) – ان التعاليم التي يرمز اليها دانتي في كلامه هذا قد اختلف الشراح في تفسيرها وفهمها. اما نحن فنرى ان الشاعر قصد بها ان ينبه القراء على ان يتأملوا في العقوبات المعدة للخطأة في اعماق جهنم وفي انواع الذنوب التي من اجلها استحقوا تلك العقوبات الصارمة ويعتبروا.

الملاك والدخول فى مدينة ديته

كان يتصاعد من امواج ستيجه المكدرة ضجيج مرعب ترتجف منه ضفتا النهر وكان شبيهاً بريح صرصر متكونة من مختلف العناصر الطبيعية تهب فى الغابة فتقتلع الاشجار وتكسر الاغصان وتحملها الى بعيد وتتقدم بتيه ممتلئة عجاجاً يهزم الوحوش والمواشي والرعاة .

فكشف فيرجيليو عيني وقال لى: انظر الآن الى المياه المذبدة فى تلك الجهة حيث يتصاعد الدخان باكثر كثافة .

فكالضفادع لدى رؤيتها الافعى عدوتها تختفى كلها فى المياه وتختبئ بالموحل. هكذا ابصرت نيف والف نفس منهزمة خائفة لدى رؤيتها ملاكاً يجتاز ماشياً فوق مياه ستيجه دون ان تبتل قدماه وكان يحرك يده اليسرى امام وجهه ليبعد عنه ذلك الضباب الكثيف ويلوح بكونه تعباً فقط من ذلك العمل المزعج .

فعرفت حالاً انه مرسل من السماء والتفت الى معلمى ولكنه اشار الى بالسكوت والانحناء امام الرسول الالهى .

آه كم كان يلوح لى ذلك الملاك متكدراً . فوصل الى الباب وما لمسه بعصاه حتى انفتح دون ما اعتراض . وانشأ يصرخ وهو واقف فى العتبة الهائلة ويقول : ايها القوم المحتقرون المطرودون من السماء انىّ لكم هذه المجرفة ؟ لماذا تخالفون تلك المشيئة التى لا قوة تقدر ان تحول دون اتمام مقاصدها ؟

فكل مرة تقاومونها تزيدكم عذاباً [١]. اية فائدة ترجى من مخالفة الارادة الالهية ؟ الا تذكرون ما حل بشربيرو [٢] عند ما اراد ان يعارض انحدار اركولى ؟ فطوق بسلاسل ما زالت آثارها ظاهرة للعيان فى عنقه المسلوخ جلده منها .

ثم عاد الملاك فى الطريق القذرة ولم يتكلم معنا وكان منظره اشبه بمنظر من له رغبة واهتمام شديدان بامر غير الذى امامه. اما نحن فاطمأننا من تصرفه وتحركنا نحو مدينة ديته .

---

(١) – حسب اعتقاد دانتى وغيره من علماء عصره ان عقوبات الخطأة تزداد الى يوم الدينونة العامة .

(٢) – شربيرو: اراد منع اركولى من الدخول فى جهنم فمسكه البطل بعنقه وبعد ان قيده بالسلاسل جره الى خارج الباب .

الملحدون

ودخلناها بدون ما مقاومة . وكانت نفسى تتوق كثيراً الى رؤية حال الخطأة الموجودين فى ذلك المعقل وصنف عذاباتهم . فالتفت الى ما حولى فرايت من كل جهة برية متسعة ممتلئة الاماً وعذابات جسيمة .

فكما يُرى فى ارلس (Arles) [٣] حيث يستنقع نهر رودانو (Rodano) وفى بولا ايضاً [٤] بالقرب من خليج كوارنيرو (quarnero) الذى يسد الطريق عن ايطاليا ويبلل حدودها. من القبور العديدة التى تجعل الارض غير متساوية ولا متشابهة . هكذا رأيت فى الارض هنا القبور منتشرة فى كل جهة اتجه اليها نظرى. غير ان منظر هذه كان مؤلماً اكثر من تلك. لان اللهيب يستمر فيها وتبقى مشتعلة اشتعالاً قوياً . فلا يمكن حداد ان يحمى حديده

(١) — ارلس : مدينة فى بروفنسا على ضفة نهر رودان الشمالية حيث توجد مدافن رومانية عديدة .

(٢) — بولا — مدينة بحرية على شاطئ ايستريا الجنوبي يرويها خليج كوارنيرو وفيها قبور رومانية عديدة .

مثلما كانت هاته القبور حامية. وكانت اغطيتها مرتفعة فيتصاعد منها انين يمزق الاكباد ولا شك انه صادر عن مساكين محكوم عليهم بعقوبات صارمة .

فسألت استاذى من هم اولئك المدفونون فى هذه المدافن التى تتصاعد منها تنهدات هكذا مؤلمة ؟

وهو اجابنى: هنا يتعذب رؤساء الشيع الملحدون واتباعهم وكل رمس يحتوى على انفس اكثر مما تظن.

ففى كل قبر محشورة انفس شيعة معينة. وتستعر نيران القبور بشدة كثيرة ام قليلة بالنسبة لخطورة الالحاد .

ثم عطفنا نحو اليمين ومررنا بين المدافن المحرقة حيث يتعذب الملحدون واجتزنا اسوار مدينة ديته المرتفعة .

النشيد العاشر

توطئة

يمشي الشاعران بين الاقواس والاسوار. وبينما يعرب دانتي لفيرجيليو عن رغبته في رؤية الاناس المدفونين والتحدث الى بعضهم يسمع صوتاً يستدعيه وهو صوت فاريناتا اوبرتي. وفيما هو يتحادث معه يقاطعه كافالكانته كافالكانتي. فيستعلم منه عن ابنه غويدو. وبعد ان يجيبه الى بعض اسئلته يواصل الحديث مع فاريناتا الذي يتنبأ له بابهام عن منفاه. (المعرب)

النشيد

الابيكوريون[1]

ذهب استاذي في طريق ضيق بين سور المدينة والمدافن وانا سرت وراءه . ثم شرعت اقول له : يا صاحب الفضيلة

(١) - هم تلامذة مدرسة الفيلسوف اليوناني ابيكورو الذي كان يعلم ان النفس تموت مع الجسد .

السامية. يا من تقودني في الدوائر الجهنمية. تكرم ان كنت تشاء بالاجابة عن سؤالي. وبارضاء رغبتي قليلاً. هل من الممكن رؤية الاناس المتمددين في هذه المدافن ؟ فان اغطيتها كلها مرتفعة ولا احد يحرسها.

فاجابني: ستغطى كافة هذه المدافن عندما يعود اصحابها الى هنا بعد حضور الدينونة العامة في وادي يوشافاط[1] باجسادهم التي تركوها في الدنيا الفانية.

هنا يعاقب ابيكورو[2] وجميع اتباعه الذين لا يعتقدون الحياة الخالدة بل ان النفس تموت مع الجسد.

اما السؤال الذي وجهته اليّ فانني اجيبك عنه حالاً كما انني سارضي رغبتك التي لم تعرب لي عنها الا وهي مشاهدة احد مواطنيك.

فقلت له : يا مرشدي العظيم انني لم اظهر لك افكاري ورغائبي كلها حتى لا اطيل عليك الكلام فقط لا سيما وانت ذاتك نصحتني دائماً ان اكون موجزاً .

---

(١) – يوشافاط: وادٍ بالقرب من اورشليم ستكون فيه الدينونة العامة.

(٢) – ابيكورو : فيلسوف يوناني. عاش في آتينا [٢٧٠ – ٣٣٢ ق. م.] مؤسس مدرسة الابيكوريين على مبدأ عدم اعتقاد الحياة الاخرى وعلى التماس الحصول على السعادة الفائقة في الحياة الدنيا .

فاريناتا اوبرتي

وكافالكنته كافالكانتي

. فسمعت فى هذا المكان صوتاً دوى من احد تلك القبور كان يقول: ايها التوسكانى الذى مازات حياً ترزق وآتٍ لزيارة مدينة النار وتتكلم بحشمة. تكرم بالوقوف هنا قليلاً. فان لهجتك تدل على كونك مولوداً فى ذلك الوطن الشريف (فيرنزه) الذى ربما كنت اكثرت من ازعاجه .

فلما طرق سمعى هذا الكلام خفت والتصقت بمرشدى . فقال لى: مابك؟ التفت وانظر الى هناك فترى فاريناتا اوبرتى[1] قد انتصب على قدميه. ويمكنك ان تعاينه من وسطه فما فوق .

---

(١) – فاريناتا اوبرتى : كان ابا لعائلة شريفة ورئيسا لحزب السود فى فيرنزه ولد فى اوائل الجيلُ الثانى عشر وعاون فى طرد البيض سنة ١٢٤٨ وعندما عاد هؤلاء الى فيرنزه سنة ١٢٥١ نفى فاريناتا مع عائلته سنة ١٢٥٨ والتجأ الى سينا (Siena) واستعان بالملك مقفريدى وانتصر على اعدائه فى جبل اوبرتى وذلك عام ١٢٦٠ بعدئذ رجع الى وطنه غب ان طرد منه العدو وتوفى سنة ١٢٦٤ وكان من اتباع شيعة الابيكوريين التى سبق ذكرها .

اما انا فكنت ابصرته قبلاً . وهو كان بالحقيقة انتصب على قدميه فى قبره وتدل هيئته الى كونه محتقراً للجحيم كثيراً.

فدفعتني يد المرشد حالاً الى وسط المدافن لاقترب من فاريناتا قائلاً لى : فليكن حديثك صريحاً جلياً .

وحالما اقتربت من قبره تفرس بى قليلاً ثم سالنى بازدراء: من هم اسلافك ؟

وحيث كنت ارغب فى الامتثال لنصيحة مرشدى سردت اليه خبر اسلافى. فرفع طرفه قليلاً حتى يتذكر ثم قال: ان اقاربك كانوا اخصاماً اشداء لى ولاسلافى ولحزبى حتى اننى شتت شملهم مرتين

فاجبته: بالحقيقة انهم طردوا مرتين ولكنهم عادوا مرتين ايضاً بيد ان اسلافك لم يتعلموا هذه الحرفة (اى الرجوع).

حينئذ انتصب خيال[١] من رمس مكشوف كان بالقرب من قبر فاريناتا فبرز وجهه فقط لانه كان جاثياً على ركبتيه حسبما اظن ونظر الى حوالى كانه يريد ان يرى اذا كنت وحدى او كان

---

(١) — هذا خيال ام روح كافالكانته كافالكانتى من اشراف فيرنزه لعب دوراً هاما فى حوادث الحزبين السود والبيض وقد شرحناها سابقا ٠

احد معي. ولما زال شكه قال لي باكياً: طالما سمح لك بزيارة هذا السجن المظلم لما انت عليه من سمو العقل فاين ابني ؟ ولماذا لم يأت معك ؟

فاجبته: اني لست اتياً وحدي فالذي ينتظرني هنا قريباً انما هو مرشدي في زيارتي هذه. ولربما ابنك غويدو[1] لم يعتبر مؤلفاته.

فقد كنت فهمت من كلامه ومن صنف عذابه من هو ولذلك كان جوابي له محكماً.

فانتصب حالاً وقال: ماذا تقول؟ انه لم يعتبر؟ بصيغة الماضي. اليس هو حياً الان؟ الا تسطع بعد اشعة الشمس في عينيه؟.

ولما رآني ابطأت عليه بالجواب عاد حالاً الى قبره ولم يعد يظهر ابداً.

اما ذلك السري (فاريناتا) الذي كنت وقفت بناء على طلبه فلم يغير موقفه. اي لم يلفت وجهه ولم يحنه. واستأنف الحديث وقال: ان عدم تعلم اسلافي حرفة الرجوع يؤلمني اكثر من عذابي

(١) – غويدو بن كافالكانته السابق ولد في فيرنزه سنة ١٢٥٠ ومات سنة ١٣٠٢. كان من الشعراء المشهورين المعاصرين لدانتي وصديقا له.

هذا . ولكن لن تمضى خمسون بدراً (شهراً) الا وترى كم هو صعب تعلم تلك الصنعة (الرجوع الى فيرتزه على من ينف منها) .

وحيث تسنى لك العود الى العالم المذب قل لى: لماذا يعامل البيض عائلتى بقساوة فيحرموها الامتيازات الممنوحة لها ؟

فاجبته: ان الانكسار الذى حصل فى واقعة وادى اربيا[١] الدامية اضطرنا الى تقرير هذه المعاملة فى اجتماعاتنا .

وبعد ما تنهد وهز رأسه قال : اننى لم احضر تلك المعركة ولولا اسباب قاهرة لما تحركنا لا انا ولا هم . ولكن الا تذكر كيف اننى بعد فوزنا فى امبولى دافعت وحدى عن فيرتزه وحلت بذلك دون خرابها ؟[٢] .

بصيرة الهلكى

ثم قلت له: ارجو منك ان تحل لى العقدة التى عقدت الان فكرتى والله يسلم ذرعك (ذريتك). فيظهر انكم انتم الهلكى تبصرون المستقبل وليس لكم معرفة ما فى الحاضر .

(١) – اشتهر وادى اربيا بعد الواقعة الدامية التى حصلت فيه بين حزبى فيرتزه: البيض والسود .

(٢) – بعد واقعة وادى اربيا المشار اليها آنفا اجتمع السود فى امبولى وقرروا خراب فيرتزه فاعترضهم فاريناتا الذى كان حاضرا الاجتماع وفاز باعتراضه .

فقال: اجل. نحن نبصر المستقبل وليس لنا علم بالحاضر كمن يرى الاشياء البعيدة وليس يرى القريبة. وهذا ما بقى لنا من نعم الاله المتعال. وعندما تكون الاشياء قريبة او حاضرة فلا نقدر ان نميزها. وان لم يات احد من العالم الارضى ويخبرنا باموره فاننا لا نعلم شيئاً عن حالتكم البشرية. ولكنك تقدر ان تفهم ان معرفتنا تبطل تماماً عندما يقفل باب المستقبل (اى بعد يوم الدين يصير كل شيء ازلياً).

وحيث كنت ندمت على ابطائى بمجاوبة كافالكانته قلت لخاطبي: قل لذلك الذى عاد الى رمسه. ان ابنه حى يرزق. وان سبب تأخرى عن مجاوبته هو لاننى كنت افكر فى العقدة التى حللتها لى الان .

وكان معلمى يستدعينى فرجوت من محدثى ان يسرع ويقول لى من معه فى المدفن فقال : انى مدفون هنا مع نيف والف نفس بينهم فدريك الثانى[١] وغيره اضرب صفحاً عن ذكرهم . قال ذلك وتوارى.

---

(١) – فدريك الثانى Federico II : امبراطور ولد فى ياسى يوم ٢٦ ديشمبرى [كانون الاول] سنة ١١٩١ ومات فى فرنتيئو من اعمال بوليه يوم ١١ ديشمبرى [كانون الاول] ١٢٥٠ اشتهر بمنازعاته مع الباباوين غريغوريوس التاسع وايئوشنزوالرابع

فالتفت نحو الشاعر القديم (فيرجيليو) وانا مفكر بذاك الحديث الذى يشير الى منفاى.

اما فيرجيليو فمشى وفى اثناء الطريق سألنى قائلاً: لماذا انت تائه بافكارك هكذا؟ فاخبرته بالسبب. فانبنى بقوله: عليك الآن تنسى ما سمعته عن مستقبلك. وانتبه الآن الى ما امامك؛ قال ذلك وهو رافع اصبعه علامة الامر. ثم استطرد: ولما تصل الى امام الشمس الساطعة او البدر اللطيف (بياتريشه) فعيناها الجميلتان تنظران الى كل شيء. حينئذ تعلم منها حقيقة مستقبل حياتك.

ثم لفتنا ميساراً فغادرنا السور وذهبنا نحو نصف الدائرة فى سراط يؤدى الى وادى الدائرة السابعة تصعد منه رائحة كريهة.

النشيد الحادي عشر

توطئة

قبل ان يخرج الشاعران من الدائرة السادسة لينحدرا الى السابعة يستريحان وراء غطاء ضريح البابا انسطاسيوس. وهناك

يشــرح فيرجيليو لدانتى حال دوائر الجحيم الثلاث الاخــرى اى السابعة والثامنة والتاسعة التى عليهما ان يزوراها .

ففى الدائرة السابعة يتعذب العنف وتقسم هذه الدائرة الى ثلاث حلقات:

ففى الحلقة الاولى يوجد العنف ضد القريب. وفى الثانية العنف ضد انفسهم والمنتحرون ومبذروا اموالهم. وفى الثالثة العنف ضد الله.

وفى الدائرة الثامنة يقيم الغشاش وتقسم هذه الدائرة الى عشر حلقات:

ففى الحلقة الاولى يتعذب الوسطاء . وفى الثانية الملاقون. وفى الثالثة السيمونيون (من السيمونية نسبة الى سيمون او سمعان الساحر. وهى محاولة الارتقاء بالمال الى الرتب الروحية). وفى الرابعة الانبياء الكذبة والعرافة. وفى الخامسة المحتالون. وفى السادسة المراؤون. وفى السابعة اللصوص. وفى الثامنة المستشارون المخدوعون. وفى التاسعة زراعو الشقاق والشكوك. وفى العاشرة المزورون .

واما فى الدائرة التاسعة فيتألم الخونة وهم منقسون الى اربع حلقات:

ففى الحلقة الاولى يقيم خونة الاقارب وتسمى قاينية. وفى الثانية خونة الوطن وتسمى انتنورية . وفى الثالثة خونة الثقة وتدعى طولومية. وفى الرابعة خونة الاحسان ويقال لها يهوذية.

ثم يسير الشاعران متحاذيين ويصلان الى النقطة الواجب الانحدار منها.

(المعرب)

النشيد

ضريح البابا انسطاسيوس

فوصلنا الى حافة ضفة عالية مؤلفة من حجارة كبيرة مقطوعة ومرتبة بشكل دائرة. وكانت هذه الدائرة تشرف على مكان يحيط به سور وفيه اناس يتعذبون عذابات اليمة جداً. فاضطررنا الى الوقوف بسبب الرائحة الكريهة التى كانت تتصاعد من اسفل وتوارينا وراء غطاء ضريح عظيم رايت مكتوباً عليه: احرس البابا انسطاسيوس(١) لانه استقبل فوتيوس المحروم من الكنيسة بسبب مخالفته الايمان الصحيح .

---

(١) – البابا انسطاسيوس: خلف البابا جالاسيوس فى ٢٤ نوفمبرى [تشرين الثانى] سنة ٤٩٦. هنا دانتى يتبع حديثا مشهوراً فى عصره وهو انه فى عهد البابا انسطاسيوس استعرت حرب دينية بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية . وحيث كان البابا محبا للسلام بعث سنة ٤٩٧ وفداً رسولياً مؤلفاً من اسقفين الى امبراطور الروم بالقسطنطنية ليستحصلا منه شطب اسم اكاشيوش الملحد من المراسيم المقدسة وكان هذا اسقف قيصرية فى اورشليم . وفى تلك الأثناء اتى روما فوتيوس اسقف تسالونيكيه وكان من اتباع اكاشيوس فاحسن البابا انسطاسيوس استقباله فحرك عمله هذا غضب الاكليروس الرومانى ضده .

وصف الاماكن الجهنمية

فقال الاستاذ : من اللازم ان نمكث هنا قليلاً قبل ان نحدر حتى يعتاد شمنا هذه الرائحة الكريهة. وبعدئذ ننزل بدون انشغال بال .

فقلت: لا بأس. غير انى اسألك ان تجد لى ما يقتل الوقت ويفيدنى. فقال : هذا ما افكر فيه الان. انظر يا بنى الى اسفل هذه الحجارة حيث توجد ثلاث دوائر اخرى الواحدة اضيق من الثانية وتحاكى التى اجتزناها حتى الان وكلها ممتلئة ارواحا ملعونة. فليكفك النظر اليها والانتباه الى ما اقوله لتعلم سبب حشرها هنا.

ان كل عمل يؤسس على المكر يحرك غضب الله. فانه عبارة من ظلم يرتكبه المرء اما باستعماله القوة . واما باتخاذه الغش حباً بايقاع الضرر بقريبه. وحيث كان الغش يتاتى من استخدام العقل استخداماً سيئاً. فالانسان وحده قادر على استخدامه. ولذلك يستجاب بالاكثر غضب الله . بناء عليه يقيم الغشاش فى اعمق مكان من جهنم حيث يعاقبون بكل صرامة .

ان الدائرة الاولى التى ستشاهدها يشغلها العنف. وحيث كان من الممكن استعمال العنف ضد ثلاثة اشخاص. تقسم هذه الدائرة الى ثلاث حلقات .

يستطيع المرء أن يستعمل العنف ضد الله وضد نفسه وضد قريبه ملحقاً الضرر بهم شخصياً وماليا كما ستعلم بوضوح. يسيء الانسان استعمال القوة ضد قريبه فيقتله او يجرحه. ويلحق الاذية باملاكه اما بتخريبها او بتعطيلها او بحرقها. وبالربا الفاحش. ولذلك فى الحلقة الاولى يتعذب القتلى والجارحون بتوحش والمخربون واللصوص منقسمين الى فرق مختلفة.

ويمكن للمرء استعمال العنف ضد نفسه فينتحر. وضد امواله فيبذرها. ولذلك فى الحلقة الثانية يبكى وينوح عبثاً من شدة العذاب. كل شخص فى الحياة الفانية اعدم حياته وبذر امواله حكم عليه بالهلاك فى هذه الحياة الخالدة. مع انه لو احسن استعمال حياته الاولى وامواله لكان يتمتع بجمال النعيم السماوى .

يقدر الانسان ان يتخذ العنف ضد الله فيجحده فى قلبه. ويجدف على اسمه. ويسير ضد الطبيعة البشرية وضد الجودة الالهية ولذلك فى الحلقة الاخيرة التى هى اضيق من الاولين تحشر ارواح سكان سادوم[١] وكاورسا[٢] وكل من يحتقر الله فى قلبه ويجدف على اسمه الالهى.

---

(١) - سادوم : مدينة قديمة فى فلسطين انزل الله عليها زفتا وكبريتا فاحرقها لان سكانها ارتكبوا خطايا ضد الطبيعة .

(٢) - كاورسا : مدينة فى كوارسى العليا من اعمال فرنسا اشتهر اهلوها بارتكابهم الذنوب نفسها .

يستطيع الانسان ان يستعمل الغش -الذى يقلق كل ضمير- ضد من يأتمنه وضد من لا يأتمنه. وهذا النوع الاخير من الغش اى مع من لا يأتمنه يتعدى على الربط الطبيعية التى توجب على البشر ان يحبوا بعضهم بعضاً. ولذلك فى الدائرة الثانية يقيم الجبناء والملاقون والسحرة او الرقاة والمزورون واللصوص والسيمونيون ووسطاء الدعارة وسماسرة الشر وغيرهم من هذه الاصناف القذرة

اما بالنوع الاخير من الغش فليس فقط يهان الحب المسكونى الواجب ان يربط البشر بعضهم ببعض فحسب. بل كثيراً مايكون السبب لقطع علاقات القرابة والصداقة التى منها تتولد الثقة. ولذلك فى الدائرة الجهنمية الاخيرة وهى الدائرة الكائنة فى النقطة المتوسطة فى العالم يجلس ديته (لوسيفاروس) ويعاقب الخونة عقاباً ازلياً.

شكوك دانتى

فقلت له ايها الاستاذ : ان حديثك لصريح جداً فانه يبين جلياً حال اعماق جهنم والهلكى المقيمين فيه . ولكن قل لى لماذا لا يعاقب الله هنا ايضاً الغضبى والحمقى والحساد والمتكبرين اذا كان

غاضباً عليهم. فانهم بالعكس يتعذبون فى مستنقع ستيجه الموحل الكائن خارج مدينة ديته. واذا لم يكن حانقاً عليهم فلماذا يتعذبون فى تلك الكيفية ؟.

فاجابنى . لماذا يتيه عقلك عن جادة الحق المعتادة ؟ فلربما تشغله افكار اخرى؟

الا تذكر تلك الكلمات التى قالها اريسطوطاليس [١] فى مؤلفه [اتيكا] -وانت درسته- فى ثلاث رذائل تمقتها السماء وهى: ارتكاب المنكرات والمكر والبهيمية الدنيئة. وكيف ان ارتكاب المنكرات يهين الله باقل درجة فيستحق اخف عقاب؟.

---

(١) - اريسطوطاليس : الفيلسوف الاغريق الشهير وقد مر بنا ذكره يقول فى مؤلفه «اتيكا» ان للقلب البشرى ثلاثة ميول فيجب محاربتها وهى: ارتكاب المنكرات والمكر والبهيمية الساقطة. فالاول على نوعين: ارتكاب المنكرات البسيط وهو الافراط بالتمتع بالملذات المؤسسة على الحاجات الجسدية، والمركب: هو الافراط بالتمتع بالملذات الزائدة المرتفعة من نفسها :

اما المكر فهو بعكس الفضيلة اعنى الميل للمعيشة ضد القواعد العادلة ويشمل كافة الميول السيئة المعبر عنها بالغش. والبهيمية: هى الميل لارضاء الشهوات العديمة اللذة بنفسها (كالقساوة والخطايا المضادة للطبيعة الخ) فبحسب هذا التعليم الاريسطوطاليسى وضع دانتى مرتكبى المنكرات خارج مدينة ديته والاخرين اى، مرتكبى المكر والبهيمية داخلها اى فى اعماق جهنم .

فاذا امعنت الفكرة جيداً بهذا الحكم وتذكرت من هم المعاقبين خارج مدينة ديته تفهم جيداً لماذا اولئك منفردون عن هؤلاء، ولماذا العدل الالهى المهان منهم قليلاً يعاقبهم باخف عقاب.

فقلت له: يالك من شمس تنير كل عقل تظلمه الشكوك فتبدد عنه غياهب الجهل. انك لتسرنى كثيراً حينما تزيل شكوكى. فالريبة عندى ليست اقل قيمة من المعرفة. فعد قليلاً بحديثك الى تلك النقطة التى اشرت بها الى ان الربا يهين الجودة الالهية. واشرح لى هذه العقدة لانه يلوح لى ان الربا يؤذى القريب فقط.

فاجاب: ان الفلسفة تعلم من يفهمها وليس فى قسم واحد: ان الطبيعة تصدر عن العقل الالهى وعن عمله. فاذا تصفحت مؤلف اريسطوطاليس الذى درسته تجد حالاً فى صفحاته الاولى ان الصنع البشرى يتبع الطبيعة بقدر مايستطيع كما يتبع التلميذ معلمه. فالصنع البشرى اذاً هو ابن للطبيعة ويمكن ان يدعى تقريباً حفيداً لله.

واذا كنت تتذكر ما ورد فى بدء سفر التكوين «ان على الانسان ان يحصل خبزه بعرق جبينه». حينئذ تفهم جيداً ان

عليه ايضاً ان يتعلم لينمي قواه مستمداً ذلك من الطبيعة والصنع. وحيث كان المرابي يسلك طريقاً غير التي رسمها الله فيهين الطبيعة نفسها والعمل الذي يتبعها لانه يسعى للكسب من ثمرة المال الذي يقرضه .

ولكن اتبعني فاني ارغب في اتمام الرحلة لان برج الحوت صعد في الافق والدب الاكبر اصبح في مستوى الثور والريح يهب من الغرب الى الشمال (اى نحو الساعة ٢ صباحاً) والمكان الذي يجب ان نحدر منه بعيد جداً من هنا فيلزمنا والحالة هذه ان نمشي طويلاً قبل ان نبدأ بالهبوط الى الدائرة السابعة .

النشيد الثاني عشر

توطئة

يصل الشاعران الى الدائرة السابعة حيث يجدان مينوتورو[١] واقفاً يحرس المكان بهيئة تهديدية. فيسكن فيرجيليو جأشه: ثم ينزل الشاعران الى حيث يتمرغ العنف فى الدم المغلى الفائر يحرسهم ويصيح بهم فرقة من الشناتير[٢]. منهم ثلاثة يريدون ان يحولوا دون مرورهما. غير ان فيرجيليو يتكلم مع رئيسهم ويحصل على ان يكون احدهم دليلهما. ويقود دانتي الى الضفة الاخرى.

وبينا دانتي يدور حول بحيرة الدم يسمع اسم بعض الارواح المحكوم عليها بالهلاك فى ذلك المكان ويقف على حالها.

(المعرب)

---

(١) – مينوتورو (Minutauro) : هو من ابطال الميتولوجيا وحكايته ان باسيفا الاكريتية ابنة ابولو وبرسيده وزوج مينوس هامت بثور ولكي تتمتع به دخلت فى بقرة خشبية امرت بصنعها خصيصاً فحملت، وولدت مينوتورو هذا نصفه انسان ونصفه ثور.

(٢) – شنتور (نسناس): جسم نصفه انسان ونصفه حيوان وقد جمعناها شناتير وهم من ابطال الميتولوجيا اليونانية .

النشـــيد

مينوتورو

ان المكان الذى اتيناه لننحدر من الدائرة السادسة الى السابعة ليس فقط كان وعراً جداً فحسب. بل كان هنالك وحش قائماً بحراسته تشمئز النفس من منظره القبيح .

وكالخراب الحاصل (فى جبل بركو) سواء اكان من الزلازل ام من ضرب المياه عليه فجعل التراب ينهال من تحته ويسقط فى نهر اديجه الى الضفة المحاذية ترانتو. هكذا كان الخراب فى الجبل حيث انفلقت الصخرة وسقطت الى وسط النهر الكائن تحته وفيه الصخرة الوعرة المتكسرة. قد جعل فى نتآتها ممراً لمن يريد الهبوط من اعلى الجبل الى اسفله بقطع النظر عن وعورة هذا الممر وصعوبته.

فعلى هذه الكيفية كانت حافة الوادى حيث كنا وصلنا ورأينا عليها مينوتورو متمدداً - وهو اصل شقاء جزيرة اكريت - كانت حملت به البقرة الكاذبة. فلما رآنا غضب غضبة شديدة وعض نفسه من الغضب الذى يحرق قلب الانسان ويفقده لذة استعمال العقل.

فالتفت الحكيم اليه وصرخ به قائلاً: اتظن ان معى تيسيو[١] ملك اتينا الذى فتك بك فى الدنيا؟ حد من الطريق ايها الوحش لان هذا (الذى معى) لم يأت منقذاً من شقيقتك[٢] ولكنه آت ليشاهد عذاباتكم.

حينئذ رايت مينوتورو فعل كما يفعل ذلك الثور الذى حينما تصيبه الضربة القاضية. فان تمكن من الانفكاك من الحبل فلا يعلم كيف يتجه ولكنه يقفز من هنا ومن هناك. فعندها انتهز فيرجيليو الفرصة المناسبة وصاح بى: عجل ومر فالافضل ان تنحدر بينما هو فى حال الغضب.

اصل الخراب

وهكذا سرنا فى تلك الحجارة الخربة التى كثيراً ما كانت تتحرك تحت قدمى نظراً للثقل غير الاعتيادى (لكونه حياً). وكنت امشى مفكراً. فقال لى فيرجيليو: ربما تفكر فى هذه الخربة التى يحرسها ذلك الوحش الذى اسكنت الان غضبه. انى ارغب فى ان

(١) – تيسيو: ملك اتينا ارشدته اريانا ابنة مينوس وعشيقة تيسيو ذاته ليقتل مينوتورو.

(٢) – هى اريانا المذكورة اعلاه التى ارشدت تيسيو الى طريق الفتك بمينوتورو كما تقدم بنا ذكره فى الحاشية السابقة.

تعلم ان هذه الصخرة لم تكن خربة ساقطة لما انحدرت فى المرة الماضية الى هنا -الى اسفل الجحيم- ولكن الحقيقة -ان لم اكن مخدوعا- فهى: قبل ان يأتى بزمن قليل ذاك الذى انقذ الانفس من الهبوس (يسوع المسيح). اهتز هذا الوادى من كل جانب حتى خلت ان العالم شعر بالحب حسب تعليم البعض - الذى يعتقد ان بالحب او بالاتفاق كثيرا ما استحال العالم - فضاء[1]. وحينئذ تخربت هذه الصخرة بهذا الشكل من هنا ومن جهة اخرى .

الشناتير

ولكن انظر الى اسفل. فاننا نقترب من نهر الدم حيث يتعذب اولئك الذين استعملوا العنف ضد القريب .

فيا ايها الطمع الاعمى الذى تحملنا على اذية الغير باموالهم. او ايها الغضب المجنون الذى تدفعنا الى اهانة البشر فى الحياة القصيرة الزائلة. وتغرقنا هكذا فى الحياة الازلية بكل الم فى نهر الدم ! .

(١) - اعتقد الفيلسوف اليونانى امبدوكله وعلم ان العالم مركب من خلاف العناصر . وباتفاق تلك العناصر وحبها لبعضها بعضا يستحيل فضاء .

نظرت الى اسفل واذا حفرة متسعة مستديرة كالتى وصفها لى مرشدى ـ والسهل يحيط بها من كل جانب ـ. وبين سفح المنحدر وبينها طريق ضيق فيه كان الشنتاتير يجرون الواحد خلف الاخر مسلحين برماح كعادتهم عندما كانوا فى الدنيا الفانية يذهبون للقنص. وحالما رأونا منحدرين وقفوا. وافترق ثلاثة منهم عن البقية وكانوا تسلحوا قبلاً بالقسى. فصرخ احدهم من بعد (موجها كلامه نحونا): الى اى عقاب تأتيان انتما اللذان تنحدران من الساحل؟ فاجيبا من هناك والا اطلقت عليكما القوس.

فاجاب استاذى: سنجيب كيرونه عندما نصل الى مقربة منكم. ان ارادتك كانت دائما مستعجلة وهذا ما اضر بك كثيراً. ثم لمسنى بخفة وقال: ان ذلك الذى تكلم انما هو نيسو[1] الذى مات حباً بديانيرا الجميلة. وانتقم بنفسه من اركولى. والذى فى الوسط وينظر الى صدره كمن يفكر. هو كيرونه العظيم[2] الذى هذب

(١) ـ ايسو شنتورو (سناس): شهير فى الميتولوجيا اليونانية. سعى ليختطف ديانيرا زوجة اركولى. ولكن هذا جرحه بسهم سام وعندما كانت روحه تفيض سلم لديانيرا ثوبه الملطخ بالدم المسموم قائلا لها ان لهذا الثوب القوة باعادة زوجك اليك فيما اذا خانك وابتعد عنك. فصدقت ديانيرا الخبر والبست اركولى الثوب فمات مجنونا

(٢) ـ كيرونه: (شنتورو) ايضا يحكى انه كان طبيباً وعرافا وفلكياً وموسيقياً ربى وهذب اكيله واسكو لابيو واركولى وغيرهم من مشاهير اليونان و علمائهم.

اكيله. والاخر هو فولو[١] الذي كان ممتلئاً غضباً وحشياً. فهؤلاء الشفاترة يطوفون الفاً بعد الف حول الحفرة راشقين بالسهام كل روح تصعد من الدم قبل الاجل المحكوم عليها بتمضيته فيه.

فاقتربنا من هؤلاء الوحوش السريعة وتناول كيرونه سهماً ودفع براسه شاربيه وجذبهما الى الوراء ليظهر فمه. ولما كشف عن ثغره الكبير قال لرفقائه: اما رأيتم ذاك الذي يسير خلف الاول كيف تحرك الحجارة تحت قدميه. وهذا لا تفعله عادة اقدام الموتى.

فاجابه مرشدي الصالح الذي كان اصبح بالقرب من صدره حيث تلتصق الهيئة البشرية بالهيئة الحيوانية: انه لحي وانا بدون معين اخر يجب علي ان اريه وادي الجحيم. فهو مضطر الى ان يقوم بهذه الرحلة للضرورة وليس للانشراح. وقد كلفتني بهذه المهمة امرأة جاءت خصيصاً من النعيم حيث ينشد الطوباويون هاللويا. فهو ليس باص. ولست انا بنفس لص. ولذلك اكراماً لتلك الفضيلة الالهية احرك قدمي بهذه الطريق الوحشة. فزدني اذاً باحد رجالك ليرشدنا ويدلنا على المكان الذي منه يمكننا ان نجتاز مشياً على الاقدام. ويحمل رفيق هذا على ظهره لانه ليس بروح ليستطيع ان يطير بالهواء

---

(١) — فولو: شنتورو ثالث يقال بانه ثمل من الخمر في عرس بيريتو وايبودامية وسعى ليغتصب العروس وغيرها من النساء الاغريقيات.

فالتفت كيرونه يميناً وقال لنيسو عد وارشدهما. واذا صادفت جماعة من رفقائك دعهم يحيدون من طريقكم .

العنف ضد القريب

فمشينا مع الحارس الامين طيلة شاطئ بحيرة الدم الفائر حيث الهالكي يتعذبون ويصيحون. فشاهدت اناساً غائصين في الدم حتى عيونهم. فقال الشنتورو الكبير: انهم المستبدون الذين كانوا يستعملون العنف بنوع مضاعف ضد الاشخاص وضد اموال الغير. فهم يعاقبون عن الاضرار القاسية التي اوقعوها بالقريب. فهنا الاسكندر[١] وديونيزيو[٢] الضار الذي ابكى بظلمه صقلية (Sicilia) سنوات عديدة.

١ - اختلف الشراح في تعيين الاسكندر الذي يعنيه الشاعر هنا فالبعض ذكر انه اسكندر المكدوني الملقب بذي القرنين. وقال آخر انه اسكندر ملك اورشليم. وظن غيرهم انه اسكندر فيريا وكان يقد البشر او يحملهم على ان يرتدوا جلود وحوش ضارية حتى تفترسهم الكلاب فيما بعد . وعلى كل فهؤلاء جميعهم اشتهروا بالعنف .

(٢) - ديونيزيو الشيخ: ظالم سيراغوزا (Siracusa) ولد سنة ٤٣١ ومات ٣٦٧ ق. م.

اما ذلك الذى راسه مغطى بالشعر الاسود فهو ازوليغو[١] والاشقر اوبيزو[٢] داسته الذى قتله ربيبه .

حينئذ التفت نحو فيرجيليو دهشاً. وهو قال لى: صدق كل ما يقوله لك. ولا تنتظرنى كى اوافق على كلامه .

ثم بعد هنيهة وقف الشنتورو امام بعض اناس غائصين فى الدم حتى اعناقهم وارانا روحاً كانت منفردة فى زاوية وقال لنا: انها روح غويدو منتفورته[٣] الذى قتل حفيد ملك انكلترا فى الكنيسة اثناء الذبيحة الالهية (القداس). وان قلب القتيل لا يزال يكرم حتى اليوم فوق نهر التيمس. بعدئذ رأيت اناساً رافعين رؤوسهم واواسطهم خارج شاطئ الدم فعرفت كثيرين منهم .

وهكذا بينما كنا نسير الى الامام كان الدم ينخفض حتى انه فى آخر الدائرة كاد يغطى اقدام الهلكى . وفى هذه النقطة كان

---

(١) – ازوليبنو الثالث: من رومانو ولد سنة ١١٩٤ ومات سنة ١٢٥٩ ظلم مقاطعة ماركه تريفيجانا مدة ثلاثين عاما .

(٢) – اوبيزو الثانى داسته: مركيز فراره وماركه انكونا ابن رينالدو واديلايدى من رومانو حكم بظلم واستبداد من سنة ١٢٦٤ الى سنة ١٢٩٣ .

(٣) – غويدو مونتفورته: نائب ملك توسكانا. فانتقاماً لابيه المقتول فى فيتربو بامر من ادوار الاول ملك انكلترا قتل اريغو حفيد الملك فى احدى الكنائس اثناء اقامة القداس وجره بشعره الى خارج المعبد . فوضع قلب القتيل فى حقة ذهبية مقفولة ووضعت فى قمة عمود منصوب فى راس جسر (كبرى) لوندرا فوق نهر التيمس.

الموقع المعين لمرورنا فى الحفرة. ولما وصلنا اليه قال الشنتورو: فكما انك تراه الدم ينقص من هذه الجهة اعلم ان من الجهة الاخرى ينخفض العمق ولذلك يرتفع الدم الى ان يصل الى المكان الذى فيه ينوح الظالمون الهالكى الغائصون حتى عيونهم .

هنا العدل الالهى يعاقب اتيلا Attila (عطيل)[١] الذى كان بلية حقيقية على العالم. وبيرو (Pirro)[٢]. وسستو (Sesto)[٣]. وهذا الدم الفائر يعذب ابدياً ايضاً رينيرو من كورينتو (Riniero da Corinto)[٤] ورينيرو باتسى (Riniero Pazzi)[٥] اللذين كانا قطاعى طريق حقيقيين وارتكبا اعمال لصوصية عديدة .

ثم لفت الشنتورو الى الوراء وتركنا عائداً ادراجه.

---

(١) — أتيلا: قائد جيش الاونيين اشتهر باعماله الوحشية حتى لقب بغضب الله حكم من سنة ٤٢٣ الى ٤٥٣ ب. م.

(٢) — بيرو ملك الابير (البانيا) ولد سنة ٣١٩ ومات سنة ٢٧٢ ق. م، حارب الرومانيين واليونان وكان هائلا مع اعدائه .

(٣) — سيستو: احد ابناء بومبئو العظيم . بعد وفاة ابيه واصل المقاومة ضد يوليوس قيصر محاربا فى جزيرة صقلية .

(٤) — رينيرو كورينتو: قطاع طريق شهير افسد مقاطعة اغرو رومانو .

(٥) — رينيرو باتسى: من فيرنزه افسد باعماله اللصوصية مقاطعة فالدرنو .

النشيد الثالث عشر

توطئة

يجد الشاعران فى الحلقة الثانية من الدائرة السابعة المعينة لهلاك العنف ضد انفسهم وضد اموالهم. اى المنتحرين مستحيلة هيئاتهم اشجاراً برية ومعدة لمرعى الاربية[١]. ثم يصادفان بطرس ديلافينيا[٢] فيثبت لدانتى براءته. ثم يأتى المبذرون تطاردهم كلبات ضارية وتمزق جلودهم. فبينهم لانوماكونى ويعقوب سان اندريا واخيراً يحدث اليهما فيورنتينى شنق نفسه فى منزله.

(المعرب)

---

(١) – اربيه: بنات الحكاية. ابواهن تومنته والاتره. لهن هيئة طير بعنق ورأس امرأة.

(٢) – بطرس ديلافينيا: مولود فى كابوا من عائلة وضيعة تمكن من تحصيل العلوم والوصول الى وظيفة كاتم اسرار الامبراطور فدريك الثانى ومستشاره الوحيد. حسده المتقربون من الامبراطور ووشوا به بانه اباح اسرار الامبراطورية الى البابا فامر الامبراطور وبسمل عينيه بحديد حام. نبئس من حاله وانتحر بتحطيم رأسه على احد الجدران

النشــيد

غابة المنتحرين

لم يكن نيسو قد وصل من هناك (اى من نهر الدم) عندما كنا دخلنا غابة خالية من كل طريق : وكانت ذات منظر وحشى لا يحاكى مناظر الغابات الارضية. فاشجارها ليست بخضراء بل ذات لون حالك. وليست اغصانها مستقيمة ومرنة. بل معقدة وملتفة. وغير حاملة ثماراً بل اشواكا سامة. فالحيوانات البرية التى تنهزم من الاماكن المحروثة الكائنة بين نهر شيشينا وبلد كورنتو لا تجد غابات غضة قفرة كهذه الغابة التى فيها تعشعش الاربيات القبيحات اللواتى طردن التروايانيين من جزيرة ستروفادى[1] وتنبأن لهم بالضرر الآتى (اى بالجوع الذى سيصيبهم). فلهن اجنحة عريضة. واعناق ووجوه بشرية. واقدام بمخالب. وبطون متسعة شعراء. يرسلن من اعلى الاشجار الغريبة انينهن .

---

(١) — ستروفادى: ارخبيل فى بحر يونيو .

فانشأ استاذى الصالح يقول لى: قبل ان تسير الى الامام اعلم انك فى الحلقة الثانية (من الدائرة السابعة) وستبقى فيها الى ان تصل الى الساحة الرملية (الكائنة فى الحلقة الثالثة). فلذلك تطلع جيداً. فترى اشياء لو اخبرتك عنها فقط لظهرت لك غير قابلة التصديق.

بطرس ديلافينيا

Pier della Vigna

فكنت اسمع من كل فج صراخات الالم دون ان ارى الصارخ. فدهشت من ذلك ووقفت. فتصورت ان فيرجيليو ظن انى اعتقدت ان هاتيك الصراخات صادرة عن اناس توارو خلف الاشجار حتى لا نشاهدهم. لانه قال لى: اذا كسرت غصناً من هذه الاشجار يقف حالاً مجرى الافكار التى تشغل الآن عقلك.

حينئذ مددت يدى وكسرت غصناً من خوخة كبيرة. فصرخ بى الجذع قائلاً: لماذا كسرتنى؟ وبعد ان اسود دمه استقبلنى وقال: ولماذا قطعتنى؟ الا تشفق؟ كنا بشراً وصرنا اليوم اشجاراً. فمن الواجب ان تكون يدك اشفق حتى ولو كنا ارواح افاعى.

وكالجذوة الخضراء التي يحترق احد طرفيها فيخرج من الطرف الاخر صفير تحمله الريح الخارجة منه. هكذا كان يخرج من الغصن المقطوع كلام ودم معاً حتى انني تركته يسقط من يدي ولبثت كالرجل الخائف.

اما معلمي الحكيم فاجابه: ايتها الروح المهانة فلو كان اعتقد هذا قبلاً مع انه قرأ عنه في منظوماتي. لما كان مد يده اليك. غير ان الشيء غير القابل التصديق هو ان: ارواحا بشرية تختبئ في الاشجار حملني على ان انصحه ليكسر الغصن. وانني لمتكدر الان من هذا العمل نظراً الالم الذي الحقه بك. ولكن قولي له روح من انت كي يعوض عن الالم الذي الحقه بك بغير قصد فيذكرك في العالم الدنيا حيث مسموح له الرجوع.

فاجاب الغصن: ان كلامك اللطيف يروق لي حتى انني لا استطيع السكوت. فلا يصعب عليكما اذا لبثت اتحدث اليكما قليلاً. «انا بطرس ديلافينيا تسلطت على قلب الامبراطور فدريك الثاني بحيث ان اعماله الخيرية وغيرها اصبحت كلها قيد نصائحي. وكنت استعمل هذا النفوذ بلطف زائد حتى انه لم يشعر به. فتوصلت الى ابعاد كل متقرب منه خارج البلاط الامبراطوري. وكنت حريصاً

جداً على وظيفتى هذه الى حد انى ضحيت من اجلها راحتى وقواى. بيد ان الحسـد الذى لا يخلو منه بلاط امبراطورى على الاطلاق ـ وهو اصل كل رذيلة وكل اذية فى البلاطات كافة ـ حرك على قلوب المتقربين الاخرين. فحملوا الامبراطور على ان يغضب على. فتحولت كافة المفاخر العظيمة التى كنت متمتعاً بها الى احزان الىمة.

فتألم فؤادى من الاحتقار الذى اصابنى. ولاعتقادى ان بالموت اتخلص من وصمة الخيانة التى نسبت الىّ. حكمت ظلما على نفسي انا البرئ من التهمة الموجهة الى. فانتحرت. غير انى اقسم لكما بتربتى هذه انى لم اخن مطلقاً مولاى الذى كان جديراً بكل شرف.

فان عاد احدكما الى الدار الفانية فليبرئ ساحتى من تهمة الخيانة الشائنة التى اتهمنى بها الحساد». قال هذا وسكت.

اما فيرجيليو فقد انتظر قليلاً ثم قال: حيث انه سكت فلا يجب ان تضيع الوقت بل تحدث اليه وسله عما يطيب لك.

فاجبته: سله انت عما تظنه يهمنى معرفته. فانى لست استطيع التكلم نظراً لاشفاقى عليه .

حينئذ اخذ فيرجيليو يقول: ايتها الروح المسجونة فى هذا الجذع. ارجو ان دانتى يقدر ان يبرئ شرفك فى العالم الارضي والان

اذا راق لك اخبرينا كيف ترتبط الروح بهذه الجذوع المتعقدة . وقولى لنا ايضاً ـ ان كنت تعرفين ـ وان كان مسموحا لك بالكلام. هل تخلصت روح ما من هذه الجذوع ؟

عندئذ نفخ الجذع نفخة شديدة استحالت الى صوت يقول: انى اجيبكما بايجاز: «حينما تخرج الروح الشريرة من جسد المنتحر يرسلها مينوس الى الدائرة السابعة. فتسقط صدفة فى الغابة وليس لها مكان معين. وتنبت حيثما تسقط كحبة الحنطة او غيرها. ثم تنمو بهيئة غصن صغير. فتكبر شيئاً فشيئاً حتى تصير شجرة برية. فتأتى الاربيات وياكلن اوراقها فيؤلمنها ويفتحن جراحاتها فتخرج منها اصوات الالم والنحيب. وسنذهب كالانفس الاخرى اليوم الاخير الى الدنيا لنسترجع اجسادنا ولكننا ان نلبسها ـ اذ ليس من العدل ان يعاد للمرء ما قد كان نزعه عنه بيده ـ بل نجرها الى هذه الغابة الكئيبة. وكل واحد يعلق جسده على الشجرة المختبئة فيها نفسه».

المبذرون

واذ كنا على مقربة من الجذع ظانين ان بطرس يريد مواصلة الكلام فوجئنا بضجة تحاكى الضجة التى يسمعها الصياد الكامن

لطريدته ويخال اليه ان الهلوف (الخنزير البرى) والكلاب التى تتبعه آتية اليه. لانه يسمع نباحها وخشيش الاغصان. واذا روحان قادمتان نحونا من الجهة اليسرى عريانتين ومنهوشتين من الكلبات ومجروحتين من عوسج الغابة. وكانتا تنهزمان بسرعة شديدة حتى انهما كانتا تكسران فى طريقهما الاغصان الملتفة فى الغابة. فالمتقدمة منهما كانت تصيح قائلة: «اسرع الان اسرع ايها الموت». والثانية التى تظهر بكونها اقل سرعة كانت تصرخ: «يا لانو[١] انت لم تعرف تنهزم بسرعة هكذا فى واقعة التوبو[٢]».

وحيث كان ينقصها النفس لتواصل الجرى اختبأت فى الشجيرات النابتة حول الجذوع. وكانت الغابة ممتلئة كلبات سوداء جائعة ومسرعة كالكلاب السلوقية عندما تحل من قيودها. فعضت هذه الكلبات الروح المختبئة فى الشجيرات ومزقتها ارباً ارباً. وذهبت حاملة تلك الاراب المتألمة.

---

(١) – لانو مكونى: من اشراف سيينا ومتموليها: كان كثير الاسراف فبذر امواله واصبح فقيرا.

(٢) – التوبو: مزرعة فى ارتزو. فى سنة ١٢٨٨ حصلت واقعة بين اهالى ارتزو وسيينا وكان النصر حليف الاولين وفى هذه الواقعة القى لانو السابق الذكر نفسه تخلصاً من عار الفقر فلقى حتفه.

فاخذنى مرشدى بيدى وقادنى الى مكان الشجيرات التى كانت تنوح وتبكى عبثاً وتصرخ من الجراح الدامية قائلة: «يا يعقوب سان اندريا[1] ماذا افادك اختباءك فىّ ؟ اى ذنب لى فى حياتك الشقية ؟».

ولما اقتربنا من الشجيرات قال لها معلمى: «من كنت انت التى تسقطين نقط دم من اغصان عديدة وتنوحين هكذا ؟»

فاجابت: ايتها الروحان اللتان اتيتما فى الوقت المناسب لتشاهدا العار المؤلم الذى مزق اغصانى. فاجمعاها عند اسفل هذه الشجيرات التعسة.

«انى كنت من تلك المدينة (فيرنزه) التى بدلت شفيعها الاول مارت[2] بالمعمدان[3]. ولذلك مارت (اله الحرب) انتقاماً منها

---

(١) — يعقوب سان اندريا: بادوانى غنى وشريف اشتهر بتبذير امواله.

(٢) — يقال ان الفيورنتيين كانوا اتخذوا فى عصر الوثنية الاله مارت شفيعا لمدينتهم فيرنزه وغب ان اعتنقوا الدين المسيحى نزعوا من هياكلهم تمثاله ووضعوه فوق برج كائن بالقرب من نهر ارنو. وعندما زحف عليهم البربر بقيادة عطيله (Attila) خربوا المدينة والقوا التمثال فى النهر المذكور غير انه فى سنة ٨٠١ اخرج من النهر ونصب فوق راس الجسر المدعو فيكيو (Vechio) حيث بقى الى سنة ١٣٣٣.

(٣) — هو يوحنا بن زكريا واليصابات وعرف فى الدين المسيحى بالقديس يوحنا المعمدان لانه عمد يسوع المسيح فى نهر الاردن وكان احد الانجليين الاربعة اى الذين كتبوا الانجيل المقدس (كتاب النصارى).

سيجعلها فى نزاع دائم. ولو لم يكن باقياً للآن أثر من تمثاله فوق جسر نهر ارنو لكان ذهب بدون نتيجة عمل الاهلين باعادة بناء المدينة السابقة التى خربها عطيل[١].

فانا[٢] ربطت المشنقة فى منزلى وتعلقت بها فمت».

(١) – كان الفيورونتيون الاقدمون يعتقدون عدم امكان اعادة بناء مدينتهم فيرنزه مالم يجدوا تمثال شفيعها القديم مارت .

(٢) – لم يتفق الشراح على اسم المتكلم هنا فنهم من قال انه القاضي لوتوالى انتحر لانه اصدر حكما فاسدا . ومن قال انه روكو موتسي انتحر بعد ان بذر امواله الطائلة واصبح فقيرا (والله اعلم) .



النشيد الرابع عشر

توطئة

يدخل دانتى وفيرجيليو الحلقة الثالثة. وهى عبارة عن برية رمل حام تتساقط فيها دائماً السنة نار شديدة الالتهاب.

هناك يتعذب العنف ضد الله وضد الطبيعة وضد العمل. فيصادفا اولاً العنف ضد الله. وفيما هما يواصلان السير يجدان جدول دم. فينتهز فيرجيليو الفرصة ليشرح لدانتى اصل الانهر الجهنمية. ويقول عنها: انها تنبع من تمثال عظيم منتصب فى مغارة كائنة بجبل ايدا من جزيرة اكريت. وهذا التمثال مركب من مواد صغيرة تدريجياً. كالتمثال المشار اليه فى التوراة المحكى عنه ان بخت نصر رآه فى الحلم.

فمن فساد هذه المواد ـ اعنى من رذائل كافة العصور ـ تتكون الانهر الجهنمية.

(المعرب)

النشيد

العنف ضد الله

فحركتنى المحبة الوطنية وجمت الاغصان المنتثرة واعدتها الى ذلك الذى كان قد اضناه الكلام. ثم وصلنا الى الحد الفاصل بين الحلقتين -الثانية والثالثة- حيث شاهدنا نوعاً هائلاً من العدل الالهى.

ولاجيدن وصف الاشياء التى رأيتها اقول: اننا وصلنا الى سهل خاوٍ خالٍ ذى طبيعة لا تجعل ان ينبت فيه عرق اخضر. تحيط به الغابة المؤلمة. وفيه يتعذب العنف ضد الله. كما يحيط نهر الدم بتلك الغابة حيث يتعذب المنتحرون. فوقفنا عند حافة الرمل لاننا لم نستطع النزول الى السهل بسبب النار المحرقة. فان وطاء هذا السهل كان من رمل ناشف دقيق يحاكى الرمل الذى وطأته اقدام كاتونه[١] عندما قاد بقايا جيش بومبئوس فى صحراء ليبيا.

فيا ايها الانتقام الالهى. كم يخشاك كل من يطلع على وصف هذه الاشياء التى رايتها بام العين!.

(١) — كاتونه: رومانى شهير سيأتى بنا ذكره مطولا فى الجزء الثانى (المطهر)

انى رايت جماهير عديدة من الارواح العريانة كانت تبكى بتعاسة شديدة. ويظهر بانها محكوم عليها بعقوبات مختلفة. كان البعض منها ملق على ظهره. والاخر جالساً القريفصاء. وغيره دائم الحركة . وهذا الاخير كان اوفر عدداً . والارواح المتمددة على ظهورها اقل عدداً. وكانت تسمع انينها باكثر من الاخرى.

وعلى تلك الارض الرملية كانت تتساقط رويداً رويداً قطع نارية كبيرة كقطع الثلج التى تتساقط على جبال الالب حينما تكون الريح ساكنة. وكالالسنة النارية التى شاهدها الاسكندر (المكدونى) تتساقط على جيشه فى مقاطعة الهند الحارة. فتصل الى الارض بدون ان تنطفئ. وامر جنوده بدوسها ليطفئوها لانه كان لحظ ان بالدوس تنطفئ بسهولة قبل ان تصل اليها السنة نار جديدة فتتحد معها فيصير حينئذ من الصعب اطفاؤها .

بهذه الطريقة كانت النار السماوية الازلية تتساقط فيحمر السهل الرملى بسرعة ولا سرعة قدح الزند. وهذا ما كان يضاعف الم تلك الانفس الهالكة بسيرها على الرمل المحرقة. وكانت ايديها التعسة بحركة دائمة لتبعد عنها من هنا ومن هناك قطع النار المتساقطة عليها بلا انقطاع .

كابانيئو

فبدأت اقول لفيرجيليو: ايها الاستاذ يا من تنتصر على كافة العقبات. ماعدا اولئك الابالسة الذين اعترضونا عند مدخل المدينة. قل لى من هو ذلك العظيم الذى يظهر كانه غير مكترث بما يتساقط عليه من النار. فهو متمدد بعجرفة وعدم اهتمام.

اما هذا فشعر باننى اسأل عنه مرشدى فقال: «كنت وانا حى مثلما انا الان ميت. فاذا كان جوفه[١] اتعب فولكانو صانع الاسهم النارية واعطاه السهم ليقتلنى به. واذا كان اضنك ايضاً الشكلوبيين الذين يتبادلون تعاون فولكانو فى جبل اتنا صارخين: ايها الفولكان الصالح أعنا وساعدنا كما عمل فى واقعة فلاغرا. فلم يستطع الشعور بالرضا بانه انتصر على عجرفتى وعدم مبالاتى بعذاباتى مهما استعمل ضدى مما له من المقدرة.

حينئذ تكدر مرشدى من استماعه تجدفات ذلك الهالك المتكبر وتكلم بشدة لم اعتدها فيه قبل الان وقال:

---

(١) — جوفه، وفولكانو، وشيكلوبيون: كلها اسماء الهة وثنيين.
فولكان: هو ابن جوفه (المشترى) كان يشتغل حداد الالهة ولا سيما الهة النار. وكان يقال ان حانوته موجود فى جبل اتنا برفق الشيكلوبيين خدمته. وكان له اليد الطولى فى صنع السهم الذى رشقه جوفه فى الحرب ضد الجبابرة فى وادى فلاغرا.

«يا كابانيو[١] ان عقابك اشد من عقاب الغير لانك لم تخفض من كبرك. فلا عذاب خارج عن غضبك يكون قصاصاً مساوياً لحماقتك»

ثم التفت نحوى بلطف وقال: انه احد الملوك السبعة الذين حاصروا مدينة تيبه. واحتقر الاله كما يحتقره الان. ولكن كما قلت له. ان احتقاره هذا انما هو بالحقيقة العقاب الذى يستحقه.

فاتبعنى الان وانتبه جيداً الا تضع قدميك فوق الرمل المحرق بل سر دائماً نحو الغابة.

فليجيتونه

فبلغنا صامتين حيث يخرج من الغابة غدير الدم[٢] ما زال احمراره يزعجنى حتى الان.

ان هذا الغدير كان يجرى فى الرمل كما تجرى الساقية التى تخرج من بوليكامه[٣] وتستخدم لاستحمام المومسات. وكان قعره

(١) – كابانيو: احد ملوك اليونان السبعة المتعاهدين ضد مدينة تيبه. فصعقه جوفه. كان عنيفاً ضد الاله. ومع كونه متمدداً تحت النار المتساقطة عليه يظهر كانه غير مكترث بالقوة الالهية.

(٢) – هو غدير الدم الذى بعد ان يجتاز الحلقتين الاولى والثانية –اى غابة المنتحرين– يدخل الحلقة الثالثة.

(٣) – بوليكامه: بحيرة بالقرب من فيتربو (ايطاليا) كانت مياهها كبريتية حارة جداً منها تخرج ساقية تمر ببيوت المومسات اللواتى كن مامورات بالاستحمام فى تلك المياه فقط.

وجانباه من الحجارة ولذلك رأيت ان هناك المكان الموافق لاجتياز الحلقة. (ثم قال لى مرشدى) ان بين كافة الاشياء التى اريتك اياها حتى الان اى بعد ان دخلنا باب الجحيم المسموح لكل احد باجتيازه. انت لم تر شيئاً اهم من هذا الغدير الذى يطفئ كافة الالسنة النارية التى تتساقط فيه .

فتوسلت اليه كى يشرح لى ما يوجد فى هذا الغدير من المعجب المدهش لانه حرك فىّ الرغبة للوقوف عليه .

اصل الانهر الجهنمية

حينئذ قال لى: «ان فى وسط البحر المتوسط بلداً يدعى اكريت[١] وهو الان خرب. كان فى عهد ملكه الاول (ساتورنو) نقياً من كل رذيلة . وكان فيه جبل غنى بالمياه والاشجار يسمى ايدا[٢] وهو الان مهمل كالشئ الذى خربه الدهر.

ان الملكة ريا (زوج ساتورنو وام جوفه) انتقت ذلك الجبل كمهد لابنها جوفه لتواريه عن ابيه كى لا يفترسه اسوة ببقيه الاولين.

(١) – اكريت جزيرة فى البحر المتوسط تابعة الان لليونان .

(٢) – ايدا جبل فى وسط جزيرة اكريت .

والتخفى صراخه عندما يبكى كانت تأمر خدمتها بعزف زماميرهم وبدق طبولهم حتى لا يسمع صوته.

فى وسط الجبل قائم تمثال[١] شيخ كبير. ظهره نحو دمياط[٢] ووجهه تجاه روما[٣] كانها مرآته. رأسه من ذهب ابريزى وذراعاه وصدره من الفضة النقية. وبقية وسطه من نحاس. ومن وركيه الى اسفل من حديد خاص ماعدا الرجل اليمنى فانها من خزف. وهو يفضل التوكاء عليها .

فى كل جزء من هاتيك الاجزاء - ماعدا الراس الذهبى - شق تخرج منه دموع تجتمع عند قدمى التمثال وتخرق المغارة المنتصب فيها. ثم تجرى من صخرة الى اخرى. واخيرا تنحدر فى الوادى (جهنم). ومنها يتكون نهر كيرونته. ومستنقع ستيجه. وغدير فليجيتونته. ومن هذا المجرى الضيق تنحدر الى اسفل اى الى المكان حيث لا يعود ثمه نزول (عمق جهنم). وهنالك يتكون مستنقع كوشيتو الذى لا اقول لك الان كيف هو فانك ستراه فيما بعد »

---

(١) - يرى الشراح فى هذا التمثال رمزا للزمان مع مجرى الانسانية المتزايد. فالدموع التى منها تتكون الانهر الجهنمية تعنى الرذائل التى تؤدى بالانفس الى العذاب الابدى .

(٢) و (٣) - دمياط: مدينة قديمة فى مصر بالقرب من مصب النيل الشرقى يمثل فيها دانتى المشرق. كما انه يمثل فى روما المغرب.

ثم وجهت اليه السؤال الآتى: اذا كان هذا النهر ينبع هكذا من عالمنا فلماذا لم نره قبلاً. بل رأيناه هنا فقط؟

وهو - «انت لا تجهل ان الجحيم مستدير. واذ كنت بانحدارك الى عمقه مشيت كثيرا سائراً دائماً نحو اليسار فمع ذلك لم تطف للان بدائرته كلها. ولذلك لاتتعجب اذا لم تر قبلا هذا الغدير منحدراً».

وقلت - ايها الاستاذ: اين يوجد فليجيتونته وليته. فقد سكت عن الاخير وذكرت عن الاول بكونه مركباً من عبرات شيخ اكريت؟.

وهو - «يسرنى كثيراً كل ما توجهه الى من الاسئلة. ولكن كان من الواجب ان يحل لك دم الغدير الحار الذى تنظره احد السؤالين اللذين وجهتهما الان. لان فليجيتونته معناه: النهر المحرق. اما ليته فستراه ليس فى الجحيم بل فى قمة المطهر اى فى الفردوس الارضى حيث تذهب الانفس للاستحمام غب ان تكون كفرت عن ذنوبها بالتوبة»

ثم قال: لقد حان الوقت لنغادر الغابة المؤلمة التابعة للحلقة الثانية. فاتبعنى. فان جانب الشاطئ غير المغطى بالرمل المحرق ينطفى فوقه كل لهيب يكون لنا الطريق التى نسير فيها بدون ان يمسنا ضرر.

النشيد الخامس عشر

توطئة

بينا كان دانتي يتقدم في الارض الشاقة يصادف فرقة من العنف ضد الطبيعة (السادوميون) واحدهم برونيتو لاتيني يتعرف الى دانتي تلميذه القديم. فيقترب منه ويكلمه عن فيرتزه. وعن المصائب التي حلت بدانتي فيها. فبين فرقة التعساء هذه يسمع دانتي ذكر اسماء بعض العلماء الشهيرين. ولدى اقتراب فرقة جديدة يلتحق برونيتو بفرقته. لان هؤلاء الهلكى منقسمون الى فرق مختلفة بحسب نوع الذنوب التي ارتكبوها ضد الطبيعة .

(المعرب)



النشيد

العنف ضد الطبيعة

نسير الان على احد سدود الغدير الحجرية. والدخان يتصاعد من الغدير فيكون ضباباً كثيفاً فوقه يحفظ الماء والسدود سليمة من النار.

ان السدود التي بناها الفلمنكيون بين غوبزانته[1] وبروجس ليمنعوا فيضان البحر من ان يغرق بلدهم. والتى بناها البادوانيون طيلة ضفة نهر برانتا اليسرى ليحفظوا مدينتهم بادوا واراضيها سليمة من فيضان النهر قبل ان تذيب حرارة الشمس ثلوج جبل كيارنزانا[2] وتصب فى النهر المذكور فيفيض. كانت كلها شبيهة بالسدود التى كنا نسير عليها. غير ان بانيها لم يبنها لا مرتفعة ولا ضخمة مثل تلك.

---

(١) - غوبزانته وبروجس: هما مدينتان من الفلاندرا الغربية (البلجيك) وبين هاتين المدينتين بنيت سدود منيعة جداً لتمنع البحر من ان يفيض على البلاد ويغرقها

(٢) - كيارانزانا: جبل فى ترانتينو يمتد من ضفة نهر برانتا الشمالية وحينما تذوب الثلوج تكثر السيول فى الجبل فتصب فى النهر فيفيض ،

وكنا ابتعدنا كثيراً عن الغابة حتى انني لو كنت التفت الى الوراء لما كنت نظرت المكان الموجودة فيه. فصادفنا فرقة من الانفس اتية طيلة السد. وكانت كل نفس منها تنظر الينا كما ينظر المرء عادةً فى المساء الى الاخر حينما يكون القمر بدراً. وتغمز عينيها نحونا كما يفعل الخياط المسن حينما يريد ان يعبىّ ابرته .

برونيتو لاتيني

وبعد ان نظرت تلك الانفس الينا هكذا. عرفتني احداها فجذبت ذيل ثوبي وصاحت: ياللعجب! ومدت الىّ ذراعها. فتفرست فى وجهها المحترق فلم تصعب علىّ معرفته. رغم ما بدلته تلك الحروق. وخفضت وجهى نحو وجهه وقلت له : هل انت هنا يا سنيور برونيتو[1]؟ .

فاجابني: يا بنى لا يأخذ على خاطرك ان كان برونيتو لاتيني يعود الى الوراء ويترك رفقاءه موقتاً ليتحدث اليك قليلا .

---

(١) – برونيتو لاتيني: فيورنتيني من حزب البيض ولد نحو ١٢١٠ ومات ١٢٩٤ وكان محرر المقاولات وسكرتير البلدية عالماً اديباً وضع عدة مؤلفات ويقال بانه كان استاذا لدانتي .

فقلت له: بكل انشراح وبقدر ما استطيع. فاذا شئت ان امكث معك فانني لن ارفض ذلك لا سيما اذا رضى رفيقي هذا.

فقال: يا بني ان خطأة هذه الفرق لا يستطيعون الوقوف. ومن يقف دقيقة واحدة يضطر فيما بعد ان يمكث مئة عام بدون ان يبتعد عن النار ولو بنوع من الانواع. بناء عليه تقدم أنت وانا اتبعك من هنا الى اسفل. ثم التحق برفقائي الذين يذهبون الى العذاب الابدي»

اما انا فلم اكن اجراء - بسبب النار - على النزول من السد لاسير معه. ولكنني كنت محنياً رأسي نحوه. كمن يمشي منحنياً احتراماً.

فاخذ يقول: اى قدر او حظ حملك على المجيء الى الجحيم قبل ان تدق ساعتك؟ ومن ذا الذي يرشدك الى السبيل ؟.

فاجبته: قبل ان ابلغ العمر الكامل. «اى ٣٥ سنة» في حياة العالم الصافية تهت في غابة. وصباح امس سعيت لاغادرها واصعد على الجبل المفرح. واذ كنت على وشك الرجوع اليها ظهر لى هذا وارشدني لاعود الى العالم السامى ماراً بهذه الطريق.

فقال لى: اذا اتبعت كوكبك (اى ميولك) فلا يمكنك اذ، تخطئ بل يكون نجاحك مضموناً. كما تنبات لك يوم كنت حياً.

ولو لم اكن مت باكراً جداً وارى السماء راضية عنك بهذا النوع لكنت شجعتك على العمل. غير ان ذلك الشعب الفيورنتينى الجاحد المعروف والخبيث الذى انحدر قديماً من فيزوله وما زال متمسكا بعوائده الهمجية القاسية. سيعاديك نظراً لمعاملتك النزيهة. ـ وهذا امر مفهوم ـ لانه كما لا يوافق شجرة التين الحلوة ان تثمر بين العوسج. هكذا ـ انت الطيب القلب ـ لا يوافقك ان تعيش مع هؤلاء القوم الظالمين. فان تقليداً قديماً يدعوهم عمياناً وبخلاء وحساداً ومتكبرين. فاجتهد ان تكون بعيداً عن التلطخ برذائلهم. ان حظك يحفظ لك اكراماً عظيماً. لان كلاً من حزبى البيض والسود يتوق الى ان تكون من انصاره. ولكن طاش سهم الاثنين حيث انك لا تدع نفسك تميل لاحدهما.

فليتطاحن الفيورنتيون المتسلسلون من اهالى فيزوله البهائم. ولا يقلقوا راحة الرجل الفاضل اذا وجد بين دناياهم وشرورهم. اعنى ذلك الذى يسرى فى عروقه الدم الشريف. دم الرومان الذين عاونوا فى بناء عش السوء (المدينة)[١].

---

(١) ـ ورد فى حكاية قديمة انه بعد ان خربت مدينة فيزوله اتحد اهلها مع قوم رومانيين انحدروا الى نهر ارنو حيث شيدوا معا مدينة فيرنزه .

فقلت له: لو كانت استجيبت طلباتى كلها لما كنت الان مت لانى مازلت حافظاً فى مخيلتى صورتك الابوية الحسنة العزيزة. كما كنت اراك فى الزمان الذى فيه كنت تعلمنى فى الدنيا كيف ان المرء يستطيع ان يكتسب شهرة خالدة بواسطة المعارف والاداب. فكم انى ممتنّ من تعاليمك: وسيبقى امتنانى هذا مازلت قادراً على اظهار بنات افكارى. انى ساذكر ما تنبأته لى عن مستقبل حياتى. واحتفظ به مع تنبأ ات اخرى. فتفسرها لى امرأة لها معرفة بذلك. فيما اذا ما توفقت ووصلت اليها. اريد فقط ان تعلم - بشرط الاّ يخوننى ضميرى - بانى مستعد ان اتحمل ضربات الحظ مهما تكن. فليست هذه المرة الاولى التى اسمع ان مواطنى سيعاملوننى معاملة سيئة. ولكن الحظ يدير دولابه حسبما يشاء ويريد. وليفعل مواطنى الاشرار ما يشاؤون. فانى مستعد لاتحمل كل شئ مهما يكن معاكساً»

حينئذٍ التفت استاذى نحوى فنظر الى وقال : عافاك الله - يستمع حسناً من حسناً يذكر - (اظهر دانتى بجوابه الى برونيتو لاتينى بانه يذكر ما شرحه فيرجيليو عن الحظ).

السادوميون الاجلاء

ومع ذلك فقد واصلت الحديث مع برونيتو وسالته عن رفقائه وعن اشهرهم واكثرهم اعتباراً .

فقال لى: الاحسن ان اذكر لك البعض منهم واضرب صفحاً عن ذكر الاخرين . لان الوقت قصير ولا يسمح باطالة الكلام . فاعلم اذاً انهم كانوا اكليريكيين وكتبة ذوى شهرة عظيمة . فهم متلطخون بخطيئة واحدة .

ها هو بريشيانو [1] ومعه فرنشيسكو داكورسو [2] يذهبان مع ذلك الفريق التاعس. وان شئت ان تعرف هاذين التاعسين فسترى ذلك الذى نقله البابا من فيرنزه الى فيشنزه حيث قضى نحبه .

كنت ارغب بان ازيدك اخباراً. غير انى لست قادراً على المكوث بعد للتحدث اليك لانى ارى دخاناً طريفاً يتصاعد من هناك وهو يدل على قدوم فرقة جديدة. فلا يجوز ان اجتمع معها.

---

(١) – بريشيانو: من قيصرية فى موريتانيا غراماطقى لاتينى شهير عاش فى الجيل السادس بعد الميلاد .

(٢) – فرنشيسكو داكورسو : ولد فى بولونيا سنة ١٢٢٥ وكان استاذاً فى كليتى بولونيا واوكسفورد ثم عاد الى بولونيا وفيها توفى عام ١٢٩٥ .

فاوصيك بكنزى[٣] لان شهرتى مازالت حية فى الدنيا بسبب هذا المؤلف. ولست اطلب اليك غير ذلك »

ثم انفت وانهزم بسرعة شديدة حتى كان يخال كانه احد المتسابقين فى فيرونه (Verona) للوصول الى العلم الاخضر[٤] ومن الظافرين بالصفقة الرابحة وليس بالصفقة الخاسرة .

---

(٣) – الكنز : مؤلف معتبر وضعه برونيتو لاتينى فهو عبارة عن منظومة علمية اعنى دائرة معارف تلك الازمنة .

(٤) – فى العصور المتوسطة كان شائعاً فى فيرونه وغيرها من مدن ايطاليا سباق العلم فيمتاز المتسابقون بلون العلم الذى يظفر به السابق .



النشيد السادس عشر

توطئة

بالقرب من آخر الحلقة الثالثة يصادف دانتى طائفة ثانية من السادوميين (اللواطين) بينهم غويدو غويرا وتيغيايو الدوبراندى. ويعقوب روستيكوتشى فيقف يتحدث اليهم. ثم يصل الشاعران الى آخر الحلقة عند حافة بئر عميقة. وهنا يتناول فيرجيليو حبلا كان دانتى محتزماً به. وبعد ان يرميه فى البئر يستدعى جيريونه وهو مسخ جديد فيستجيب الدعوة ويصعد سابحاً فى الفضاء.

(المعرب)



النشــيد

غويدو غويرا (Guido Guerra)
تيغيايو الدوبراندى (Tegghiaio Aldobrandi)
يعقوب روستيكوتشى (Jacopo Rusticucci)

واصلنا التقدم فى الحلقة الثالثة على السد. وبلغنا مكاناً حيث يسمع خرير ماء بعيد يحدر فى الدائرة الثامنة. وهو يحاكى دنين النحل حوالى بيوتها. واذا بثلاث ارواح انفصلت بسرعة عن الطائفة التى كانت سائرة تحت الامطار النارية واتت نحونا وكانت كل واحدة منها تصيح: قف يا من ثوبك يدل على انك من وطننا .

فوآسفاه. كم رأيت من الجراح فى اجسامها المشتعلة فى اللهيب. بعضها مازال مفتوحا دامياً والاخر خاتماً. فانى مازلت للان اتألم من ذكراها.

ولما سمع فيرجيليو صراخها التفت الىّ وقال: انتظر الان. فيجب ان تكون لطيفاً مع هؤلاء القوم. ولولا وجود النار لكنت احملك على الاسراع لمقابلتهم.

وحينما وقفنا استأنفت تلك الارواح الثلاث اظهار تألماتها. وعندما وصلت بالقرب منا دارت دوران العجلة لكونها غير قادرة على الوقوف رغماً من كون الواحدة منها تابعة للاخرى.

وكما يعتاد المصارعون العراة والماسحو اجسادهم بالدهن وقتما يبدأون بالمصارعة حيث يجتهد الواحد ان يمسك بالاخر كى يفوز به. هكذا كانت تلك الارواح الثلاث تدور كى تتمكن من رؤية وجهى وانا واقف على السد. وكانت مضطرة الى الفات اعناقها للجهة المعاكسة لناحية اقدامها. ثم اخذت احداها تقول: ولئن كانت حالنا التاعسة ووجوهنا المحترقة تجعلنا ان نكون مستحقات الاحتقار نحن وتوسلاتنا ايضاً. غير ان الشهرة التى كنا احرزناها فى العالم تحنن قلبك وتحملك على ان تقول لنا: من انت الذى تسير حياً فى الجحيم. وعلى ثقة من عدم احتراقك. ان هذا الذى ترانى اتبع اثاره. فرغماً من وجوده الان عرياناً وخالياً من الشعر. كان بحال اعظم مما تظن. فانه حفيد غوالدوراده الصالحة. واسمه غويدو

غويرا[1]. وقد عمل في حياته اعمالا عظيمة سواء اكان بقلمه ام بسيفه. والثانى الذى يتبعنى فى هذا الرمل المحرق انما هو تيغيايو الدوبراندى[2]. ولابد ان تكون شهرته باقية حية فى الدنيا الفانية. اما انا الذى اتعذب هنا فكنت يعقوب روستيكوتشى[3] وقد سببت لى زوجتى الشقية وحدها اضراراً جسيمة» .

فلو كنت استطعت تغطية جسدى لاحتمى من النار لكنت انحدرت فى الرمل اظهاراً لاحترامى وحبى لبنى وطنى. ولكن حيث كان عملى هذا يؤدى بى الى الاحتراق خفت وانتصر خوفى على ارادتى الحسنة التى كانت دفعتنى اشتياقا الى مصافحتهم. فاوقفنى فى مكانى وعندئذ قلت:

«ان حالكم لا تولد فى نفسى احتقاراً كما خفتم بل انها تبث فىّ الماً وشفقة. وقد شعرت بذلك عندما قال استاذى كلاماً عرفت

---

(١) – غويدو غويرا : كونت موريليانا. كان جنديا شجاعا وزعيم حزب السود فى فيرنزه سنة ١٢٥٥ عندما طردوا البيض من اراتسو . نفى من فيرنزه وقاد من جديد جماعته ولعب دوراً هاماً فى واقعة بنيفينتو .

(٢) – تيغيايو : من عائلة شريفة فيورنتية. كان فارسا حكيما وشجاعا وهو الذى نصح للفيورنتيين بعدم نزولهم فى ميدان القتال ضد اهالى سينا غير ان ابناء وطنه لم يصغوا لنصائحه وهكذا انكسروا فى مونته اوبرتى .

(٣) يعقوب رستيكوتشى : فارس فيورنتيني معتبر غير ان زوجه كانت شقية فهجرها . وكى يرضي شهواته الحيوانية ارتكب خطيئة اللواط .

منه انكم لقوم معتبرون فانى ابن وطنكم. وبكل حب سمعت دائماً عن اعمالكم الوطنية الشريفة وتأملت فيها. كما انى احترمت باعجاب اسماءكم المكرمة. ساغادر هذه الاماكن الوحشة واذهب الى الفردوس المعذب. الذى وعدنى به مرشدى الصادق. ولكن الافضل ان انحدر قبلاً الى اعماق جهنم».

فقال لى: فليطل عمرك. وليسطع كوكب شهرتك بعد مفارقتك الحياة. قل لى اذاً هل ما زال فى وطننا لطف وبسالة (اى فضائل وطنية وعسكرية) او ذهب كل ذلك الى الخارج. فان غوليلمو بورسييرى الذى انحدر الى الجحيم من قريب. وهو يتعذب الان مع رفقائه. قد المنا كثيراً بوصفه حال مدينتنا التاعسة»

فرفعت طرفى وصحت: يا فيرنزه. ان القوم الذين اتوك حديثاً والارباح السريعة قد ولدوا فيك كبراً وعدم انتظام حتى انك تتألمين منهم !.

وعندما تلفظت بهذا الكلام نظرت الارواح الثلاث الى بعضها بعضاً بكل دهشة وتعجب مثلما ينظر من يستمع خبراً يخال اليه كونه غير قابل التصديق ومع ذلك لا يقدر ان يرتاب بصحته. وقالت لى معاً: «اذا كان سهلاً عليك بهذا القدر ارضاء رغبة

الغير فطوبى لك لانك تعرب بكل حرية عن فكرك. غير انك اذا خرجت سالماً من هذه الاماكن المظلمة وعدت لرؤية الكواكب تذكر - عندما تسرك الذكرى.. انك كنت هنا واذا رأيت. وتنازل للتكلم عنا الى الاهل» .

ثم انفكت الحلقة وانهزمت بسرعة كأن لها اجنحة باقدامها وتوارت باسرع ما يتمكن المرء من التلفظ بلفظة آمين.

حينئذ رأى فيرجيليو من الضرورة مواصلة السير .

ظهور جيريونه

فمشى وانا تبعته. وتقدمنا قليلاً. فاصبح خرير المياه المنحدرة قريباً. حتى كان الواحد منا لا يكاد يسمع كلام الاخر. وكانت تلك المياه كالنهر الذى ينحدر اولاً من مونتيفيترو شرقاً الى ساحل الابنين شمالاً. ويجرى حتى يصل الى البحر. وهو فى مجراه الاعلى اى قبل انحداره الى اسفل الوادى يدعى اكواكيتا . وعندما يصل الى فورلى يترك هذا الاسم ويتخذ غيره اى مونتونه ويصل بشلال اخر الى مقربة من دير القديس بنديتو فى جبال الااب الذى يحتوى على الف راهب. فى القوة نفسها سمعنا

مياه نهر فليجيتونه الحمراء فى اسفل المنحدر الصخرى تخر وكادت ان تصم اذاننا. فكنت محتزماً بحبل وفكرت بان اجر به الوحش ذا الجلد المنقط. ففككته كما امرنى فيرجيليو واعطيته اياه. وبعد ان كبكبه التفت يميناً والقاه فى الهوة العميقة بعيدا عن الشاطئ حتى لا يعاق بصخرة او بشئ اخر. ومع ذلك فكنت احدث نفسى واقول: لا بد من ان يعقب هذه الحركة غير المعتادة شئ غريب حيث ان فيرجيليو يتطلع بانتباه.

اه كم يلزم البشر ان يكونوا حريصين حتى فى افكارهم لا سيما اذا كانوا يعاشرون العلماء الذين ليسوا فقط يرون الاعمال فحسب بل يقفون بعقولهم الثاقبة على الافكار ايضاً.

ولذلك قال لى فيرجيليو: سياتى حالاً ما انا بانتظاره. وسيظهر الان صريحاً امام عينيك ما انت تتصور حدوثه. فيجب على المرء ان يسد فاه ايضاً بقدر استطاعته عن تلك الحقائق التى يمكن ان تظهر للغير كانها اكاذيب. وان الحوادث المدهشة تظهر بالحقيقة ان مخبرها لكاذب ولو كانت حقائق راهنة.

وهنا لست استطيع السكوت. فانى اقسم لك ايها القارئ. وليهلك ديوانى هذا ان لم اقل الحق. فقد رايت صاعدة فى ذلك

الفضاء الحالك المظلم صورة مسخ قد يمكنها ان ترعب اى رجل مهما يكن شجاعاً . فانها كانت تصعد الينا مادة ذراعيها وطاوية ساقيها كالنوتى الذى يصعد من الماء حيث كان انحدر ليخلص المرساة التى كانت تعلقت بصخرة او بحاجز اخر .

النشيد السابع عشر

توطئة

يصف دانتى هيئة جيريونه وهى عبارة عن صورة خيالية للغش. فبينما يتكلم فيرجيليو مع هذا المسخ يذهب دانتى وحده لزيارة العنف ضد الصنعة (المرابين) الجالسين على مقربة من الهاوية تحت المطر المحرق. ومعلق على صدر كل منهم كيس عليه شعار عائلته. فلذلك يتعرف دانتى الى بعضهم. وحيث كان يحتقر التحدث الى اناس هكذا ادنياء لم يجب على اسئلتهم. ثم يعود الى فيرجيليو ويستقل معه ظهر جيريونه لينحدرا الى الدائرة الثامنة .

(المعرب)

النشيد

جيريونه

فشرع فيرجيليو يقول: ها هو جيريونه[١] المسخ ذو الذنب المشحوذ الذى يدخل كل مكان وينتصر على كل عقبة. ها هو الذى يبلى العالم بالبلايا والامراض.

كان يقول هذا ويشير بالوقت نفسه الى ذلك الوحش القبيح ليأت بالشاطئ حيث كانت تنتهى السدود الحجرية التى كنا نسير عليها حتى الساعة. فاتت الشاطئ تلك الهيئة المقرفة. فبان منها رأسها الى وسطها وابث ذنبها مختبئاً فى البئر. اما وجهها فكان وجه انسان حقيقى ذا منظر مقبول. والباقى من جسدها بشكل افعى. ولها براثن على الجانبين مغطاة بالشعر حتى الابطين. وصدرها وجنباها ملطخة بنقط تشبه العقد والاطواق او الاتراس. فلم ينسج التتر والترك المشهورون بالحياكة اقمشة بالوان هكذا

(١) — جيريونه: من ابطال الميتولوجيا. كان ملكا على اسبانيا. فجعله دانتى حارسا لدائرة الغشاش.

مختلفة وبرسوم مثل هذه الرسوم. ولم تتوصل ارانيا[١] نفسها الى نسج اقمشة تحاكى بجمالها لون جلد جيريونه .

فكان هذا المسخ الهائل جالساً على السد الحجرى الذى يحيط بالرمل المحرق كالقوارب التى تكون غالباً على الشاطئ . قسم منها فوقه وقسم فى الماء . وككلاب (الكستور) فى بلاد الالمان الشرهين الذى يجلس على ضفاف الانهر ليصطاد السمك فيترك ذنبه فى الماء .

وكان يحرك ذنبه بالفضاء ويرفع طرفه السام الشائك بشكل المقارب .

المرابون

فقال مرشدى: من الموافق الان ان نخرج قليلاً من الطريق لنصل حيث يتمدد ذلك الوحش الشرير .

فانحدرنا من السد وسرنا يمنة نحو عشرة اقدام على الحافة الاخيرة من الدائرة لنجتنب الرمل المحرق والمطر النارى. ولما وصلنا

(١) – ارانيا: حائكة شهيرة فى ليديا كلها. ذكرت عنها الميتولوجيا انها تجرأت يوماً وقارعت الهة الحكمة (مينرفا) بالنسج فغلبتها حينئذ مسختها الالهة عنكبة .

الى ذلك المسخ رايت عن بعدٍ قليل انفساً جالسة بالقرب من حافة الدائرة .

عندئذ قال لى الاستاذ: فلكى تعرف جيداً هذه الحلقة التى نغادرها الان. اذهب وانظر كيف يسمى اولئك الهلكى ليخففوا عذاباتهم. ولكن كن وجيز الكلام معهم. وبينا انتظرك اتحدث الى جيريونه ليقلنا على كتفيه القويتين وينحدر بنا الى الدائرة الثامنة .

فمشيت اذا وحدى على الحافة الاخيرة من الدائرة السابعة وذهبت الى حيث كانت تجلس الانفس الشقية. فكان اولئك الهلكى يحركون ايديهم من هنا ومن هناك مظهرين الامهم بدموع مرة فيزيحون تارة عن ظهورهم الالسنة النارية. ويبعدون احياناً عنهم الرمل المحرق. كما تفعل الكلاب بافواهها وقوائمها عندما تغضبها البراغيث والذباب او البعوض فى ايام الصيف .

فنظرت الى وجه البعض من اولئك الذين تتساقط عليهم النار المؤلمة فلم اتعرف الى احد منهم . غير انى رأيت فى عنق كل منهم معلقاً كيساً ذا لون خاص. وكان مرسوماً فيه شعار خاص. ويخال كونه مغتبطاً بالنظر الى شعاره . فكنت اطوف فيما بينهم متفرجا. ووقع نظرى على كيس عليه صورة اسد ازرق فى وسط

اصفر[1]. ثم واصلت النظر الى الامام. فرأيت كيساً آخر عليه صورة وزة بيضاء فى وسط قرمزى[2]. وغيره كان عليه شعار يمثل خنزيرة برية ممشرة زرقاء اللون فى وسط ابيض[3]: فقال لى حامله: ماذا تعمل انت فى هذه الحفرة؟

اذهب من هنا وحيث انك مازلت حياً اعلم ان جارى فيتاليانو[4] سيتخذ مكاناً هنا على يسارى. فاننى بادوانى ورفقائى فيورنتيون. فهم ينتظرون ايضاً احد ابناء وطنهم وكثيراً ما يخدشون اذنىّ بصراخهم قائلين: فليأت المرابى الاعظم الحامل كيسه وعليه شعاره: ثلاثة رؤوس نسر صفراء فى وسط ازرق[5]. قال ذلك ولفت وجهه واخرج لسانه كالثور الذى يلحس خيشومه.

وانا خشيت ان يتكدر فيرجيليو اذا تأخرت بعد وقد نبهنى بان امكث قليلاً مع المرابين. ففارقت تلك الانفس الساقطة وعدت ادراجى.

---

(١) – هو شعار عائلة جانفيلياتسى الفيورنتية. اشتهرت باخذ الربا الفاحش.
(٢) – شعار عائلة اوبرياكى عرفت بالمرابين فى فيرنزه.
(٣) – يقال ان المقصود هنا انما هو المرابى الشهير البادوانى ريجينالدو سكروفانى
(٤) – كذلك هذا مراب كبير.
(٥) – على زعم معظم الشراح ان المقصود هنا انما هو جوانى بوياموتى من فيرنزه مراب عظيم.

الانحدار فى الدائرة الثامنة

فوجدت مرشدى قد استقل مؤخر الوحش جيريونه. فقال لى: كن الان قوياً جسوراً. فما لنا غير هذه الوسائط للانحدار. اركب من الامام حيث اننى اريد ان اكون بالوسط اى بينك وبين الذنب لامنع اذيته عنك عندما يتحرك» .

فلدى استماعى هذا الكلام ارتجفت مفاصلى واصبحت كمن يشعر بدنو حمى رباعية اليه واظافره شاحبة ويرتعد كله لدى رويته مكاناً بارداً. غير ان تشجيع فيرجيليو جعلنى اشعر بذلك الخجل الذى يشجع الخادم لدى مثوله بحضرة سيده. فاستقليت كتفى جيريونه وكنت اريد ان اقول : امسكنى. وقد خاننى صوتى: فلم يخرج من فمي كما كنت اشاء. اما فيرجيليو الذى كان اعاننى فى فرصة اخرى خطرة وصعبة. فصافحنى عندما ركبت ومسكنى. ثم قال: تحرك الان يا جيريونه وانحدر بلفتات متسعة وعلى مهل وفكر بانك تقل حملا غير اعتيادى» .

فكالسفينة التى تبتعد عن الشاطئ تتحرك شيئاً فشيئاً الى الوراء وعندما تصبح حرة فى وسط الامواج تسير فى الجهة المقصودة.

هكذا ابتعد جيريونه عن حافة الدائرة السابعة وسبح فى الفضاء متراجعاً شيئاً فشيئاً الى الوراء. وعند ما خرج من مدخل الدائرة الضيق لفت ذنبه من الجهة التى كان صدره فيها قبلاً. ثم مده كالجرى (الحنكليس). بعدئذ تموج وتحرك سابحاً فى الفضاء جاذباً قائمتيه نحو صدره .

فلما رأيتنى معلقاً فى الفضاء المظلم دون ان ارى غير ذلك الوحش. خفت خوفاً عظيما لم يشعر به - على ما اظن - فيتونته[١]. حينما اضطر ان يترك رباطات المركبة السماوية. ولم يشعر بخوف اعظم ايكارو[٢] وقتما شعر بفقدان الريش التى كان الصقها بجسمه بالشمع الذى ذاب من حرارة الشمس . مع ان اباه كان يصيح به قائلاً «انت سالك طريقاً سيئاً».

اما جيريونه فكان يسير سابحاً على مهل فيدور وينحدر. غير اننى لم اكن اشعر بذلك سوى من الريح التى كانت تهب من اسفل

(١) - فيتونته: فى الميتولوجيا (اساطير الوثنيين) هو ابن الشمس اراد يوما ان يقود خيل الشمس بجرأة فصعق وسقط فى نهر البو الذى كان يدعى قديماً ايريدانو

(٢) - ايكارو: من ابطال الميتولوجيا ايضاً. ابن ديدالو فكى يفر هذا من جزيرة اكريت عمل لنفسه ولابنه اجنحة من ريش والصقها بشمع. غير ان ايكارو اراد ان يعلو كثيراً فى الجو ضد ارادة والده فذاب الشمع من حرارة الشمس وسقطت الاجنحة فتدهور فى البحر .

على وجهى. فلحظت من عن يمينى خروج مياه فليجيتونته بخرير مرعب. وكانت تسقط فى محقان فى الدائرة الثامنة. فمددت رأسى لانظر الى اسفل. حينئذ ازددت خوفاً من السقوط لاننى رأيت نيراناً وسمعت نحيباً. فتمسكت جيداً فى مطيتي. ولما دنوت من العذابات الثقيلة والبكاء الاليم فى الدائرة السفلى ميزت مالم افهمه قبلاً. اعنى باننا كنا نحدر تدحرجاً .

ان الباز الذى بعد ان يطير محلقاً فى الهواء طويلاً بدون ان يسمع صوتاً او يرى طيراً يحمل صاحبه الصياد على ان يقول له: الويل لى انك تنحدر». فلذلك يهبط تعباً وغب ان يدور مئة دورة يذهب الى المكان الذى طار منه بسرعة واستمداد ولكن ينزل بعيداً عن صاحبه متكدراً اسفاً لعدم اصطياده .

هكذا جيريونه وضعنا عند اسفل الصخرة المتقطعة وسار بسرعة السهم الصادر من القوس.



النشيد الثامن عشر

توطئة

يعلن دانتى ان الدائرة الثامنة منقسمة الى عشر حلقات. فى كل واحدة منها يعاقب نوع من الغش. فى هذا النشيد يزور دانتى الحلقتين الاولى والثانية فيجد فى الاولى اولئك الذين خدعوا النساء يسوطهم الابالسة الهائجون. فيتعرف دانتى بين هؤلاء الخطاة فينيديشيو كاشيانيميكو البولونى الذى حمل شقيقته على ارضاء شهوات المركيز دسته لقاء دراهم انتقدها منه. ويرى ايضاً فى الحلقة نفسها جاسونه. اما فى الحلقة الثانية فيرى الملاقين والعواهر المحكوم عليهم بالمكوث داخل الاقذار. فيستعرف هنا بعضاً منهم.

(المعرب)

النشـــيد

ماليبولجه

في الجحيم مكان يدعى ماليبولجه مبني من حجر لونه كلون الحديد الرمادى القاتم به تنتهى الدائرة السابعة . ففي وسط هذا المكان الملعون بئر واسعة شديدة العمق سنأتي فيما بعد على وصفها. ان المساحة الكائنة بين اسفل هذا المكان وبين حافة البئر مستديرة وتقسم الى عشر حلقات متساوية العمق. منظرها اشبه بمنظر تلك الخنادق المحفورة حول الحصون في العصور الوسطى للدفاع عن اسوارها . وكما يوجد فوق تلك الخنادق جسور نقالة للمرور عليها بين ابواب الحصون. هكذا في اسفل صخرة الدائرة السابعة كانت صخور ممتدة على شكل جسور طبيعية تربط الواحدة من هذه الحفر بالاخرى. وتمتد عليها السدود حتى فوهة البئر المتوسطة حيث تنتهي وتلتقى .

فعندما نزلنا من عن ظهر جيريونه وجدنا في هذا المكان . فسار الشاعر يساراً وانا مشيت وراءه .

غشاش النساء لحساب الغير

وفيما انا اتطلع بغتة رايت شيئاً طريفاً مؤثراً: اشكال عذابات جديدة وابالسة مسوطين جداً. وكانت الحلقة الاولى ممتلئة منهم.

فكان الخطاة مقيمين فى القاع عراة. فالذين كانوا فى نصف القاع حتى السد الخارجى كانوا ياتون نحونا والذين فى النصف الاخر كانوا يمشون نحو الجهة التى كنا نسير فيها ولكن باشد سرعة منا.

فكان الجميع يسيرون بالطريقة نفسها التى كان الرومانيون يرسمونها فى عام اليوبيل للمرور على جسر سانتانجلو (بروما) فنظراً للجماهير الغفيرة المضطرة للمرور على الجسر المذكور فى تلك السنة. جعلوا ان الذاهبين الى كنيسة القديس بطرس يسيرون من جهة والعائدين منها يمرون بجهة اخرى.

فمن هنا ومن هناك فى القاع الحجرى المظلم رايت ابالسة ذوى قرون وبايديهم سياط كبيرة كانوا يسوطون بها الخطاة بقساوة ليدفعوهم الى الامام.

آه كيف كانوا يحملون الهاكى على الجرى عند المضربات الاولى ولم يكن هالك ينتظر الضربة الثانية ولا الثالثة.

وبينا كنت اسير وقع نظرى على احد هؤلاء المذنبين وحالاً صرخت :

« يظهر لى انى رايت ذاك الخاطئ قبل الآن» لذلك وقفت لامعن النظر فيه ومرشدى وقف معى ايضاً ورضى بان اعود ادراجى قليلاً. اما الهالك فظن انه يتوارى عن نظرى اذا خفض وجهه. غير ان حركته هذه لم تجده نفعاً لاننى قلت له حالاً : انت الذى تطرق لتخفى وجهك عنى فاذا لم تكن سماتك كاذبة تكون بلا شك فينيديكو كاشيانيميكو[1]. ولكن ما الذى قادك الى هذا العقاب الاليم ؟

وهو: «انى بالحقيقة لا اريد طوعا ان اخبرك بالخطيئة التى اوقعتنى فى هذا المكان. ولكن كلامك الصريح الذى يذكرنى الاعوام التى قضيتها فى الحياة الدنيا يضطرنى الى التكلم .

«ولئن كان الخبر سيئاً. فانا الذى حملت اختى غيسو بيلاً على ارضاء شهوات المركيز. ولست هنا البولونى الوحيد فحسب. بل ان هذه الحلقة مملوءة من البولونيين . وان الاحياء فى بولونيا

---

(١) – فينيديكو كاشانيميكو: رئيس حزب فى بولونيا يضعه دانتى فى الجحيم لانه باع عرض اخته غيسولا بيلا الجميلة من مركيز فيرارا دسته افاء مال انتقده .

ليسوا بعدد الموجودين هنا من ابنائها. واذا كنت بحاجة الى برهان عن ذلك فالك الا ان تذكر البخل المأثور عنا نحن البولونيين اجمع»

وبينا كان يتكلم هذا ساطه ابليس وصرخ به: اذهب من هنا يا ع... فليس هنا نساء لتبيع اعراضهن.

غشاش النساء لحسابهم الخاص

فالتحقت بمرشدي. وبعد خطوات قليلة وصلنا حيث كان صخر نابذاً من الحافة. فصعدنا عليه بكل سهولة ولفتنا يميناً فانتهينا فى السير على السد الخارجى التابع للحلقة الاولى مبتعدين عن الحلقات الابدية. ولما وصلنا الى هناك اى الى حيث الصخرة متكونة على شكل جسر. ومن تحته فراغ لمرور الابالسة المسوطين فى الحلقة الاولى السابقة. قال لى مرشدي: قف واجتهد ان تحدق فى هؤلاء الهالكى الاخرين الذين لم تشاهد وجوههم قبل الان لانهم ساروا نحو الجهة التى كنا نسير فيها.

فكنا ننظر من الجسر القديم الى صف الغشاش الآتين نحونا من الجهة الاخرى تدفعهم السياط مثل اولئك. فقال لى

استاذى الصالح دون ان اسأله: انظر الى ذلك الكبير الذى يتقدم ومع كونه متألماً كثيراً يظهر انه لا يذرف العبرات بل يسير بعظمة. فهو جاسونه[١] قد تمكن بشجاعته وحكمته من الفوز بالعقدة الذهبية ضد الكولكيين . فانه مر بجزيرة لمنوس بعد ان كانت نساءها فتكن بكافة رجال الجزيرة حقداً على ازواجهن الذين كانوا أهملوهن بسبب الحروب المتواصلة. وهناك بحركاته الغرامية واحاديثه المزوقة خدع ازيفيله الصبية التى كانت خدعت رفيقاتها فقالت لهن انها قد فتكت بابيها ملك توانته مع ان حنوها البنوى حماها على ان تبقيه حياً وتنقذه من غضب النسوة الهائجات .

ثم تركها حبلى وحيدة وسافر . فلارتكابه هذا الذنب حكم عليه بالهلاك فى هذا المكان وكذلك لخداعه أيضاً ميديا (ابنة ملك الكولكيين). ومعه يتعذب جميع الذين استغووا النساء وغشوهن. فتكفك معرفة هذا عن الحلقة الاولى وعن المتعذبين فيها .

---

(١) جاسونه (فى اساطير الوثنيين الميتولوجيا) من تساليا : قاد الارغونوتيين الاستيلاء على العقدة الذهبية فى جزيرة كولكيده فخدع ازيفيله ابنة ملك لمنوس ثم تركها وشأنها .

ملاقون وعواهر

قد كنا وصلنا منتهى الجسر الضيق حيث يلتقى بالسد الثانى ويتصل فيما بعد بالجسر الاخر وكانهما يستندان على بعضهما بعضاً فسمعنا من هذا المكان اولئك الذين كانوا يتألمون ألماً شديداً فى الحلقة الاخرى ويصيحون ضاربين انفسهم بايديهم .

كانت الضفتان مكتسيتين بمادة تشبه العفن متكونة من تبخرات كثيفة تتصاعد من اسفل وتتعجن فتؤذى النظر والمشم. اما قاع تلك الحلقة فمظلم حالك. وكان مستحيلاً النظر من اى مكان من السد بدون ان نصعد على المكان الاكثر ارتفاعاً من الجسر الاعلى. فذهبنا اليه ومنه رأيت فى اسفل الحلقة الهلكى غائصين فى اقذار كانها خارجة من المراحيض البشرية. وبينا كنت محدقاً الى اسفل رايت واحدا رأسه مغطى بالاقذار لم يكن ممكناً تمييزه جيداً فيما اذا كان علمانياً ام اكليريكياً. فصاح بى بلهجة التوبيخ قائلاً: لماذا انت فضولى وتنظر الى باكثر من نظرك الى رفقائى مع كونهم قذرين مثلى ايضاً ؟

فاجبته : لانى - ان لم تخن الذكرى - قد رايتك وكان شعرك ناشفاً. انت السيو انترمينى (Alessio Interminei) [١] من لوكا. وهذا ما حمانى على ان انظر اليك باكثر من الغير.

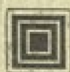
وهو : حينئذ ضرب نفسه وقال : « لقد قذفت بى التملقات الى هذا القاع. ولم يع لسانى قط رغم حركته الدائمة بذلك » .

ثم قال لى مرشدى: مد لحظك الى الامام فتتمكن جيداً من مشاهدة تلك المرأة القذرة النافشة شعرها وتخمش جلدها باظافرها المنتنة وهى تارة تجلس وطوراً تنتصب على قدميها. فهى تايده [٢] العاهرة التى اجابت وسيطها عند ما سالها فيما اذا كانت راضية عن خدماته قائلة: لا بل انها لمعجبة بها .

وكفى ما شاهدنا من هذه الاقذار .

(١) - السيو انترمينى من لوكا: كان لطيفاً ظريفاً غير انه ملاق عظيم . عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر .

(٢) - تايدا : افريقية كانت من العواهر المعروفات في آثينا



النشيد التاسع عشر

توطئة

فى الحفرة الثالثة يجد دانتى السيمونيين وهم الذين تاجروا بالاشياء المقدسة توصلاً للمراتب الروحية. موجودين فى كوات خصوصية: رؤوسهم الى اسفل واقدامهم المشتعلة خارجاً. وعندما يصل الهالك الجديد. فالذى واضع قدميه خارج الكوة يسقط فيها بكامله. والآتى الطريف يقيم مكانه وعلى شاكلته .

يذهب دانتى بقيادة فيرجيليو ويتكلم مع احدهم الذى يحرك قدميه اكثر من غيره وهو الحبر نيقولاوس الثالث من اسرة اورسينى ثم يذهبان الى جسر الحفرة الرابعة .

(المعرب)

النشـــيد

السيمونيون

يا سمعان الساحر[1]. ايها السيمونيون التعساء. ايها النهمون. فنظراً لشراهتكم للذهب والفضة حقرتم الاشياء الالهية الواجب لها فقط الاعتبار الفائق. فخليق بى الآن ان اتكلم عنكم انتم المدفونون فى الحفرة الثالثة.

كنا صعدنا الى قمة الجسر الثالث فى المكان الكائن فوق خط الحفرة المتوسط.

ايتها الحكمة الالهية كم هو عظيم العمل الذى تظهرينه فى السماء وفى الارض وفى الجحيم. وباى عدل توزعين الخيرات والشرور والمكافآت والعقوبات!

---

(١) – سيمون او سمعان الساحر: ورد ذكره فى اعمال رسل المسيح. فى السامرية كان سمعان الملقب بالساحر لتعاطيه السحر حينما ذهب اليها الرسولان بطرس ويوحنا ليبشرا بدين المسيح. فقدم سمعان قسما من ثروته الى بطرس طالبا منه ان يمنحه قوة التبشير فطرده بطرس باحتقار. ومن اسمه سيمون (سمعان) دعيت سيمونية التجارة بالامور المقدسة ودعى المتاجرون بها سيمونيين.

رايت فى جانبى تلك الحفرة وفى قاعها كوات عديدة متساوية العرض مستديرة. فهى لم تظهر لى اكبر من تلك التى يستعملها الكهنة كاجران المعمودية فى كنيسة القديس يوحنا بفيرنزه. فلم تمض سنوات عديدة على تحطيمى واحدة منها لانقذ طفلاً كاد يموت فيها غرقاً وكان عملى هذا حجة على بانى لست احترم المكان المقدس.

فمن فوهة كل كوة كانت قدما الخاطئ خارجتين حتى بطتى ساقيه. والباقى من جسمه كان داخل الكوة. ورأسه الى اسفل. وكان باطنا القدمين مشتعلين. وبسبب الالم الحاصل من الاحتراق كانت المفاصل تتحرك بشدة يمكنها ان تقطع قضبان الخيزران المفتولة والمشتبكة.

وكالاشياء المدهونة التى يحترق وجهها فقط حيث تتصل السنة النار. هكذا اقدام السيمونيين كانت تشتعل فقط عند بواطنها حيث كانت تصل السنة النار اى من الكعب الى رؤوس الانامل.

نيقولاوس الثالث

فقلت لاستاذى: من هو ذاك الذى يرتعش ويحرك قدميه اكثر من رفقائه وهو اشد احتراقاً ؟

فاجابنى : اذا كنت تشأ فاننى احملك الى اسفل تلك الحفرة العميقة وحينئذ يمكنك ان تعرف منه مباشرة من هو وما هى ذنوبه »

وانا - ان كل ما يسرك يسرنى ايضاً. فانت مولاى. وتعلم جيداً بانى لست اخالف مشيئتك. وانت واقف على كل ما افكر به ولا اقوله لك.

حينئذٍ اتينا السد الرابع وعطفنا شمالاً وانحدرنا الى اسفل فى القاع الضيق الممتلئ كوات . اما استاذى الصالح الذى كان حملنى على ذراعيه فلم ينزلنى عنهما لدى وصولنا الى القاع. بل مشى بى حتى الكوة حيث يوجد الهالك الذى اشرت اليه ونحن على الجسر بانه يظهر الم محركاً ساقيه .

فبدأت اقول له: اية كنت ايتها الروح التاعسة المنكسة والمرتكزة كالعمود. كلمينى ان كنت تستطيعين ؟

وكنت وقتئذ كالكاهن الذى يستمع اعتراف القاتل المحكوم عليه بالوأد ورأسه الى اسفل . وبعد ان ينكس يحتال طالباً ان يعترف بخطيئة اخرى فيستدعى المعرف . كل ذلك حباً بتأخير ساعة الموت قليلاً .

فصاح بى قائلاً : هل اتيت يابونيفاشيوس؟ لقد غلط بسنوات عديدة الكتاب الذى تنبأ عن موتك . فيظهر انك شبعت حالاً

من تلك الكنوز التي حباً بالاستيلاء عليها سعيت بعالك من الحيل لان تخدع تلك العروس الجميلة وتقترن بها (الكنيسة) حتى تبدرق فيما بعد اموالها ؟

فعند استماعي هذا الكلام لبثت محياراً كمن يسمع جواباً لا يفهمه ويظن ان قائله يهزأ به. ولا يعلم ماذا يتكلم.

حينئذ قال لي فيرجيليو: قل له حالاً انك لست بمن يظن. وانا اسرعت فجاوبته كما قال لي استاذي.

اما ذلك الخاطئ فشنج رجليه بازدياد نظراً لغيظه من عدم الانتباه اليه. وقال لي بعد ان تنهد تنهداً عميقاً وهو يبكي: اذاً ماذا تطلب مني ؟ فان كان يهمك كثيراً ان تعرف من انا. ومن اجل هذا انحدرت انت حتى هنا اعلم: بانني كنت مرتدياً المشلح (الباباوي) الفخم. وبالاحرى كنت ابن اسرة اورسيني. وكي ازيد ثروة اقاربي كنت بخيلاً في الدنيا حتى انني جمعت اموالاً طائلة والان اتعذب هنا في هذه الحفرة الجهنمية. وتحت رأسي مختبئون في حفرة صخرية اسلافي السيمونيون. وانا ساسقط الى اسفل ايضاً عندما يأتي ذاك الذي ظننتك اياه. ولذلك وجهت اليك السؤال

الفجائى. [١] وقد مكثت هنا طويلاً وراسى الى اسفل وقدماى تحترقان. ولكن هو لا يمكث هنا هذا القدر لان بعده سيأتى حالاً من البلاد الغربية راع [٢] سيمونى اعظم منه فيدفعنا نحن الاثنين فى قاع هذه الحفرة.

وكما اجاب الملك انطيوخوس رغائب جاسونه [٣]. حسب ما ورد فى كتاب المكابيين. هكذا سيجيب ملك فرنسا طلب هذا الراعى (جاسونه الجديد).

---

(١) – ان الروح التى تتكلم هنا هى روح نيقولاوس الثامن جلس على عرش البابوية فى ديشمبرى (كانون الاول) سنة ١٢٧٧ ومات فى اغسطس (آب) ١٢٨٠ وقد كتبوا عنه بانه وهو كاهن بسيط حفظ نفسه حكيما ولكن بعد ان تسنم عرش البابوية اخذ يحشد الاموال لاقاربه. اما ذاك الذى ينتظر قدومه فهو البابا بونيفاشيوس جلس على عرش الكنيسة من سنة ١٢٩٤ الى ١٣٠٣. ينتظره نيقولاوس فى الجحيم لكونه سيمونياً مثله.

(٢) – هو اكليمنضوس الخامس كان بابا رومه من ٥ جونيو (حزيران) سنة ١٣٠٥ الى ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٣١٤. نقل الكرسي الرسولى الى افنيونه (فرنسا) فنسبت اليه السيمونية.

(٣) – جاسونه: كان عبرانياً اشترى الحبروية من الملك انطوخيوس وادخل الى بيت المقدس عوائد وثنية.

توبيخ دانتى

لست اعلم اذا كنت اظهرت جنوناً مطبقاً فى مجاوبتى ذلك الهالك بما يأتى: قل لى انت الان كم من النقود طلب سيدنا المسيح من القديس بطرس قبل ان يسلمه مفاتيح الملكوت السماوى ؟

انه لم يطلب منه سوى ان يتبعه (ليجعله صياد الانفس)....

فلا بطرس ولا الرســـل الاخرون طلبوا من متى ذهباً ولا فضة عندما انتخبوه رسولاً مكان ذلك الذى خسر نفسه الاثيمة (يهوذا الاسخريوطى الخائن). لذلك ابق هنا فقد استحقيت هذا العقاب واحتفظ جيداً بالنقود التى اخذتها ظلما وجرأتك على الملك شارل دانجو [١] .

ولو لم يمنعنى الان الاحترام الذى اشعر به نحو المفاتيح المقدسة التى حملتها فى الدنيا لكنت اسمعك كلاماً امر من هذا. لان بخلك الذى حملك على ان تدوس الاخيار وترفع الاشـرار يحزن للان البسيطة باسرها .

(١) - يشير هنا دانتى الى ان نيقولاوس الثالث استدعى شارل دانجو ملك فرنسا ضد الصقليين حبا بكسب الاموال غير ان التاريخ لم يثبت هذا الامر بوجه قطعى

لقد انتبه الانجيلي (القديس يوحنا) الى الاحبار السيمونيين امثالك حينما شاهد رومه الباباوات ـ ملكة الشعوب ـ تهان من ملوك الارض وتحقر ذلك الدين المولود في الاسرار السبعة. وكان لها حق بالسلطان عندما كان الاحبار العظام يتبعون الفضيلة ممتثلين الوصايا العشر.

لقد اتخذتم من الذهب والفضة اصناماً لكم. فاى فرق اذاً بينكم ايها السيمونيون وبين الوثنيين سوى انكم تعبدون مئة صنم مقابلة لكل صنم واحد هم يعبدونه .

اه منك يا قسطنطين[1] كم اسأت ليس باعتناقك الدين المسيحي بل بالهبة التي وهبتها لذلك الحبر الذي بعد ان تسلمها منك كان الاول في احراز الثروات الطائلة!»

بينما كنت اوبخ بهذا النوع ذلك الهالك كان هو يحرك رجليه رافساً رفسات في الفضاء اما حنقاً واما من تبكيت ضميره.

فعلى ظني كان مرشدي مسروراً من توبيخي العادل الحر فهو كان صاغياً لي باتنباه وبوجه منبسط .

(١) ـ في عصر دانتي كان المؤرخون يعتقدون ان قسطنطين الامبراطور الروماني غب ان اعتنق الدين المسيحي وهب رومه والسلطة الزمنية الى البابا سيلفستروس الاول. وشيد القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية واتخذها مركزاً لحكومته، وذلك سنة ٣٣٠ ميلادية .

ثم اخذنى بيديه ورفعنى على ذراعيه وضمنى الى صدره وصعد بى فى الطريق التى نزل فيها عندما حملنى الى اسفل. ولم يتعب بحملى على ذراعيه حتى اوصلنى الى قمة الجسر الممد للمرور من الحفرة الرابعة الى الخامسة. وهناك وضعنى بلطف على ذلك الصخر الوعر المنحنى الذى يصعب حتى على الماعز اجتيازه. ومن هذا المكان بان امام نظرى وادٍ آخر.

النشيد العشرون

توطئة

يزور الشاعران الحفرة الرابعة وهى تحتوى على الانبياء الكذبة والذين ادعوا العلم بالتنبؤ عن المستقبل. فهم ملفتون نحو كليآتهم مضطرين الى ان يمشوا القهقرى حيث لا يستطيعون النظر الى قدام.

يدل فيرجيليو دانتى على اهم هؤلاء الهلكى ويقف بالقرب من دوح مانتو العرافة فينتهز الفرصة ليشرح له اصل مدينة مانتوا (Mantova)

(المعرب)

النشيد

العرافون

يطيب لى التكلم فى مستهل النشيد العشرين هذا عن عذاب غريب يتعذبه الهلكى المقيمون فى هذه الحفرة الجهنمية .

كنت اخذت اتطلع بكل انتباه الى قاع هاته الحفرة المرتوية بالدموع الحارة. فرايت طائفة من الارواح صامتة وباكية تمشى بقدم متثاقلة كما يسير البشر فى الدنيا وهم يرتلون الطلبات (او الاوراد) فى التطوافات الدينية : وحينما اقتربت حتى اصبحت فى المكان الذى يقع عليه نظرى. رأيت كل روح منها لافتة عنقها بشكل مدهش. فكان وجهها دائراً نحو كليتها وكانت مضطرة الى ان تسير القهقرى لان عينها كانتا متجهتين الى القسم الخلفى من الجسد. ولذلك لم يكن باستطاعتها النظر الى الامام. فلربما يحدث احياناً لاحد الناس انه يصبح هكذا لفالج يفاجئه. غير انى لم اشاهد فى زمانى احداً على هذا الشكل ولا اظن ايضاً انه حصل لاحد فى الدنيا حتى الان .

فالله اسأل ان يجملك ايها القارئ ان تتعظ من قرائتك دواني هذا. وفكر الان كيف امكنني ان اتمالك عن البكاء عندما رأيت عن كثب هيئات بشرية شريفة ملتفتة بنوع ان الدموع المتساقطة من عيونها كانت تنحدر على ظهورها. وتجرى فى الفلوق الكائنة بين الياتها .

فمن المؤكد كنت -وانا متوكئ على احد تلك الصخور النابذة- اذرف العبرات . حتى قال لى مرشدى . ما زلت انت فى عداد اولئك الحمق الذين يشفقون على الاشرار ؟

فى هذا المكان حيث فقدت عاطفة الشفقة نحو الهلكى يشعر المرء بعاطفة التعلق بالدين. فمن يكون اكثر خطاءً تجاه الله من ذاك الذى يظهر عطفاً امام تنفيذ العدل الالهى الذى ينكره فى قلبه؟

ارفع رأسك. ارفعه. وانظر الى ذلك الذى انشقت الارض من تحته اثناء حصار تيبه وقد هزأ به المحاصرون صارخين به : الى اين تتدهور يا انفيارو[١] لماذا تغادر الحرب؟ .

---

(١) – انفيارو: عراف عظيم كان احد الملوك السبعة الذين حاصروا مدينة تيبه وتكهن بانه يلقى حتفه اذا ذهب للحصار . ولذلك اختبأ غير ان زوجه اريفيله خانته. فاضطر حينئذ للاشتراك بالزحف على المدينة . وفى اثناء الحرب ارسل الاله جوفه (المشترى) صاعقة فانشقت الارض من تحت قدمى انفيارو فابتلعته .

اما هو فلم يقف الا بعد ان اتى مينوس الذى لا خاطئ يستطيع ان يفر من حكمه .

انظر كيف لفت وجهه نحو كتفيه لانه اراد ان يتكهن كثيراً عن المستقبل والان ينظر الى الوراء ويسير القهقرى . ورَ تيريزا[1] الذى تبدلت هيئته فاستحالت الى انثى. لانه ضرب بعصاه ثعبانين كانا مشتبكين حباً وغراماً. وقبل ان يعود الى هيئته الاولى اضطر فيما بعد الى ان يضرب بالعصا نفسها الثعبانين ذاتيهما العالقين ببعضهما .

اما الذى بطنه ملتصق بظهر تيريزيا اى الاتى بعده فهو اورنتا[2] . الذى اقام فى مغارة بين مقاطع المرمر الابيض فى لونجانا حيث كان يشتغل الكراريسيون. فمن اعلى تلك المغارة كان هذا العراف يستطيع بسهولة معاينة النجوم والبحر فيناجيهما .

(١) — تيريزيا: عراف شهير. كان فى جيش اليونان اثناء حرب تيبه. يحكى عنه فى الميثولوجيا انه اراد يوما ان يفرق بين ثعبانين مشتبكين هياما فاستحال حالا الى انثى. ولم يعد بامكانه الرجوع الى ذكر ما لم يعد —غب مرور سبع سنوات—. الى ان ضرب الثعبانين نفسيهما وبالعصا ذاتها وبالظرف عينه .

(٢) — عراف اتروسكى شهير كان يسكن فى جبال لونجانا . تكهن بنشوب الحرب بين يوليوس قيصر وبومبيوس وبانتصار قيصر .

والتى تغطى ثدييها بضفائرها ولذلك لم ترها واعضاءها شعراء من جهة الضفائر انما هى العرافة مانتو التيبية(١) التى انهزمت من تيبه واخذت تنتقل من بلد الى آخر واخيراً اقامت فى لومبارديا او بالاحرى فى مسقط رأسى ولهذا ارغب منك بان تعيرنى سمعك قايلاً :

اصل مانتوا (Mantova)

بعد ان انتقل ابوها من الدنيا الفانية واصبحت مدينة تيبه المكرسة للاله باخوس تحت نير العبودية . ذهبت مانتو هذه تائهة فى الدنيا زمناً طويلاً .

ان فى الارض الكائنة بايطاليا الجميلة عند سفح جبال الالاب الفاصلة تيرولو من جرمانيا. بحيرةً تدعى بيناكو (اليوم غردا Garda). وعلى ظنى ان جبال الابنين الكائنة بين قصر غردا وفال كامونيكا ترتوى من اكثر من الف عين التى بانحدارها تجرى وتصب فى بحيرة غردا.

(١) — مانتو : عرافة تيبية انهزمت من وطنها بعد وفاة ابيها للتخلص من ظلم كيرونته فوصلت لومبارديا (ايطاليا الشمالية) حيث اقامت . وشيدت مدينة مانتوا (Mantova) مسقط رأس الشاعر فيرجيليو.

هناك فى الوسط ـ مكان هو الحد الفاصل بين ابرشيات ثلاث: ترنتو (Trento)، وبريشا (Brescia) ، وفيرونا (Verona). بنوع ان كلاً من الاساقفة الثلاثة يستطيع ان يباركه حيث ان سلطانه يصل اليه.

فعلى ضفة البحيرة الجنوبية السفلية قائمة بسكيرا (Peschiera). وهى حصن جميل حصين شاده الفيرونيون ضد اهالى بريشا وبرغامو (Bergamo) .

ومن هناك تخرج المياه التى تفيض عن البحيرة وتكوّن جدولاً يجرى فى مراعى فيرونا الخضراء . ولما تاخذ المياه بالجريان من بسكيرا بشكل جدول لم تعد تدعى بيناكو (Benaco) بل مينشيو (Mincio) حتى تصل الى غوفرنولو (Governolo) حيث تصب فى نهر البو (Po).

اما المينشيو فبعد جريان قليل يجد سهلاً منخفضاً تمتد فيه المياه وتجعله مستنقعاً مضراً بالصحة فى فصل الصيف .

ان مانتو العرافة العذراء القاسية رأت اثناء مرورها بتلك البقعة قطعة ارض وحشة قفرة كائنة فى وسط المستنقع. وكى تفر من كل اختلاط بشرى نزلت فيها والارواح خدمتها. وقضت حياتها تتعاطى سحرها بكل حرية الى ان قضت نحبها .

فبعدئذ اذ راى القوم المنتشرون حوالى تلك البقعة انها لمكان حصين لكونها محاطة بالمستنقع. اتفقوا وشادوا فيها مدينه. اى فى المكان نفسه الذى دفنت فيه العرافة مانتو —ومن اسمها— لانها انتقته لاقامتها. اسموها «انتوا». اذ لم يروا اسماً اوفق تيمناً لمستقبلها.

ان سكان هذه المدينة كانوا اكثر عدداً قبل ان يخدع الكاسالوديون[1] بنصيحة بينامونته. بناءً على ذلك. اننى احذرك من ان تصدق رواية غير هذه تسمعها عن اصل وطنى. فلا كذب يستطيع ان يبدل حقيقة ما قلته لك.

عرافون اخرون

فاجبته: ايها الاستاذ ان كلامك لحق هو. واننى لواثق به تمام الثقة. ولا اعتبر كلام الغير بهذا الصدد لانه كالفحم المطفىء لا نور ولا حرارة يصدر عنه. ولكن اخبرنى عن القوم الذين بيننا

---

(١) — كان الامراء الكاسالوديون اسياداً لمدينة مانتوا سنة ١٢٦٩ ولكنهم تعادوا مع الشعب. فكان بينامونته بوناكوسي محبوبا منه. فنصح الكونت البرتو كاسالودى ان يبعد عن المدينة خصومه ثم يخرج هو مع ذويه لزمن وجيز واعداً اياه بتسكين غضب الشعب بما له عليه من النفوذ فقبل الكونت النصيحة. وبعد ان ابتعد وجماعته عن المدينة حرك بينامونته الشعب ضدهم. واصبح سيداً على المدينة وحكم فيها الى سنة ١٢٩١. ولذلك قل عدد سكانها نظراً لمهاجرة اناس عديدين منها

كنا نتكلم كانوا يواصلون سيرهم البطيء ان كنت ترى بينهم من يستحق الذكر فان ذهنى متجه الان الى هذا فقط»

حينئذ قال لى: ان ذلك الذى لحيته متدليه من وجهه على كتفيه العريانتين كان عرافاً فى زمن غزوة اليونان مدينة طرويا. وقد اشترك فيها جميع الرجال شباناً وشيوخاً. ولم يبق فى الوطن سوى الاطفال فى المهد. وبالاتفاق مع كالكانته[١] حل مربط السفينة المستعدة للسفر من مرفاء اوليده حيث كان اليونان مجتمعين. فاسمه اوريبيليو[٢] وقد تكلمت عنه فى ديوانى اينيده كما تعلم لانك درسته برمته. والاخر الهزيل عند منكبيه هو ميخائيل سكوتو[٣] الذى عرف جيداً صفة السحر الكاذب. وانظر الى غويدو بوناتى[٤] والى اسدنتى[٥] الذى يتمنى ان يعود الى استعمال الجلد والسلك. غير انه تأخر بالندامة ولات ساعة مندم.

(١) – كالكانته: راهب وعراف يونانى فى زمن حرب طرويا تكهن بطول مدتها

(٢) – اوريبيليو: ملك تساليا. عراف ايضاً واحد ابطال الاغريق فى غزوهم طرويا.

(٣) – ميخائيل سكوتو: من سكوتسيا. فلكى ساحر فى عهد الامبراطور فدريك الثانى.

(٤) – غويدو بوناتى: طبيب وفلكى فيورنتينى اشتهر فى الجيل الثالث عشر.

(٥) – اسدنتى: اسكاف (عتقجى) اى من بارما (Parma) اتخذ العرافة حرفة فى ايام فدريك الثانى.

وانظر ايضاً الى الساحرات اللائى تركن الابرة والمغزل والمكوك واتخذن العرافة مهنة مستعملات الاعشاب والايقونات.

ولكن تعال اذاً فها القمر على وشك الغروب. وبامس كان كاملاً فعليك ان تذكره لانه افادك اكثر من مرة فى الغابة المظلمة .

هكذا كان مرشدى يقول لى بينما كنا نسير معاً .

النشيد الواحد والعشرون

توطئة

يصل دانتى وفيرجيليو الى جسر الحفرة الخامسة حيث يقيم السماسرة بحراسة الزبانية. وهؤلاء السماسرة قد تاجروا بدوائر الحكومة وبانعامات الامراء. فهم غاطسون فى الزفت الفائر. يرى الشاعر الايطالى المذاب الذى ينزله الزبانية فى احد ابناء مدينة لوكا وصل جهنم تلك الساعة. وحيث كان جسر الحفرة السادسة خرباً يواصل الشاعران السير على السد وامامهما طائفة من الشياطين.

(المعرب)

النشيد

السماسرة

فشرعنا نسير من جسر الحفرة الرابعة قاصدين الى جسر الخامسة ونحن نتكلم بامور لا اهتم بذكرها الان فى هذه المنظومة. وكنا بلغنا اعلى الجسر الخامس عندما وقفنا لنرى الحفة الخامسة التى تتصاعد منها اصوات النحيب العديم الفائدة. وكانت مظلمة مدلهمة. ففى اسفلها كان يفور ليس من قوة النار ولكن بامر الهى- زفت كثيف يلطخ الصخرة كلها. وهو يحاكى القار الذى كان البنادقة (Veneziani) يفورونه بالشتاء فى الترسانات ليجلفطوا مراكبهم المتعطلة. فانهم فى فصل الشتاء لا يجوبون البحار وبدلاً من ذلك ياخذ كل واحد منهم يعمل عملاً. فنهم من يجدد بناء سفينته. ومنهم من يسد ثقوبها المتأتية من اسفار عديدة. وبعضهم يقوى مؤخر مركبه او مقدامه بالمسامير. واخرون يصنعون المجاذيف ويلفون الحبال. وغيرهم يرقع الشراع الصغيرة والاخر الكبيرة.

فكنت انظر الى الزفت ولكننى لم ار فيه غير الفقاقيع التى كانت تعلوه نظراً لشدة فورانه . وكان يتضخم كله . وعندما تفرقع الفقاقيع يعود فينخفض. وبينما كنت احدق الى اسفل وانا مقيم فوق حافة الجسر جذبنى مرشدى اليه وقال: انتبه. تيقظ. فالتفت كمن يريد ان يجتنب شيئاً خطراً رآه. وبسبب خوف فجائى يفقد كل شجاعة. ورغم انتباهه لا يتمالك عن الفرار ولكنه لفضوليته ينظر ويفر بالوقت نفسه. فرأيت شيطاناً اسود آتياً من ورائنا صعداً على الصخرة. فكم كان منظره وحشياً. وكيف كان عمله شرساً قاسياً. فكان سابحاً فى الفضاء وجناحاه منبسطان وبالوقت نفسه يجرى بخفة على قدميه حاملاً على كتفيه النابذتين خاطئاً. وماسكاً اياه فى ساقيه. وصاح من الجسر حيث كنا واقفين:

يا مالبرانكه[1] هاكم احد حكام سانتازيتا. ضموه تحت الزفت. وانا اعود لاخذ غيره على شاكلته. فانى ملأت تلك المدينة (لوكا) بامثاله. فاهلوها كلهم سماسرة ماعدا بونتورو داتى[2]. فيها يقترعون بالانتخابات الوطنية بحسب كمية الدراهم التى ينتقدونها وليس حباً بمصلحة وطنهم.

(١) – مالبرانكا: اسم كافة ابالسة هذه الحفرة .

(٢) – بونتورو داتى: من مدينة لوكا سمسار عظيم باع وطنه من البيزانيين. وقول دانتى انهم كلهم سماسرة ما عدا داتى فهو على سبيل الاستهزاء والمقصود من كلامه هذا ان بونتورو هو رئيس السماسرة .

وبعد ان رمى بذلك الخاطئ فى القار لفت وسار بسرعة كلية لا تعادلها سرعة الكلب الجارى الفالت عندما يتبع اللص .

اما ذلك الخاطئ فغطس فى الزفت ثم عاد فعلاه وظهره الى فوق كمن يطويه بشكل قوس علامة للعبادة . ولكن الزبانية الذين كانوا تحت الجسر صرخوا به قائلين: هنا لسنا فى لوكا حيث تحترم صورة القديس فولتو . فهنا يسبح بخلاف السباحة فى نهر سركيو[1]. فاذا كنت لا ترغب بان تجرب خمشاتنا. خير لك الا تعوم بل ابق دائماً تحت الزفت. ثم مسكوه باكثر من مئة كلاّب وقالوا له: عليك ان تمكث هنا فترقص تحت القار. وستعوم عندما يمكنك فقط ان تفعل ذلك خفية عنا .

وغطسوه كما يغطس الطهاة بادواتهم اللحم فى الخلقين حتى لا يعوم فوق المرق .

تهديدات الابالسة

فقال لى استاذى الصالح: كى لايتمكن الابالسة من مشاهدتك توارَ وراء صخرة نابذة حيث تقدر ان تجد ملجاءً ولا تخشى اية

---

(١) — سركيو: جدول يمر بالقرب من مدينة لوكا .

اهانة احبوا ان يوجهوها الىّ. فانى خبير بامورهم. فقد تعاملت معهم مرة اخرى .

ثم اجتاز الجسر ولما وصل السد الفاصل بين الحفرة الخامسة والسادسة ظهر بمظهر الشجاع الجرئ .

اما اولئك الابالسة فلما رأوه خرجوا من تحت الجسر مندفعين بشدة وعنف كما تهجم الكلاب على الفقير الذى يقترب من البيوت متسولاً. وادارو كلاليبهم كلها نحو فيرجيليو. اما هو فصرخ بهم: لا احد منكم يظهر معى توحشاً وقساوةً. وقبل ان تمسنى كلاليبكم فليتقدم احدكم ليكلمنى وعندئذ تقرون فيما بينكم فيما اذا كنتم تمسوننى ام لا بكلاليبكم .

فصاح جميعهم: تقدم يا مالاكودا[1]. فوقفوا وخرج من بينهم شيطان وبينما كان يتقدم نحو فيرجيليو كان يقول لرفقائه : ماذا يفيده التكلم معى؟ فلن يتخلص بذلك من كلالينا»

اما فيرجيليو فقال له: اتظن يا مالاكودا انك ترانى اتيت هنا وانا على ثقة من الفوز على معارضاتكم دون ان تعيننى ارادة الله

(١) – مالاكودا : اسم رئيس اولئك الابالسة .

او القدر الموفق؟ دعني اذاً اذهب لان في السماء يريدون ان اردي الغير هذا السبيل الوحشي»

حينئذ شعر مالاكودا باحتقار نفس عظيم حتى انه ترك الكلاّب يسقط على قدميه وقال لرفقائه: لا يمكن ان يجرح هذا.

عندها لفت مرشدي نحوي وقال: انت يا من تختبئ وراء حجارة الجسر تعال اليّ اميناً.

طائفة الابالسة

فتحركت واسرعت اليه غير ان الابالسة انتصبوا كلهم امامي مهددين. فخفت من انهم لا يطيعون رئيسهم الذي كان امرهم بالا يمسوا فيرجيليو بسوء. رأيت مرة الجنود البيزانيين خرجوا خائفين هكذا من حصن كابرونا[١] عملاً بالاتفاق مع اهالي لوكا ومروا بين صفين من الاعداء.

فاقتربت بكليتي من فيرجيليو وانا اواصل النظر الى اولئك الشياطين ولم تكن هيئتهم مجلبة للاطمئنان. فخفضوا كلاليبهم وصوبوها

(١) - اكابرونا: حصن شيده البيزانيون على ضفة ارنو اليمنى فحاصره الفيورنتيون واللوكيون في آب (اغسطس) ١٢٨٩. وكان دانتي حاضراً عندما سلم المحاصرون من الجوع فخرجوا مارين بين صفين من الاعداء.

نحوى وقال احدهم للاخرين: اتريدون ان اضربه على قفاه؟ فاجابوه: اجل. اجل. واجتهد ان تحكم الضربة جيداً. فالتفت حالاً الابليس الذى كان يتكلم مع مرشدى وقال: اجمد. اجمد. يا سكارميليونى وضع الكلاّب» ثم قال لنا: لا يمكنكما التقدم من هذه الصخرة لان الجسر السادس معطل حتى قاع هذه الحفرة. واذا شئتما الذهاب الى الامام مرّا بهذه الصخرة حيث يوجد جسر آخر فتسيران عليه. فامس الظهر قد مضى على تعطيل هذه الجسر ١٢٦٦ سنة (اى بسبب مجئ يسوع المسيح). فاننى ابعث واحداً من رجالى ليرى اذا كان يخرج من الزفت احد الهلكى. فاذهبا معهم ولا تخافا. فانهم لا يسيئون اليكما. ثم قال للابالسة: تقدم يا اليكينو وانت يا كالكابرينا وانت ايضاً يا كانياتسو وليتقدم ليبيكوكو ودراغينيازو وشيرياتو وغرافياكانه وفارفاريلو والمجنون روبيكنته والماشر بارباريتشا الكاف بقيادتكم. وطوفوا حوالى حفرة الزفت الفائر برفقة هذين الشخصين الى ان يصلا الجسر السليم الذى منه تجتاز الحفر كلها اى من الاولى الى الاخيرة.

فقلت الويل لى ماذا عسانى ارى يا استاذى؟ ان كنت تعرف الطريق فلنذهبن وحدنا بلا رفقة هؤلاء الشياطين. لاننى لا اريد

ان اسير معهم . فلو كنت منتبهاً كما هى عادتك لكنت تراهم كيف يكشرون عن اسنانهم وينظرون الينا مهددين.

فاجابنى: لا تخف دعهم يكشرون عن اسنانهم كما يشاؤون. انهم يفعلون ذلك ليخيفوا الخطأة المتعذبين.

فالتفتوا نحو السد الذى من عن اليسار ولكن قبل ان يتحركوا عض كل منهم لسانه غضباً مشيرين الى رئيسهم باربارتشا. اما هذا فكان يدق دقة المشى جاعلاً استه بوقاً .

النشيد الثاني والعشرون

توطئة

يواصل الشاعران سيرهما على سد حفرة السماسرة . فاحدهم المدعو شامبولو دى فاوارّا -وهو قابض عليه ابليس- يتكلم عن نفسه ومن الاخ غوميتا وميخائيل زانكه. ورغب بان يخبر عن غيرهما ايضاً. ولكن الزبانية يهددونه بالعذاب. اما هو فيحتال عليهم ويتخلص منهم فينغطس فى الزفت. حينئذ يشتبك اثنان منهم بعراك عنيف.

(المعرب)

النشـــيد

الشاعران وطائفة الابالسة

كثيراً ما شاهدت فرساناً زاحفين وشارعين فى قتال ومستعرضين. ورأيتهم احياناً منسحبين طالبين النجاة. كما انى نظرت غزوات فى ارضكم يا اهالى ارتسو او غارات فى ارض العدو. وفرساناً يتحاربون فى ميدان القتال، وغيرهم يتعاركون شخصاً لشخص. تارة على دق البوق، وطوراً على قرع الاجراس، وحيناً على ضرب الطبول، وآناً على علامات صادرة من الحصون وغيرها. وباسلحة مستعملة عندنا (الايطاليان) او عند الجنود الغربية. ولكننى لم ار قط على مثال آلة كهذه تحرك على هذا المنوال فوارس ولا مشاة ولا سفينة ايضاً سواء أكان باشارات مرسلة من الشاطئ ام بعد معاينة النجوم.

فانا وفيرجيليو كنا نسير مع اولئك الابالسة العشرة. فيالها من رفقة مخيفة! ولكن حسب قول المثل:

«فى الكنيسة مع القديسين، وفى الخمارة مع السكيرين».

وكان انتباهي موجهاً فقط الى الزفت الفائر لارى كل حركة في الحفرة وانظر الى حال الهلكى الغائصين فيها .

فكمثل خنازير البحر وهي تتبع المراكب لتنبه البحارة (بتقويس ظهورها). الى قرب هبوب العاصفة فيسرعوا لانقاذ سفينتهم. هكذا كان احد اولئك الهلكى يصعد ظهره خارج الزفت ويخفيه بحركة اسرع من حركة الحوت. وذلك ليخفف عنه العذاب قليلاً .

وكالضفادع التي تكون على حافة حفرة الماء ورؤوسها خارجة منه واجسادها فيه . هكذا كان الخطاة على حافة الحفرة بارزين رؤوسهم ومموارين بقية اجسادهم في الزفت الفائر وحينما يبان بارباريتشا يسرعون ويغطسون فيه .

شامبولو

عندها رأيت حادثاً اشعر الآن بخوف لدى ذكرى اياه. وهو ان احد اولئك المتعذبين مكث خارج القار. كما تمكث احياناً ضفدعة على حافة الحفرة بينما تغطس رفيقاتها في الماء. حينئذٍ الابليس غرافياكانه الذي كان قريباً منه غرز كلابه في شعره المزفت وجذبه الى فوق .

لقد عرفت اسماء كافة الابالسة لانني سمعت مالاكودا يدعوهم باسمائهم عندما امرهم بالذهاب بمعيتنا. وكذلك انتبهت حينما كان الواحد منهم يدعو رفيقه باسمه .

فصرخ اولئك الشياطين الملعونون معاً: «يا روميكنتي اغرز الكلاّب جيداً فى لحمه وقطعه» .

فقلت لاستاذى: اخبرنى ايها الاستاذ - ان امكن - من هو ذلك المسكين الذى وقع فى مخالب الابالسة ؟

فاقترب مرشدى منه وسأله من اين هو. فاجاب: انني مولود فى نافارا (Navarra). فاضطرت امى الى وضعى خادماً عند احد اسياد البلدة لكون والدى شقياً بذّر حياته وامواله فى الرذايل . فتوصلت الى الدخول فى قصر تيليدو الثانى ملك نافارا. وصرت من رجال حاشيته. فاكتسبت ثقته التامة. حينئذٍ انتهزت هذه الفرصة فاخذت ابيع احساناته بنقود. ولهذه الخطيئة اتعذب هنا فى الزفت الفائر»

فعضه الابليس شيرياتو بنابيه الخارجتين من فمه الشبيه بفم الخنزير، عضةً مزقت لحمه. ولو لم يأخذه بارباريتشا ويضمه بين ذراعيه لكان هذا التعس سقط تحت انياب هائلة .

ثم قال باربارينشا للابالسة: «قفوا مكانكم مازلت انا متمسكاً به. والتفت الى فيرجيليو وقال: ان كنت تشاء معرفة اشياء اخرى من هذا الهالك سله قبل ان يجذبه ابالسة اخرون. حينئذٍ سأله فيرجيليو: هل يوجد بين الهلكى فى الزفت ايطالىّ ؟

وهو = تركت من برهة واحداً سكن بلداً قريباً من ايطاليا. ولو كنت غاطساً فى الزفت بالقرب منه لما كنت اخشى الان مخالب هؤلاء الابالسة ولا كلاليبهم.

وعندها قال الابليس ليبيكوكو: لقد صبرنا عليه كثيراً. ثم غرز كلابه فى ذراعه وجذبه. فقطع منه قطعة. وكان شيطان اخر يدعى دراغينيازو يريد ان يغرز كلابه فى ساقيه. ولكن باربارينشا التفت نحو الابالسه ناظراً اليهم نظرة تهديد. فسكنوا. حينئذٍ التفت فيرجيليو نحو الهالك الذى كان ينظر الى ذراعه المجروحة وسأله دون ابطاء: من هو ذاك الذى قلت بانك ابتعدت عنه -لسوء حظك- كى تخرج الى الضفة؟.

فاجاب = هو الاخ غوميتا الذى كان حاكماً فى ولاية غالورا (فى جزيرة سردينيا). فارتكب الغش على كل نوع. وحيث كان نائباً لاوغولينو فيسكونتى البيزانى وقع بين يديه اعداء مولاه.

فبدلاً من ان يحكم عليهم. عاملهم معاملة للان يشكرونه عليها وتناول منهم بدلاً نقدياً واطلق سراحهم دون محاكمة كما هو يقول. وكان فى دوائر اخرى من اعاظم المتاجرين باموره‌ا. ومع هذا الاخ يوجد السيد ميخائيل زانكه حاكم لوغودورو (ولاية اخرى فى سردينيا) ولم ينقطع الاثنان عن التكلم عن سردينيا.

الويل لى! الا تريان كيف ان الشيطان الاخر يكشر عن اسنانه. ولولاه لكنت اتحدث اليكم عن اشياء اخرى. غير انى اخاف كثيراً من انه يسمع فيذيقنى امر العذاب.

حينئذٍ التفت الرئيس الى الشيطان فارفاريلا الذى كان يحرك عينيه يمنة ويسارى مهدداً الخاطئ بضربة كلاّب وصاح به: عد الى الوراء يا طير السوء.

حيلة شامبولو

ثم استطرد الهالك وقال لنا: اذا كنتما ترغبان بمشاهدة ومحادثة السماسرة التوسكانيين واللومبرديين. فاخرج لكما بعضهم من الزفت الفائر. ولكن انتظرا ليتوارى الابالسة قليلاً. والا اذا رأوهم يخافون من ان يغرزوا كلاليبهم فى اجسادهم. فحينما اصفر

ـ وانا جالس فى هذا المكان ـ اخرج لكما كثيرين منهم. لان العادة عندنا نحن الهلكى لما يعوم احدنا فوق الزفت يصفر لينبه رفقائه الى عدم وجود الابالسة»

فلما سمع الابليس كانياتسو هذا الكلام رفع فمه. وبعد ان هز رأسه قال: «اسمع كيف تعلم الخبيث ليتمكن من ان يغطس فى الزفت بحرية»

حينئذٍ قال ذلك الهالك الماهر بالاحتيال: حقيقة انى لشرير كبير. ولما اريد ان اسليكم اسمى لاذيق رفقائى اوجاعاً مؤلمة.

اما اليكينو الذى لم يكن يريد ان يصغى لاقتراح شامبولو فاجابه: اذا رميت نفسك بالزفت فاننى لن اسرع وراءك فحسب بل اننى اطير بجناحى اليك وامسكك قبل ان تتمكن من الغطس.

فلنترك يا رفقائى رأس السد ولننحدر من الجهة الاخرى حتى ان الصخرة تحجب عنا منظر الهلكى الذين يستدعيهم. وسنرى اذا كان هذا الهالك اسرع منا»

ستطلع ايها القارئ الان على خبر طريف مضحك.

لفت الابالسة كافة نحو المنحدر المقابل وكان كانياتسو اسرعهم. واقل رغبة فى الابتعاد عن الهالك اما هذا فانتهز الفرصة المناسبة.

وضم قدميه، وقفز بلحظة فى القار، وتخلص من باربارتيشا واباليسته الذين كانوا تآمروا على تمزيق جسده .

فاخذ كل واحد من الشياطين يلوم نفسه لعدم حيلولته دون فرار الهالك. واكثرهم خجلاً كان اليكينو الذى بنصيحته سبب فراره ولذلك طار اليه صارخاً: «الان القى القبض عليك» .

غير ان صراخه ذهب فى الفضاء عبثاً، وسرعة طيرانه لم تحل دون سقوط الهالك فى الزفت. فاضطر اذاً الى ان يطير نحو السد. وكان اشبه بالبطة التى تتوارى حالاً غاطسة فى البحيرة حينما يقترب الباز الذى يعود فيحلق فى الهواء مغتاظاً تعباً .

عراك الابالسة

فاغتاظ كالكابرينا من الخدعة وطار وراء اليكينو ليعاركه كما يفعل السمسار الذى يرى رفيقه لا يقبل نصائحه فينازعه .

ولما توارى الهالك. وجه كالكابرينا مخالبه ضد اليكينو وغرزها فيه. وكان الاثنان فوق حفرة القار . ولكن اليكينو كان اسرع منه فمسكه بمخالبه وسقط الاثنان معاً فى وسط الزفت الفائر.

وحالاً فرقت حرارة الزفت بينهما. ورغم جهودهما لم يتمكنا من النهوض منه لان جناحيهما كانت التصقت ببعضها جيداً.

فتاسف باربارتيشا والابالسة الاخرون مما حصل لرفيقيهم المتنازعين. فارسل اربعة ابالسة فى الفضاء من الجهة الاخرى من الحفرة. وانحدر اربعة بسرعة من هنا. واربعة اخرون من هناك. ووقفوا حيث يتمكنون من العمل بسهولة ورموا كلاليبهم فى المكان الموجودان فيه اليكينو وكالكابرينا وكانا انطبخا تماماً حتى اعضائهما. اما نحن فغادرناهم وهم على تلك الحال التعبة واستأنفنا السير.

النشيد الثالث والعشرون

توطئة

يسير الشاعران وحدهما. ولكنهما -خشية من ان يتبعهما الابالسة- ينحدران فى الحفرة السادسة. حيث يتعذب الجبناء المرتدون البسة ثقيلة فيتكلمان مع الاخوين غودنتى البولونيين. ثم ينظران صليباً فى الارض مداساً. ويجتازان الى الحفرة السابعة. (المعرب)

النشـــيد

استأنفنا السير على السد صامتين وحيدين الواحد خلف الآخر. كما يسير رهبان الاخوة الصغار في الشارع.

ان العراك الذي حصل امامنا بين الابليسين وجه فكرتي لحكاية ايذوب المأثورة: عما جرى بين الضفدعة والفار[١]. وبالحقيقة ان هذه الحكاية مطابقة تماماً في بدئها ونهايتها لحادثة كالكابرينا، الذي لرغبته في اذية اليكينو، انتهى واياه في القار.

ونرى ايضاً ان الحادثين شبيهان، سواء أكان في نية ابطالهما ام في نتيجتهما، بكلمتي «مو وايسا»[٢] ومعناهما معاً «اديسو» (adesso) وتعريبها: الآن.

وقد تولد في ذهني بعد هذين الحادثين فكرة ضاعفت الخوف الذي شعرت به حينما عين مالاكودا الابالسة لاستصحابنا. وكنت

---

(١) — الحكاية: ان ضفدعة قدمت نفسها لتقل فأراً يرغب باجتياز الحفرة وهي تنوي بذلك اغراقه. فقبل الفار. ولما وصلا وسط الماء. وكانت الضفدعة تستعد لاتمام مقصدها الشرير بان من الماء خطاف (شوحة) فافترسها والفأر معاً.

(٢) — ان لفظة ايسا — بتشديد السين وفتحها — عربية ومشتقة من «هذه الساعة» ومستعملة في معظم قرى لبنان وغيرها من البلاد العربية بمعنى الآن.

افكر بان هؤلاء الابالسة لا بد ان يكونوا تكدروا من تحدثنا الى ذلك الهالك وحسبوا عملنا اهانة لهم. فاذا اتحد غضبهم مع شعورهم الشرير الذى هو غريزى فيهم، يسرعون وراءنا بنية اسواء من نية الكلب الذى يعض الارنب.

وكان شعرى ينتصب من الخوف. وكنت انتصت وانظر الى الوراء لارى اذا كانت تبان حركة ما من جهة اولئك الشياطين. واخيراً قلت لفيرجيليو: ان لم نسرع ونتوارى اخشى ان يقبل الابالسة، لانى اتصورهم، لا بل اراهم بام بصيرتى. ويخال الىّ انى احس بانهم قابضون علىّ»

فاجابنى: «لو كنت مرآة لما كنت امثل هيئتك الخارجية باسرع مما افهم افكارك الان. كنت فى هذه الدقيقة افكر ايضاً بما تفكر به وتقوله لى. وحيث اتفق شعورانا اعتزمت الفرار مثلك. فاذا وجدنا مكاناً فى الصخرة اليمنى من السد نستطيع الانحدار منه فى الحفرة الاخرى، نتخلص من التحاق الابالسة الذى تصورناه.

فلما ابان لى فيرجيليو اعتزامه هذا ظهر الابالسة وكانوا طائرين نحونا مهددين. فاقتربوا منا.

حينئذٍ جذبنى مرشدى وضمنى حالاً الى صدره، كالام التى تفيق على ضجة وترى النار تستعر، فتضم ابنها بين ذراعيها، وتعتنى به اكثر من اعتنائها بنفسها، ثم تفر به لابسة قميصاً فقط. وانحدر من اعلى السد فى تلك الصخرة المنحنية، التى كانت احد جدران الحفرة السادسة، حاملاً اياى على صدره، كان له لا رفيق، وبسرعة اشد من سرعة الماء المنحدر من دولاب الطاحون والجارى فى القناة.

ولما وطأت قدماه ارض الحفرة السادسة، وصل الابالسة الى اعلى الصخرة، التى كنا قد غادرناها. ولم يعد ثمة خوف علينا. فان العناية الالهية، التى عينت الابالسة لحراسة الحفرة الخامسة، لا تسمح لاحد منهم بالخروج من دائرته .

الخبثاء

فوجدنا هنالك اناساً، وجوههم مصبوغة يسيرون الهوينا، وعليهم سمات التعب والانحطاط. وعلى رؤوسهم قبعات متدلية حتى عيونهم. وهى شبيهة بقبعات رهبان اديرة لوكونيا (جرمانيا). وكانت تلك القبعات مصنوعة من رصاص ومطلية من الخارج ذهباً

لماعاً يبهر النظر وثقيلة كثقل الالبسة التي كان فدريك الثاني[١]. يلبسها للذين تجرأون على اهانته. وكانت تخال كانها خفيفة مصنوعة من القش.

فياله من لباس ازلي مضنك!

وهنا لقتنا ايضاً شمالاً تابعين جهة اولئك الخطاة الذين كانوا يبكون بكاءً مراً. غير انهم لثقل قبعاتهم كانوا يسيرون ببطء حتى انني قلت لمرشدي: ابحث، ونحن سائرين، عمن يستحق الذكر بين هؤلاء اما لاعماله واما لشهرته.

كاتالانو ولودرينغو

واذ سمع احدهم لهجتي المتوسكانية صاح من ورائنا: خففا السير انتما اللذان تجريان في هذا الفضاء المظلم. وانت ربما تعرف مني ما تطلب».

حينئذ التفت مرشدي وقال لي: انتظره ثم سر واياه على مهل.

فوقفت ورأيت اثنين يسيران بسرعة ليصلاني، غير ان ثقل القبعة ووعورة المسلك كانا يحولان دون رغبتهما هذه. ولما صارا على

(١) – يقال ان الامبراطور فدريك الثاني عندما كان يحكم بالاعدام على من تجرأ على اهانة جلالته كان يأمر بنزع ثيابه وبالباسه لباساً مصنوعاً من رصاص ثخين. ثم يأمر باجلاسه على النار المستعرة. فيذوب الرصاص على ذلك التعس المحكوم عليه.

مقربة منى نظرا الىَّ ملياً دون ان ينبسا ببنت شفة. ثم التفت احدهما نحو الاخر وقال لرفيقه: يظهر من حركة تنفسه انه مازال حياً. فلو كانا ماشيين، فاى امتياز يوخر عنهما لبس القبعة الثقيلة؟ ثم عطفا نحوى وقالا: ايها التوسكانى الذى اتيت الى مقر الخبثاء قل لنا: من انت ان كان ذلك لا يزعجك.

فقلت لهما: انني ولدت وترعرعت فى مدينة فيرنزه العظيمة المشيدة على نهر ارنو الجميل. وموجود هنا باعمى وشحمى (حى) ولكن من انتما اللذان اراكما تذرفان الدموع؟ وما هو عقابكما الذى تظهرانه فى عيونكما الذابلة؟

فاجابنى احدهما: ان القبعات المذهبة من الخارج لهى مصنوعة داخلياً من رصاص وثخينة جداً حتى اننا نبكى من ثقلها. وهو كالثقل الراجح الذى يجعل الموازين ان تقعقع.

نحن الراهبان غودنتى[١] من بولونيا. وانا ادعى كاتالانو وهذا

(١) — رهبان غودنتى (Goudenti) اتباع رهبانية دينية عسكرية انشأها البابا ادريانوس السادس فى بولونيا سنة ١٢٦١ ودعيت فرسان العذراء مريم. وغايتها ايجاد السلم بين الاحزاب (التى كانت بمنازعاتها تجلب الخراب على المدن الايطالية). واصلاح ذات البين بين الاسر. وحماية الضعفاء ضد بطش الاقوياء. وقد ايد هذه الرهبانية الاحبار العظام والامراء. فامتدت فروعها الى مدن كثيرة بايطاليا المتوسطة والشمالية. ولكن لم يمض عليها زمن طويل الا ودخلها الفساد وكان عظيما حتى ان الشعب دعى افرادها باحتقار «غودنتى» وتعريبها المترفهون.

الذى بجانبي يدعى لودرينغو[١] . وقد استدعتنا مدينتك فيرنزه لنحكمها حباً بايجاد السلام فيها، واسمتنا حاكميها معاً . مع ان هذه الوظيفة كانت تعطى عادةً الى واحدٍ فقط. وان ما اجريناه فيها لم يزل ظاهراً فى خراب محلة غردينغو حيث كانت قائمة منازل الاوبرتيين. فبعد ان طردنا اصحابها منها امرنا بحرقها وتدميرها .

قيافا وحنانيا

فقلت ايها الراهبان ان اوجاعكما . . . ولم ازد كلمة على هذا لانى لحظت هالكاً مصلوباً على الحضيض بثلاثة اوتاد. ولما رآنى تحرك ونفخ وتنهد. وعندها قال لى الراهب كاتالانو وقد انتبه الى ذلك: ان الرجل المصلوب الذى تتفرس فيه انما هو قيافا الكاهن الاعظم الذى اشار على الفريسيين بقتل رجل واحد (يسوع

(١) – كاتالانو : ولد فى بولونيا سنة ١٢١٠ ولودرينغو ايضاً ولد فى السنة ذاتها. انتظما فى سلك الرهبانية المذكورة آنفاً وغب ان شغلا عدة وظائف فى المدن الايطالية انتخبا سنة ١٢٦٦ واليين لمدينة فيرنزه ليوفقا بعدل وانصاف المنازعات الداخلية فيها نظراً لكونهما عالمين تقيين . ولكن الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس دفع بهما الى الارتكاب. فاتحدا مع احد حزبيها واسرا بهدم منازل الاوبرتيين لكونهم من الحزب المضاد . وهذه المنازل كانت قائمة بجوار غردينغا حيث اليوم مشيد قصر الوالى.

المسيح) لراحة الشعب بكامله . فهو موضوع عرياناً فى وسط الشارع حتى يمر عليه جميع الجناة . ويدوسوه باقدامهم . والعقاب نفسه وفى الحفرة ذاتها يعاقب حموه الكاهن حنانيا وكافة الكهنة والفريسيين الذين اشتركوا فى المجمع الذى قضى بموت المسيح . وكان عملهم هذا سبباً لخراب الشعب الاسرائيلى .

حينئذٍ رأيت فيرجيليو مندهشاً من مشهد المصلوب بهذا الشكل فى المنفى الابدى . ثم لفت نحو الراهب وقال : ان كان مسموحاً لكم التكلم ولا شئ يزعجك قل لى : هل يوجد فى الصخرة الكائنة عن يمين الحفرة هذه مخرج نتمكن نحن الاثنين من الخروج منه دون ان تضطر الابالسة الى مرافقتنا ؟

فاجاب الراهب : يوجد اكثر مما تؤمل . فان صخرة قريبة منا ممتدة على الحفر الهائلة كلها . غير انها خربة عند حفرتنا هذه . فلا يمكن المرور عليها . لكنكما تستطيعان الصعود الى فوق الخراب المتراكم المكون ارتفاعاً فى الارض »

فلبث مرشدى قليلاً مطرقاً ثم قال : ان الشيطان مالاكودا الذى يمسك الخطاة بكلابه شاء ارشادنا بقوله اننا سنصادف سبيلاً للمرور .

فقال الراهب: عندما كنت فى بولونيا ادرس اللاهوت سمعت اقوالاً شتى عن رذائل الشيطان. وسمعت ايضاً بكونه كاذباً لا بل انه ابن الكذب بعينه»

بعدئذ مشى فيرجيليو مسرعاً ومتكدراً من اطلاعه على خدعة مالاكودا. وانا تركت الخبثاء يرزحون تحت ثقل قبعاتهم وتبعت استاذى

النشيد

الرابع والعشرون

توطئة

يخرج دانتى وفيرجيليو بعناء شديد من الحفرة السادسة ويذهبان الى سد السابعة حيث ينظران اللصوص المحكوم عليهم بالمكوث بين افاعى هائلة تهجمهم وتلدغهم. يجد دانتى بين هؤلاء فانى فوتشى من بستويا سارق الاوانى القدسية. فاكى يكدر هذا دانتى يتنبأ له بانكسار حزب البيض فى فيرنزه . (المعرب)

النشيد

صعود الشاعرين على السد السابع

نحو منتصف شهر فبرايو (شباط) اى فى ذلك القسم من السنة الجديدة فيه تكون الشمس فى برج الاكواريو[1] (اى من ٢١ جنايو [كانون الثانى] الى ٢١ فبرايو [شباط]) قوية الاشعة. والليالى طويلة كالنهارات. حينئذٍ يسقط الندى كالثلج فى الحقول. ولكنه حالاً يذوب. ففى ذلك الوقت يستيقظ الفلاح من رقاده، وحالما يخرج من كوخه يرى البرية كلها بيضاء، فيتصور سقوط الثلج، فيحزن لعدم وجود عشب لمرعى غنمه، فيعود الى منزله ويطوف فيه شاكياً متألماً كالفقير الذى لا يعلم ماذا يفعل. ثم بعد قليل يعود فيخرج فيرى الندى قد ذاب بتمامه فيرجع اليه الامل ويتناول هراوته ويسرح غنمه للمرعى. فكذلك الراعى تكدرت لدى مشاهدتى اضطراب مرشدى، لانه عندما وصلنا الى الجسر الخرب التفت الى بمنظر لطيف رأيته فيه للمرة الاولى وانا عند سفح ذلك الجبل حينما بان لى لينقذنى من تلك الحيوانات الكاسرة التى كانت

(١) الدلو

تعترض صعودي . . . . وفتح ذراعيه، ومسكني من خلف ليدفعني الى الامام . كمن يشتغل بيديه ويفكر بالوقت نفسه بما يجب عليه ان يعمل بعدئذ . ثم دفعني الى ما فوق ذروة الصخرة البارزة، ودلى حالاً على الاخرى قائلاً لي: تمسك بتلك ولكن جرب اولاً بيدك اذا كانت ثابتة فتحملك .

وبالطبع لم يكن احد من الجبناء يستطيع الصعود في تلك الطريق وعلى رؤوسهم القبعات الرصاصية الثقيلة .

فاننا مع كوننا ضعيفين جداً بالكاد تمكنا من الصعود عليها درجة فدرجة. والجهة التي صعدنا منها لم تكن اقصر من التي تجاهها. فانني لا اعلم ماذا كان حصل لفيرجيليو. فاتحدث عن نفسي فقط : انني كنت بلا شك مضنىً من التعب. وحيث كانت مالابورجه منحنية نحو فوهة بئر الجبابرة (وسنتكلم عنها فيما بعد). فان كل حفرة كانت اعلى من الخارج واوطأ من الداخل. وعلى كل، فاننا وصلنا الى ذروة السد البارز في مؤخر الصخرة التي تسلقناها. وشعرت بضعف قوي واصبحت غير قادر على المشي الى الامام . وحالما وطأت قدماي القمة جلست عليها .

واذ رآني فيرجيليو تعباً هكذا قال لى: عليك ان تعتاد مشقات كهذه. لان المرء لا يقدر ان يحصل شهرة طالما هو يجلس على الريش الناعم ويرقد تحت الكلة . . . . ومن يمت بلا شهرة يخلف ذكراً تطول مدته بقدر ما تطول مدة اثر الدخان المتصاعد فى الفضاء ، او الرغوة الظاهرة على وجه الماء. انهض اذاً، وتغلب على التعب بقوة ارادتك. لان بهذه القوة يستطيع المرء التغلب على كل عقبة مهما تكن كؤوداً. ولا يجب ان يستسلم لثقل الجسم المادى فيرزح تحته. فكى تصل الى مقر بياتريشه يجب عليك ان تصعد على سلم اطول واسرع. وللحصول على الغبطة لا يكفى الابتعاد عن الرذيلة فحسب. بل يجب التطهر من كل دنس. فاذا كنت تفهمنى اجتهد ان تستفيد من تعاليمى ».

فلما سمعت هذا الكلام انتصبت حالاً على قدمى واظهرت خفة اكثر مما باستطاعتى الحقيقية وقلت: سر اذاً امامى فاننى اشاعر بقوة تمكننى من اللحاق بك» .



اللصوص

فاستأنفنا السير صاعدين فى تلك الصخرة وهى اكثر وعورة وضيقاً وصعوبة وعناء من التى صعدنا فيها حتى الان. وكنت اتكلم مع فيرجيليو متظاهراً بكونى غير تعب. واذا بصوت خرج من الحفرة السابعة ولفظ كلاماً غريباً لم افهمه رغم وجودى على قمة الجسر الكائن فوق تلك الحفرة. وخال الىّ انه لصوت خارج من فم غضوب. فتطلعت الى اسفل لارى من المتكلم، ولكن ظلاماً حالكاً كان يسود ذلك المكان. فلا يتسنى لعين كائن حى ان تميز فيه شيئاً على الاطلاق.

حينئذٍ قلت لفيرجيليو: فلننحدرن يااستاذى من الجسر لنذهبن على السد الكائن بين الحفرة السابعة والثامنة. لاننى من هنا لم افهم جيداً الكلام الذى اسمعه صاعداً من اسفل الحفرة. وكذلك لا اميز جيداً ما اراه فيها.

فقال فيرجيليو: لا جواب عندى اليك سوى اجراء ما ترغب. لان الجواب على سؤال مصيب يجب ان يكون بالفعل وليس بالقول.

فانحدرنا من الجهة حيث رأس الجسر في سد الحفرة الثامنة. وحينئذٍ رأيت جيداً الحفرة السابعة فنظرت فيها كتلة افاعى غريبة الشكل. يرعبنى للان ذكرها، لا يوجد مثلها فى صحراء ليبيا حيث الافاعى المختلفة الاشكال. ولا فى بلاد الحبشة. حتى ولا فى بلاد العرب ايضاً. وبين تلك الافاعى كان الخطأة يركضون عراة مرتعبين ولا امل لهم بوجود ثقب يختبئون فيه، او طلسم يلبسونه فيحجبهم عن النظر. وكانت ايديهم مربوطة من خلف بالافاعى التى كانت تلتف حول رؤوسهم وظهورهم وتعقد اذنابها فى مؤخر اجسادهم.

فانى فوتشى

وبينما كنا نتطلع الى اسفل الحفرة تعلقت افعى بخاطئ كان بجانب الضفة حيث كنا واقفين. والتفت حوالى عنقه. وباسرع ما يكتب الانسان حرف و، او حرف ى، اشتعل ذلك الهالك واحترق واستحال رماداً. ولكن عندما صار على الحضيض تجمع الرماد نفسه وعاد بالحال الى هيئة الروح الاولى.

حكى الاقدمون ان الطير فينيشه (العنقاء) يموت عندما يقترب من السنة الخمسين. ثم يعود الى الحياة . ويقولون ايضاً ان هذا الطير الغريب لا يقتات بحياته من العشب ولا من الحبوب، بل من دموع البخور ومن النبات العطرى فقط . وقبل ان يموت يلتحف بالناردين وبالصبر او المر المكاوى . وكمن يمسه جنون او يصيبه فالج يسقط ولا يعلم شيئاً . وحينما يستفيق ينظر الى ما حواليه ويتنهد وهو ضنيك من الالم.

هكذا كان ذلك الخاطئ بعد ان انبعث من الرماد.

ايتها القدرة الالهية كم عادلة انتِ . فكى تنتقمين بعدل من الاهانات التى سببها لك الخطأة تمنحينهم قوة كهذه !

فسأل المرشد ذلك الخاطئ عن اسمه. فاجاب: من زمان قصير سقطت من توسكانا فى هذه الحفرة الهائلة واسمى فانى فوتشى[1] (Vanni Fucci) الملقب بالبهيمة وكانت اقامتى فى بيستويا وطن الاشرار.

---

(١) – فانى فوتشى: ابن زناء وابوه فوتشي اللعازار من بيستويا. منغمس فى كافة الرذائل واشترك فى منازعات وطنية وارتكب عدة سرقات وغيرها من الرذائل . ثم اتحد مع زمرة لصوص وسرقوا كنوز كاتدرائية القديس يعقوب فى بيستويا. فحكم عليه بالاعدام مع رفقائه .

فقلت لمرشدي: قل له الاَّ يهرب. وسله لاى ذنب قذف به الى هذا العذاب. فقد عرفته رجلاً دموياً ومحباً للنزاع.

اما ذاك الخاطئ وكان يصغى الىَّ. فلم يسع ليختنق بل تفرس فىَّ بانتباه وقال لى باحتقار وكدر : يؤلمني استعرافك اياى بهذه الحال التعسة، اكثر من تألمى من موتى. فانني لست استطيع ان ارفض مجاوبتك. اعلم اذاً انى سقطت هنا لاشتراكى بسرقة اوانى بيعية ارتكبت فى سكرستيه (خزانة) كنيسة القديس يعقوب.

فاتهم بها اناس ظلماً. وحيث انك لم تسر برؤيتى هنا. تذكر اذا خرجت من هذه الاماكن الجهنمية ما اقوله لك الان : ان حزب السود سيطرد اولاً من بستويا ثم تستقبله فيرنزه وعندئذ تبدل طريقة الحكم فيها. بعدئذ يتصاعد فى وادى ماغرا[٢] (Val di Magra) بخار كثيف يملئ الفضاء، وتهب عاصفة شديدة فتحارب مع ذلك البخار فى بريات بيسان وعندما تسكن العاصفة يشاهد البيض فى الحقول وكلهم جرحى.

لقد قلت لك ذلك حتى تتألم».

---

(٢) — فى سنة ١٣٠٢ كان حزب السود يحكم فيرنزه فزحف على بيستويا وكان يحكمها البيض تحت قيادة موروبلو مالاسبينا. وانتصر فى السهل الكائن بين سيرافالى ومونتيكاتيني.

النشيد الخامس والعشرون

توطئة

بعد ان يعمل فانى فوتشى اشارة سيئة ويردفها بتجديفات يفر واحد من الزبانية حامل الافاعى ويركض وراءه

يواصل الشاعران النظر الى الحفرة السابعة فيشاهدان تبدلات مدهشة : استحالة الرجال الى افاعى، والافاعى الى رجال. فيتعرف دانتى الى بعض المتعذبين الفيورنتيين اشتهر باللصوصية .

(المعرب)



النشيد

سرقة الأوانى المبيعية

ولما انتهى من كلامه رفع يديه نحو السماء وعمل اشارة شينة مهينة وقال: خذ يا الله «فانى اوجهه اليك»

فمن ذلك اليوم احببت الافاعى كثيراً لانها كانت مستعدة ان تعذب ذلك اللص الرذيل. فالتفت واحدة منها على عنقه كانها تقول له: لا اريد ان تجدف فيما بعد على الله.

والتفت الثانية حوالى ذراعيه وربطتهما من وراء. ولفت ذنبها على كليتيه، ووضعت رأسها وذنبها قدام وجهه، واعادته الى الحال الاولى التى كان عليها قبل ان يستحيل رماداً، اى الى حال لم يستطع بعدها اعادة تلك الاشارة الردية ولاان يبدى حركة ما بيديه.

آه يابيستويا! يا بيستويا! لماذا لاتعتزمين تدميرك واستحالتك الى رماد. كما استحال ابنك فانى فوتشى. لانك فى ارتكابك الشر تفذين مشيديك انفسهم؟.[1]

---

(١) — فى عصر دانتى كان العموم يعتقدون ان اتباع كاتيلينا شيدوا مدينة بيستويا بعد انكساره. وكان كاتيلينا رجلا كثير الارتكاب تآمر على يوليوس قيصر

فلم اصادف فى كافة الدوائر الجهنمية نفساً متكبرة ضد الله مثل نفس فانى هذه. حتى ولا روح كاباتيئو الذى دعى من اسوار تيبه (وقد مر بنا ذكره).

انهزم فانى دون ان ينبس ببنت شفة ورايت الشنتورو يسرع وراءه صارخاً بغضب شديد: اين هو. اين هو عدو الله المتصلب؟

اللص الكبير كانو

لا اظن ان فى الماريما[١] كان يوجد افاعى بقدر ما كان حاملاً ذلك الشنتورو الى الحد الذى تبتدئ فيه هيئته البشرية. فعلى كتفيه ومن خلف فقرته كان حاملاً تنيناً مفتوح الجناحين فيحرق بهما كل من يمسه.

فقال لى فيرجيليو: ان ذلك الشنتورو يدعى كاكو[٢] وقد هرق دماء غزيرة حوالى مغارة جبل افنتينو حيث كان ساكناً. فانه لم يعاقب كالذين على شاكلته فى دائرة الخونة، بل لسرقته

(١) – كانت الماريما التوسكانية فى عصر دانتى ممتلئة افاعى مختلفة الجنس.

(٢) – فى الميتولوجيا «لص كبير كان يقطن فى مغارة بجبل افنتينو» احدى روابى روما السبع. فسرق اربع بقرات واربع ثيران خاصة اركولى وكى يوارى السرقة جر الحيوانات باذنابها حتى لا يبقى أثر الاقدام فى الارض. غير ان عجيجها كان سبباً لاكتشاف السرقة فقتله اركولى بضربات مطرقة حديدية.

حيوانات اركولى، وكان هذا استجلبها من اسبانيا وارسلها لترعى بالقرب من الجبل المذكور. وقد اضطر بعدها طبعاً الى عدم ارتكاب غيرها من الشرور. لان اركولى حالما اتصل به امر السرقة هجم عليه فى مغارته وضربه مئة ضربة بمطرقة حديدية. لم يحس الا بعشر منها فقط حيث انه سقط بعدها ميتاً نظراً لشدتها.

استحالة افعى الى جسم بشرى

بينما كان فيرجيليو يتكلم مع الشنتورو بنا مواصلاً جريه. وثلاث افاعى اتت تحت السد الذى كنا واقفين عليه. فلا انا ولا فيرجيليو شعرنا بها الا عندما صرخت بنا: من انتما؟

فلدى استماعنا هذا الصوت انقطع حديث المرشد عن كاكو. وانتبهنا فقط الى هذه الافاعى. ولكن هذه المرة حصل معنا امر لم يكن يحصل عادةً فى احاديثنا.

فاحتاجت احداهما الى ان تدعو رفيقة لها فسالتها باسمها: اين مكث شانفا[1]

(١) – شانفا (Cianfa) يقال انه من اسرة دوناتى الشهيرة. فيورنتينى الموطن اشتهر فى عصر دانتى باللصوصية وقد ارتكب سرقات ضد الشعب وضد الجمهورية كلها وسنراه امامنا يستحيل الى افعى ذات ستة اقدام.

فلدى استماعى هذا الاسم وكنت اعرفه سابقاً اشرت الى مرشدى بالسكوت واضعاً سبابتى على فمى: من انفى الى ذقنى.

فانى لا اتعجب اذا كنت ايها القارئ لا تصدق حالاً ما اقصه الان. لانى انا نفسى بالكاد اصدق حقيقته.

بينما كنت انظر بانتباه الى احدى تلك الافاعى الثلاث نشبت حية ذات ست اقدام امام احد اولئك الخطاة والتفت عليه بشدة، وضغطت بقوائمها المتوسطة على بطنه، وقبضت بالامامية على ذراعيه، ثم عضت خديه، ومدت قوائمها الورائية حوالى فخذيه، وادخلت ذنبها بينهما ورفعته الى ما فوق كليتيه.

فلم تر ابداً عشبة العاشق والمعشوق ملتفة على الشجرة كالتفاف تلك الافعى الهائلة على اعضاء تلك النفس التعسة. فالتصقتا الاثنتان ببعضهما كما لو كانت كل منهما مصنوعة من شمع حام، واختلطت الوانهما بنوع ان سمات الواحدة لم تعد تميز عن سمات الاخرى.

وحصل ذلك كما يحصل عادة للكاغد الموضوع فوق النار فيكتسب لون الحريق اى لا اسود ولا ابيض. اما الروحان الاخريان

فكانتا تنظران وكل واحدة تصرخ: الويل لك يا انيولو[1] كيف انك تتبدل. فلم يعد يظهر فيما اذا كان احدكما ثعباناً ام هالكاً. بل اصبحتما ذاتاً واحدة. وحيث كانت سمات الاثنين قد تبدلت تماماً واصبحت كسمات كائن واحد: فصارت الاذرع اثنين والافخاذ والسيقان والبطن والصدر كلها تبدلت هيئتها واستحالت الى هيئة غريبة جداً. فلم يعد ممكناً التمييز بين الطبيعتين. لان الطبيعة الاولى تغيرت تماماً. ولم تستحل الى هيئة بشرية ولا الى هيئة ثعبان. بل قد استحالت الى هيئة غريبة كانت تتكون شيئاً فشيئاً.

استحالة أفعى الى انسان وبالعكس

وكالوزغة الخضراء تجتاز في ايام القيظ الشديد من سياج الى اخر. فتمر بسرعة الصاعقة. هكذا انا شاهدت ثعباناً ملتهباً حنقاً اشحب اللون اسوده كحبة الفلفل اتياً نحو بطني الهالكين الاخرين. وطعن احدهما في صرته: اي العضو الذي يغتذي الجنين بواسطته. ثم سقط امامه متمدداً. اما المطعون فنظر الى الثعبان

(١) - لم يتفق الشراح على من يعنيه دانتي هنا. فالبعض قال انه انيولو برونيليسكي. لص اشتهر في فيرنزه.

ولكن دون ان يتكلم. بل اخذ يتثاءب وهو منتصب على قدميه كما لو كانت اصابته حمى او استولى عليه سبات. وكان الاثنان ينظران الى بعضهما بعضاً ويرسلان للخارج -الواحد من جرحه والاخر من فمه- دخاناً كثيفاً كان يتجمع فيما بعد.

ان حكاية التعس سابلو (Sabello) ونسيديو (Ncssidio) التي وصفها لوكانو[١] كانت اقل غرابة من الاستحالة التي اصفها الان. ولا تقمص كادمو (Cadmo) وارتوسا (Aretussa) الذي وصفه الشاعر اوفيديو[٢] يستحق ان يقارن بها. فاذا كان الشاعر في نظمه احال الاول الى حية والثاني الى ينبوع فانا لا احسده على ذلك. لانه بالحقيقة لم يبدل ابداً طبيعتين حيوانيتين مختلفة الواحدة عن الاخرى بنوع ان الهيئة البشرية والافعوية كانتا مستعدتين ان تتبادلا المادة المتكونتان فيها.

---

(١) - لوكانو: شاعر لاتيني مولود في كردوفا (اسبانيا) في ٣ نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ٣٩ ق. م. واهم منظوماته ديوان «فرساليا» سرد فيه اخبار الحروب الاهلية بين قيصر وبومبيوس. ووصف الميتات المؤلمة التي مات بها جنود رومانيون عديدون من جيش كاتونه. ويشير بنوع خاص الى جنديين: سابلو لدغه ثعبان فاستحال الى رماد ونسيديو لدغه ثعبان اخر فتضخم حتى تفرقعت درعه.

(٢) - اوفيديو: شاعر روماني شهير ولد سنة ٤٣ ق. م. نظم منظومات شتى واخصها «التقمص» وصف بها استحالة كادمو مؤسس تيبه الى افعى وكيف استحالت اريتوسا من اتباع ديانه الى عين ماء لكي تتخلص من إلفيئو الذي تتبعها

ان اعضاء الهالكين فى استحالتها امتزج الواحد منها فى الاخر بهذا الترتيب وبهذا الشكل. فقسم الثعبان اولاً ذنبه الى قسمين. والرجل المطعون فى صرته استجمع قدميه واتحدت ساقاه وفخذاه حتى لم يعد ثمة علامة لخط الاتصال بينها. اما ذنب الثعبان المنقسم الى جزئين فقد اتخذ شيئاً فشيئاً هيئة الساقين البشريتين اللتين كانتا تختفيان فى الانسان. وكان جلد الثعبان يرتخى وينعم كالجلد البشرى. بينما جلد الرجل كان يتصلب ويتحرش كذنب الثعبان. فرايت ذراعى الرجل تدخلان ابطيه، وقائمتى الثعبان الخلفانيتين القصيرتين تنبسطتان شيئاً فشيئاً. مع ان ذراعى الاخر كانتا تقصران الى ان تصيرا طول ذراعى الرجل قبل ان تتغير هيئته. ثم تجمعت قوائم الثعبان الخلفانية معاً واستحالت الى العضو التناسلى للهيئة البشرية الجديدة. بينما العضو التناسلى للانسان المسكين انقسم الى اثنين وكوّن القوائم الخلفانية للهيئة الجديدة الافعوية.

فجعل الدخان لمن صار ثعباناً لوناً بشرياً ولمن اصبح انساناً لوناً افعوياً. وانبت الشعر فى الاول واخفاه فى الثانى. بعدئذ نهض الاول وقد صار انساناً، اكثر من كونه ثعباناً، وسقط الثانى

على الحضيض اذ قد اصبح ثعباناً اكثر من كونه انساناً ولكنهما لم يتوقفا عن النظر الى بعضهما بعضاً. وكل واحد كان يبدل فمه. فالذى كان منتصباً وصار انساناً مد فمه نحو صدغيه ليجعله وجهاً بشرياً. ومن المادة التى تجمعت الى خاف تكونت الاذنان. والمادة الاخرى الباقية من الفم تكون الانف وتضخمت الشفاه بقدر مايلزم للهيئة البشرية. اما الذى استحال الى ثعبان وكان متمدداً على الحضيض فقد اطال فمه وجذب اليه اذنيه كما يجذب الحلزون قرونه عندما تمس. وانقسم لسانه الذى كان قبلاً واحداً ومستعداً للكلام الى لسانين، بينما اللسان الاخر انقفل داخلاً واستحال الى لسان انسان. حينئذٍ بطل الدخان. فالروح التى كانت استحالت الى افعى انهزمت زاحفة فى الوادى. والاخرى التى استحالت الى انسان كانت تكلمها من وراء وتبصق عليها. ثم لفتت كتفيها الجديدتين نحو الافعى وقالت لها: اريد ان بوزو[1] يزحف على يديه فى هذه الطريق كما فعلت من برهة حينما كنت افعى.

هكذا رايت الهلكى فى الحفرة السابعة يستحيلون ويتبدلون. وليعذرنى القارىء اذا كنت اسهبت ودققت فى وصف هذه

(١) - بوزو (Buoso) من عائلة اماتى من فيرنزه لص شهير .

الاستحالات الغريبة. مع ان عيناى كانتا تعبتين وفؤادى كان مضطرباً من مشاهدة هذه الاستحالات.

فلم يستطع اولئك المهلكى الفرار بعيداً من امامنا بمزيد السرعة حتى انى رايت جيداً بوشيو شيانكاتو[٢] وهو الوحيد بين الثلاثة الذين اتوا قبلاً ولم تتغير هيئته اصلاً. اما الذى تحول الى افعى فهو فرنشيسكو كافالكانتى[٣] الذى قتله رجال قصر غافيله فى فالدرنو وقد انتقم له اقاربه بكل صرامة حتى ان غافيله (Gaville) تتالم للان من هذا الانتقام.

(٢) — بوشيو شيانكاتو: من اشراف فيرنزه ومع ذلك فقد اشتهر فى عصر دانتى باللصوصية.

(٣) — فرنشيسكو كافالكانتى: من اشراف فيرنزه ايضا. قتله رجال غافيله (Gaville) لكونه لصاً. غير ان عائلته ثارت له بقتل كثيرين من الغافيليين.

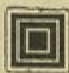


النشيد السادس والعشرون

توطئة

اذ يترك دانتي حفرة اللصوص يرشق فيرنزه بسهام الشتيمة والتوبيخ. ثم يستانف الشاعران العود على السد الذي كانا انحدرا اليه. ويصلان الحفرة الثامنة فيشاهدا في اسفلها السفنة نار عديدة كل واحد منها ملتف بخاطئ. اعني روح مستشار غشاش. يرى دانتي لهيباً ينتهي في رأسين فيسال عن السبب. فيعلم ان هذا اللهيب يلتف بروحي ديوميدي وعولوس. فيسال فيرجيليو عولوس عن رحلته فيقصها عليه حتى ساعة موته.

(المعرب)



النشـــيد

توبيخ فيرنزه

سرّى يا فيرنزه وافرحى. لانك بينما انت عظيمة فى العالم، وشهرتك طبقت الاقطار براً وبحراً. ينتشر اسمك فى كافة دوائر جهنم. لقد وجدت بين اللصوص الهلكى خمسة من ابنائك، ومن اشرف عائلاتك. فاستولى علىَّ من ذلك خجل عظيم. ولا شك ان هذا الامر لا يشرفك كثيراً. ولكن اذا كان صحيحاً الاعتقاد بصحة احلام الصباح لانها تنبئ عن اشياء تحدث حقيقة. فانك ستشعرين حالاً بالتأثيرات المكدرة المتأتية من رذائل بنيك. وتصيبك شرور يتمناها لك ليس فقط براتو فحسب بل جميع اعدائك. فاذا كانت هذه الشرور المقدرة قد اصابتك فانها تكون حدثت فى الوقت المناسب. وطالما تحقق وقوعها. فمن الاوفق ان يكون ذلك معجلاً حتى لا يكون ثقلها علىّ شديداً فيما اذا تاخرت. وانا تقدمت بالعمر. فأتالم من اجلها الماً زائداً.

المستشارون الاشرار

ابتعدنا من السد الثامن الذى انحدرنا اليه لنميز سكان الحفرة السابعة. وصعد مرشدى امامى. وجذبنى خلفه فى تلك الصخرة البارزة التى اتخذناها سلماً للانحدار. وواصلنا المسير فى تلك الطريق المنفردة صاعدين على الصخور. مستعينين بايدينا. وبسوى ذلك كان يتعذر علينا الصعود. حينئذٍ شعرت بالم لم ازل اشعر به للان. اذ اتذكر كيف يعاقب الذين يستخدمون ذكاءهم للشر. ولذلك الجم عقلى الان اكثر من قبل ولا اريد ان افرط به سواء اكان ممنوحاً لى من الكوكب ام من الله.

فكم يرى الفلاح من الحباحب فى ايام الصيف اذا تطلع من ذروة الرابية حيث مشيد كوخه الى اسفل الوادى، حينما يبيت الذباب، ويفرغ المحل للبعوض (عند المساء) فى الكرم، ام فى الحقل، حيث يقطف العنب او يحرث الارض. هكذا كانت الحفرة الثامنة تشعشع بالسنة النار رايتها حينما وصلت اعلى الجسر حيث يمكن مشاهدة قعر الحفرة.

وكذلك كمن[1] راى النبي ايليا[2] مختطفاً الى السماء، تقله عربة نارية، تجرها خيل من نار، وتبعه بنظره الى ان لم يعد الى مكانه، مشاهداً لسان النار الذى كان يتصاعد كالسحابة. هكذا كنت اشاهد السنة نار تتحرك فى وسط الحفرة الضيقة دون ان ارى الخاطئ الذى كان ملتفاً بكل واحد منها. وكنت واقفاً على الجسر منتصباً على رؤوس اصابع قدمى. ومنحنياً نحو الخارج لاطلع على ما فى الحفرة. ولو لم أتمسك فى حجر هنالك. لكنت سقطت الى اسفل دون ان يدفعنى احد.

واذ رآنى مرشدى منتبهاً قال لى: ان الانفس ملتفة بالسنة النار وكل منها متلبسة بلهيب يحرقها.

---

(١) – هو النبي اليشع الذى استهزأ به الاولاد الصغار فلعنهم انتقاما منهم فهجمت عليهم الذئاب وافترست منهم ٤٢ ولداً.

(٢) – النبي ايليا: عاش وتنبأ من سنة ٩١٩ – ٨٩٦ ق. م. وكان اليشع تلميذه وخليفته (٨٩٠ – ٨٤٠ ق. م.). جاء فى التوراة: بينما كان ايليا واليشع ذاهبين ظهرت لهما عربة نارية فخطف ايليا ونقل بها الى السماء. فمكث اليشع ينظر اليه مبهوتاً. فاستهزأ الاولاد به. فلعنهم. لذلك هجم عليهم ذئبان فمزقا منهم ٤٢ ولداً.

عولوس وديوميدى

Ulisse e Diomede

فقلت له: انى تاكدت ذلك ايها الاستاذ بعد ان سمعتك الان. وقد كنت تصورته وافكر بان اوجه اليك السؤال الاتى: بروح من يلتف ذاك اللهيب الذى يرتفع وليس له رأس واحد كغيره. بل انه منقسم الى رأسين مختلفى العلو كما رؤى صاعداً من كومة الحطب المحترقة التى حرقت ايتوكله[1] واخاه؟

فقال: ان فى ذلك اللهيب يتحد عذاباً عولوس وديوميدى[2]. كيفما كان متحدين فى استجلابهما غضب الله. وهنا يشمران الان بمؤثراته. ويمثل ذلك اللهيب المتضاعف يعاقب غش الحصان الخشبي،

(١) – ايتوكله وبولينيشه: توأمان ابناء اديبو ملك تيبه حلا اباهما على ان يتنازل لهما عن العرش. ويذهب للمنفى. لذلك لعنهما. ثم تعارك الاخوان وقتلا بعضهما بعضا. فوضعت جثتاهما على محرقة واحدة. فانقسم لهيبها الى اثنين علامة الغضب الذى كان الاثنان يشمران به. الواحد ضد الاخر بعد الموت ايضا.

(٢) – عولوس وديوميدى: هما بطلان منظومات هزلية الواحد محتال والاخر قوى اتحدا فى حرب طرويا بمواقع شتى فوحدا القوة مع الغش. هنا يشير دانتى الى خطايا ثلاث ارتكبها هذان الهالكان.

الذى كان ممتلئاً جنوداً يونانيين مختارين، وجلب الى طرويا[١]، ففتح بابه وخرج منه اينيئا ابو الرومان الاول .

ويعاقب ايضاً الغش الذى به حمل عولوس وديوميدى اكيله (Achille) [٢] على الاشتراك بالحرب ضد طرويا تاركا زوجه وايداميا حتى ماتت من الحزن. ويعاقب كذلك الغش الذى من اجله خطف هذان الهالكان من مدينة طرويا تمثال بلادى[٣] وكانت الالهة انبأت بايقاع ضرر جسيم على اهالى المدينة عندما يخرج منها التمثال.

فقلت: اذا كان هذان الهالكان يستطيعان التكلم وهما فى وسط اللهيب. ارجو منك رجاءً حاراً لا بل الف رجاء الاّ تمنعنى عن التربص هنا حتى يصلنا هذا اللهيب المتضاعف وستراني كيف انحنى كثيراً نحوهما نظراً لرغبتى الشديدة باستماع احاديثهما.

---

(١) – يقال ان اليونانيين كى يتمكنوا من الفوز على طرويا خدعة. تركوا فى ساحة القتال حصاناً ضخماً مصنوعاً من خشب فارغا فى الظاهر مع كونه ممتلئاً جنوداً. فاخذه الطروايون وادخلوه مدينتهم فخرج ليلاً الجنود المختبئون فيه وهجموا على الطروايين واحرقوا المدينة .

(٢) – اكيله : بطل رواية هوميروس غادر زوجته وايداميا ليشترك فى الحرب ضد طرويا عملاً بنصيحة عولوس وديوميدى .

(٣) – بلادى : تمثال للالهة مينرفا (الحكمة) محفوظ فى طرويا وكان من عقائد اولئك القوم ان مدينتهم لا تغلب ما زال التمثال المذكور منتصباً فيها. فاحتال عولوس وديوميدى وسرقاه وعقب ذلك سقطت المدينة فى ايدى الاغريق .

فقال: ان رجاءك يستحق كل ثناء وانا اتقبله. ولكن الاجدر بك الآن تكلمهما انت بل دعنى اتحدث اليهما انا. وقد فهمت ما تريد ان تعرفه. فلكونهما يونانيين وانت لاتيني. ربما لا يكترثان بك ولا يجيبانك. اما انا فبالعكس. لاننى اكتسبت شهرة عظيمة عندهما وخلدت ذكراهما فى مؤلفاتى»

فلما اقترب اللهيب من الجسر ورأى فيرجيليو فرصة للكلام سمعته يقول هكذا: انتما الاثنان الملتفان بلهيب واحد. ان كنت اكتسبت شهرة فى حياتى بذكر اعمالكما فى منظومتى «اينيدا» فقفا. وليقل لى احدكما (عولوس) اين ذهب وقضى نحبه؟ .

فالرأس الاعلى من ذلك اللهيب القديم. اخذ يتحرك وينطفئ كما لو كانت الريح تطفئه. ثم تحرك يمنة ويسارى كلسان يتكلم واخرج صوتاً يقول: فلما ابتعدت عن شيرشه (Circe) مسكنتنى الساحرة الشهيرة لدى رجوعى من طرويا الى ايتاكا (Itaca) وابقتنى عندها سنة واحدة فى جبل شيرشيلو (Circello) فى المكان الذى اسماه اينيئا فيما بعد غايتا (Gaeta) (ذكراً لمرضعه غايتا التى ماتت ودفنت هناك). فلا الحب الابوى. ولا الاحترام البنوى. ولا المحبة الزوجية المتوجبة علىّ نحو زوجى بنيلوبه (Penelope) حال كل ذلك دون

اشتياق الحار الى معرفة العالم. وفضائل البشر ورذائلهم. فباشرت السفر راكباً البحر (الابيض المتوسط) على ظهر سفينة يصحبنى رفقائى الحربيون الامناء الذين لم افترق عنهم ابداً. فزرت البلاد الغربية القائمة على الساحل الاوربى حتى اسبانيا. وعلى الساحل الافريقى الى مراكش. والجزائر الثلاث: سردينيا، وكورسيكا، وصقليه وغيرها من الجزر الكائنة فى ذلك البحر.

ومن جراء الاسفار المتواصلة اصبحت ورجالى طاعنين بالسن. ولذلك كنا بطيئى الحركة. لما بلغنا ذلك المضيق (جبل طارق) حيث هرقل[1] وضع علامة للمسافرين كى لا يجتازوه. اما نحن فعبرنا المضيق وغادرنا عن يميننا سيفيليا (Siviglia) بعد ان تركنا عن يسارنا ستا (Setta) (اليوم شوتا) (Ceuta). حينئذٍ قلت لاصحابى ايها الصحبان الذين صحبتمونى الى هنا بين مئة الف من الاخطار ووصلتم المغرب الاقصى. فلا ترفضوا فى البقية الباقية من حياتكم. ان تستحصلوا على الغبطة بان تشاهدوا وتعرفوا العالم الاخر الخالى من السكان[1] وانتم متبعين سير الشمس (نحو المغرب). فاعتبروا

(١) — يحكى فى الميتولوجيا: ان هرقل وضع عند مضيق جبل طارق جبلين الواحد يدعى ابيلى (Abile) على الساحل الافريقى والثانى كالبي (Calpe) على الساحل الاوربى كى ينبه المسافرين الا يتقدموا الى الامام. وهذان الجبلان دعيا ايضا عمودا هرقل.

مقام طبيعتكم البشرية. فانكم لم تخلقوا لتعيشوا كالبهائم بل لتمارسوا الفضيلة وتكتسبوا العلم»

فهذه الخطبة الوجيزة انبتت فى رجالى الرغبة بمواصلة السفر وتمكنت بكل عناء من اقناعهم بذلك.

فوجهنا مقدم السفينة نحو المغرب. وحركنا مجاذفنا مواصلين السفر الشاق متقدمين دائماً نحو الشمال. وكنا نشاهد ليلاً كافة كواكب القطب الجنوبى. بينما كانت نجوم عالمنا تظهر واطئة جداً. ولم تكن ترتفع على سطح البحر. وقد ظهر لنا وجه القمر الملتفت نحونا مشمشماً خمس مرات. وخمساً غيرها عاد فاظلم. اعنى انه كان مضى علينا خمسة بدور وخمسة اهلة (اى خمسة شهور) من اليوم الذى دخلنا ذلك البحر المتسع الى ان بان لنا جبل[٢] مظلم لا يميز جيداً لبعده. ويلوح بكونه مرتفعاً كثيراً. ففرحنا ولكن فرحنا تبدل حالاً الى ترح. لان ريحاً صرصراً هبت من تلك الارض وضربت داخل السفينة فدارت ثلاث دورات على ذاتها. وفى المرة الرابعة ارتفع مؤخرها وغطس مقدمها كما شاء الله واخيراً اغتمرنا البحر.

---

(١) – كان الجغرافيون المعاصرون لدانتى يعتقدون ان القسم الجنوبى من الارض كله مياه ولذلك غير مأهول.

(٢) – اجمع المفسرون على ان دانتى يقصد بكلامه هنا جبل المطهر.

النشيد السابع والعشرون

توطئة

بعد ان ابتعد اللهيب المستعر عن نفسى عولوس وديوميدى. يرى الشاعران لهيباً اخر يقترب منهما ملتفاً بنفس غويدو من مونتفلترو (Guido da Montefeltro) [1] فتسالهما عن احوال رومانيا السياسية. فيجيبها دانتى ويستحصل منها على حكاية الخطيئة التى من اجلها سقطت فى جهنم. ثم يواصل دانتى وفيرجيليو السير نحو الحفرة التاسعة.

(المعرب)

---

(١) – لم يذكر دانتى فى النشيد كله اسم الهالك الذى يتحدث اليه. غير انه معلوم. فهو الكونت غويدو من مونتفلترو. اشتهر بالفروسية والاحتيال ثم انتظم بسلك رهبانية الاخوة الصغار ومات فيها سنة ١٢٩٨. استشاره البابا بونيفاشيوس الثامن فى افعل واسطة للقضاء على سلطة اسرة كولونا (Colonna) فتوقف اولا عن اعطاء الجواب. ثم قدم للبابا رايا دل على حذاقته وعملاً بهذا الراى تمكن الحبر الاعظم من البطش فى تلك الاسرة العريقة بالشرف .

النشـــيد

غويدو من مونتفلترو

ان اللهيب الذى خرجت منه هذه الاجوبة كان منتصباً وساكناً لان عولوس كان انتهى من الكلام. ثم صرفه فيرجيليو فارتحل عنا. ولكن لهيباً آخر اتى بعده. فالفت نظرنا الى رأسه. لان منه كان يخرج صوت مضطرب يحاكى عجيج الثور الصقلى[١] الذى عج اولاً من صراخ صانعه. وعج ثانياً باصوات المساكين الموضوعين فيه ليشـووا. ورغماً من كونه مصنوعاً من نحاس كان يخال بانه يعج عجيجاً حقيقياً لتألمه من الاحتراق. وبالشكل نفسـه كان هذا الصوت المضطرب الذى يصدر من اللهيب لدى استعاره.

---

(١) – يحكى عن هذا الثور انه مصنوع مـن نحاس وصانعه يدعى بيريلو (Perillo) من اثينا. اهداه الى فالاريدى الحاكم المستبد فى اغريجنتى (Agrigente) بصقليه (Sicilia). فكان هذا المستبد الظالم يضع فيه المحكوم عليهم ويحميه فى النار. ومـن صراخ التعساء الموجودين فيه يصدر عنه عجيج كانه عجيج ثور حقيقى. وقد اراد ان يجربه اولاً بصانعه نفسه فادخله فيه وهكذا عج ذلك الثور لاول مرة وبكل حق بصراخ بيريلو ذاته جزاء لما فعلت يداه الأثيمتان.

يتكون من توجعات الهالك المتلبس باللهيب ذاته . ولذلك يسمع صوت النار ولكن حينما وجد صوت الكلام مخرجاً من رأس اللهيب وظهر جلياً بكونه صادراً عن لسان بشرى سمعناه يقول: «اوجه كلامى اليك -انت الذى من برهة- عندما صرفت الهالك الذى تقدمنى. قلت له بلهجة لومبردية (نسبة الى لومبارديا): اذهب فانى لا احملك على زيادة التكلم. ولئن كنت وصلت متاخراً فلا يزعجك وقوفك قليلاً لتتحدث الى. واعتبر ان ذلك لا يزعجنى ايضاً. ولو كنت متلبساً بهذا اللهيب الذى يحرقنى. فاذا كنت الان سقطت الى هذا العالم المظلم من تلك الارض الايطالية الجميلة ومنها تدهورت انا الى هنا حاملاً عبء خطيئتى كلها. قل لى:

هل اهالى رومانيا فى حرب ام فى سلم؟ فانى لرومانى مولود فى مونتفلترو وهى كائنة بين اوربينو وجبل كوروتارو منه ينبع نهر التبر (Tevere)

اما انا فكنت لبثت منحنياً ومنتبهاً نحو اسفل. فهزنى مرشدى من وسطى وقال لى. تكلم انت الان لان هذا لاتينى»

وكان جوابى حاضراً فاسرعت وقلت: ايتها الروح المختبئة فى اسفل هذا المكان. ان رومانيا ليست الان ولم تكن ابداً بلا حرب

فى قلوب اسيادها المفعمة حقداً على بعضهم بعضاً. انها فى الوقت الحاضر ليست فى حرب ظاهرة. وان رافينا(Ravenna) مازالت كما كانت منذ اعوام عديدة يرفرف فوق ربوعها نسر اسرة بولنتا القوية[١]. كما انه يحلق ايضاً فوق مدينة شرفيا الصغيرة. والارض التى تحملت حصاراً شديداً وفتكت بالفرنسويين فتكاً ذريعاً مازال الاسد ذو المخالب الخضراء رابضاً فيها[٢] ومازالت ريمينى (Rimini) وملحقاتها ترزح تحت نير استبداد مالاتستا(Malatesta) القديم والجديد (اى الاب والابن) من فيروكيو(Verruchio) اللذين قتلا مونتانيا البرشيداتى حينما وقع فى ايديهما[٣].

(١) – بولنتا (Polenta) : عائلة ايطالية فى العصور المتوسطة. كانت فى زمن دانتى حاكمة على رافينا (Ravenna) . وشرفيا(Cervia) : مدينة تبعد ١٢ ميلا عن رافينا وكان شعار هذه الاسرة نسرا احمر فى وسط اصفر.

(٢) – فى عام ١٢٨٢ ارسل البابا مرتينوس الرابع جيشا افرنسيا - ايطاليا الى رومانيا (بايطاليا) ليقاتل حزب البيض بقيادة جوانى دابيا (Giovanni d'Appia) فاستولى على فاينزا(Faenza). ثم زحف على فورلى. فدافع عنها غويدو من مونتفلترو وخرج منها مع رجاله وكسر اعداءه . ونحو ١٣٠٠ استولت على فورلى اسرة اوريفلى وشعارها اسد ذو مخالب خضراء فى وسط ازرق .

(٣) – سنة ١٢٩٥ اصبح مالاتستا سيدا على ريمينى وخلفه ابنه الملقب بمالاتستينو. وفى زمن دانتى استبد الاثنان فى ريمينى وامرا بقتل مونتانيا البرشيداتى وكان رئيس حزب.

ان المدينتين الكائنتين على نهرى لامونى (Lamone) وسانتيرنو (Santerno) وهما فاينزا وايمولا (Faenza ed Imola) يحكمهما ماغيناردو باغانو (Maghinardo Pagano) من سوسبانانا الذى يبدل حزبه بتبديل فصول السنة. وشعاره شبل ازرق فى وسط ابيض. وتلك شيزينا (Cisena) المشيدة على جانب نهر سافيو (Savio) قسم منها فى السهل وقسم فى الجبل . ولذلك قسم رازح تحت نير الاستبداد وقسم يتمتع بالحرية .

غويدو ينصح بونيفاشيوس الثامن

فارجو منك الان ان تقول لى من انت. فلا تكن اكثر شراسة من الانفس التى سألتها . اذا كنت تشأ ان يدوم اسمك طويلاً فى العالم.

فبعد ان اخرج اللهيب ذلك الضجيج اشارة لصوت الواجب ان يصدر عنه. حرك رأسه يمنة ويسارى ثم اجاب: «لو كنت اعتقد اننى اتحدث الى شخص يرجع من هذا الجحيم الى الدنيا. لكان هذا اللهيب يتوقف وكنت انا لا اتكلم. ولكن اذا كان ما سمعته صحيحاً من ان حياً لم يخرج ابداً من هذا القاع الجهنمى

فانني اجيبك ولا اخشى ان اقرارى بخطاياى سيعلم فى الدنيا ويجلب على اللعنات المرة .

كنت حربياً ثم انتظمت فى سلك الرهبان (الاخوة الصغار) اعتقاداً ان بذلك اكفر عن ذنوبى. وكان اعتقادى هذا اصاب المرمى لو لم يحملنى الاب الاعظم على الرجوع الى الذنوب الاولى. وبهذه الكيفية. ولهذا السبب ارغب بان تميرنى سمعك :

فاذ كنت من لحم وعظم كما وضعتنى امى كانت اعمالى تصدر عن خبث الثعاب. وليس عن بطش الاسد. فتعلمت كافة انواع الغش والخداع واستعملتها حتى طبقت شهرتى بهما العالم باسره. ولما بلغت سن الشيخوخة الواجب فيه على الانسان ان يستعد للموت كما يستعد النوتى لدى دخوله الميناء لينزل الشراع ويلف الحبال .

فكل ما كان يسرنى قبلاً. اصبح يسوؤنى فى هذا العمر. فندمت على خطاياى بعد ان اعترفت بها وترهبت فانتعشت بذلك نفسي. ولكن يا لتعاستى ! فان امير الفريسيين الجدد كان اعلن الحرب على اسرة (كولونا Colonna) لها املاك بالقرب من كنيسة القديس يوحنا اللاترانى برومه (١٢٩٧) وليس على اعداء الدين المسيحى كاليهود وغيرهم بل على المسيحيين انفسهم. مع كونهم لم

يساعد واحد منهم على سقوط عكا وهى آخر املاك الصليبيين فى بيت المقدس. ولا احد منهم تاجر بالاسلحة والذخائر فى ارض السلطان. فهذا الامير لم يحترم مقامه السامى ولا الانظمة الدينية. ولم يكترث ايضاً بحزامى الرهبانى الذى يحتزم به اولئك الذين ينهزلون من العيشة التقشفية التى يقضونها تائبين عن ذنوبهم حباً بخلاص انفسهم.

وكما فعل قسطنطين (١) اذ اعتراه البرص فذهب الى جبل سورات (Soratte) ليستشير سيلفتروس (الاول) حباً باستشفائه من علته، هكذا سألنى الامير المشار اليه النصيحة بما يجب ان يعمل ليبرأ من الحمى الشديدة. فلم اجبه على طلبه. لاننى اعتبرته نشواناً من خمرة الانتقام: ذلك ما يشين بمقامه السامى. فقال لى: لا تخف ان ترتكب ذنباً فاننى منذ الان احلك منه. علمنى ما اعمل لاستولى على حصن بنيسترينو (Penestrino) (٢) وادمره. انت تعلم جيداً ان باستطاعتى ان افتح ابواب السماء واقفلها. لان مفاتيحها اثنان فقط لم يحافظ عليهما سلفى (سلفستروس الخامس) لتنازله عن العرش.

---

(١) — فى عصر دانتى كانوا يعتقدون ان الامبراطور قسطنطين اعتراه مرض البرص فحباً بالاستشفاء التجأ الى البابا سلفستروس الاول وكان مختبئاً فى مغارة فى جبل سورات (اليوم اورسته بالقرب من رومه) هرباً من الاضطهاد.

(٢) — بنسترينو: اليوم بالسترينا بجوار رومه كانت فى ذلك الزمن حصناً لاسرة كولونا سقطت بايدى البابا بونيفاشيوس الثامن بسبب نصيحة الكونت غويدو مونتفلترو

ان هذه الموضوعات الرئيسية الهامة دفعتنى الى اعطاء نصيحتى لا سيما وقد قيل لى ان عدم الاطاعة اشر من ذلك. فقلت:

ايها الاب الاقدس. حيث انك تحلنى من الخطيئة التى مزمع ان الطخ بها نفسى الان، انصحك ان تعد كثيراً وتفى قليلاً وبذلك تفوز باعمال بمقامك السامى»

ولما فاضت روحى جاء (القديس) فرنسيس (مؤسس الرهبانية التى انتظمت فى سلكها) ليخلصنى ويذهب بى الى النعيم. ولكن احد الابالســة الســود من طغمة الكاروبيم قال له: لا تأخذه فتؤذينى. لان عليه ان ينحدر الى جهنم مع الهلكى المفوضين لعهدتى. حيث انه اعطى نصيحة ادت الى غش الغير. وغب ان فاه بتلك النصيحـة قبضـت على ناصيته حتى لا يفر. فلا يمكن اذاً ان يحل من الخطايا من لا يتوب عن الخطيئة التى يرتكبها لان التوبة عن الخطيئة والقصد بارتكابها امران متناقضان».

فيا لتعاستى! ماذا حل بى حينما قبض علىَّ الشيطان قائلاً لى: ربما لم تفكر بكونى منطقياً بهذا القدر. ثم اخذنى الى مينوس وهذا عقد ذنبه ثمان عقد وراء ظهره. وبعد ان عضه من غضبه

لاستماعه حكاية خطيئتى قال: يجب ان يذهب من هنا الى النار التى توارى الارواح عن اعين الغير .

هذه هى الخطيئة التى من اجلها هلكت ومقيم حيث ترانى اتعذب متلبساً بهذا اللهيب»

قال هذا وانسحب اللهيب من امامنا بعد ان لفت وحرك رأسه الحاد.

وانا ومرشدى سرنا الى الامام واجتزنا الصخرة الى الجسر الاخر الكائن فوق الحفرة التاسعة وفيها يعاقب الذين سعوا الى بث الشقاق بين البشر .

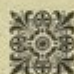


النشيد الثامن والعشرون

توطئة

بينما كان دانتي وفيرجيليو واقفين على جسر الحفرة التاسعة شاهدا اولئك الذين بذروا الشقاق الأهلي والديني: اجسادهم ممزقة تمزيقاً هائلاً واعضاؤهم مبتورة. فتتحدث الى دانتي روح من تلك الأنفس الهالكة عن العقاب النازل بها. واخيراً تكلفه برسالة الى الراهب دولشينو. ثم يجد دانتي بين اولئك المتعذبين بطرس الميديشاني، وموسكا لامبرتي، وبرترامو بورنيو. الذين يقفون مع الشاعرين ويتحدثون عن حالهم وحال الاخرين.

(المعرب)



النشـــيد

المبتدعون

من يمكنه ان يصف وصفاً كاملاً ، حتى ولو نثراً لا شعراً ، الدماء والجراحات التى رأيتها فى تلك الحفرة . فيتحتم علىّ ان اعيد النظم فيها مراراً كى اتمكن من وصفها وصفاً حقيقياً . ان كل انسان لعاجز عن القيام بهذه المهمة . وان لغات البشر وعقولهم لقاصرة عن تمثيل مثل هذا المشهد المريع .

فلو اجتمع القوم الذين انتحبوا وتألموا فى ارض بوليا السعيدة[1] من الدماء التى هرقوها فى حروب الرومان المتسلسلين من ذرية الطرواديين . واتحدوا مع القتلى الساقطين فى واقعة كانّ[2] .

---

(١) – يشير دانتى هنا الى الحروب الافريقية (البونية) التى وقعت بين رومه وقرطاجه من سنة ٣٤٣ الى ٢٩٠ ق . م . واسفرت عن استيلاء الرومان على ايطاليا الجنوبية (راجع تحفة الجنان فى مختصر تاريخ الطليان للمعرب) .

(٢) – اشارة الى الحرب البونية الثانية التى انتهت بواقعة كانّ (Canne) حيث هلك الاف من الرومان وفيها جمع انيبال القائد القرطاجنى الشهير اكداسا من الاختام المنتزعة من اصابع الرومان القتلى وبعث بها الى قرطاجه ليطلع حكومتها على ما فعله باعدائها .

ولموا بعدها شعثهم. ونزعوا من اصابع القتلى اختاماً عديدة كما ذكر المؤرخ الصادق تيتوس ليفيوس (Tito Livio) .

ولو اجتمع ايضاً العرب الذين قتلوا فى الحروب التى خاضوا غمارها مع روبرتو غويسكاردو[١] دوق بوليا وكلابريا واسفرت عن خروجهم من ايطاليا الجنوبية.

وكذلك لو انضم الى هؤلاء كلهم اولئك الذين ما زالت عظامهم متكدسة فى شيبرانو حيث لم يف اهالى بوليا بوعودهم.

واخيراً لو تأب اليهم ايضاً القوم الذين حاربوا فى تالياكوزو حيث انتصر الاردو الشيخ بدون اسلحة.

ولو اظهر اولئك القتلى اعضاءهم المبتورة والمثقوبة كل ذلك لا يعد شيئاً بالنسبة للمشهد المريع الذى يرى فى الدائرة التاسعة .

ان برميلاً وان كان يرشح من فلوق متكونة فى وسطه ام فى جنبيه او فى قعره لم يكن كالهالك الذى رايته مفلوقاً من ذقنه الى بطنه. وكان جوفه متدلياً بين ساقيه: فيرى القلب والكبد والطحال والمعدة والامعاء حيث تستحيل الاغذية الى روث .

---

(١) – روبرتو غويسكاردو: دوق بوليا وكلابريا. بعد حروب طويلة تمكن من ابعاد العرب عن ايطاليا الجنوبية (١٠٥٩ – ١٠٨٤ م.)

وبينما كنت انظر بانتباه اليه قال لى فاتحاً صدره : «كيف انني مفلوق. وانظر الى رفقائى هؤلاء. فانهم بذروا فى الدنيا بذار الخلافات الاهلية والدينية ولذلك هم مجرحون على هاته الحال .

ففى هذه الحفرة شيطان يعذبنا بقساوة فيجرحنا بسيفه لدى مرورنا امامه بعد ان نكون فرغنا من الدورة كلها وغب ان تكون جراحاتنا التأمت قبل الوصول اليه .

ولكن من انت الذى تتباطأ فى الانحدار من عن الصخرة ؟ فلربما ماكث هناك لتؤخر القصاص الذى اعدلك بعد اقرارك لمينوس ؟

فاجابه استاذى: ان الذى تكلمه انما هو حىٌّ يرزق. ولا ذنب يقوده الى العذاب. ولكن انا ميت وعلىَّ ان ارشده السبيل فى هذه الدوائر الجهنمية. هذا هو الحق الذى اقوله لك».

فاكثر من مئة هالك لدى استماعهم كلام فيرجيليو وقفوا ليرونى. ولتعجبهم من رؤيتهم حياً يطوف فى الجحيم نسوا ما هم عليه من العذاب. اما ذلك الهالك فاستأنف الكلام وقال: انت الذى تعود قريباً الى رؤية الشمس قل للراهب دولشينو[1] ان

(١) — دولشينو تورنيالى من نوفارا: كان رئيس شيعة مخالفة لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية وكان له اتباع عديدون غير ان البابا كليمنضوس الخامس اضطهده فالتجأ الى جبل رابلو فنظم البابا ضده صليبية وذلك فى ١٣ مارسو (اذار) سنة ١٣٠٧ فاضطر حينئذ الى الاستسلام لاسقف فرشيلى. ثم حكم عليه بالاعدام مع البعض من اتباعه.

كان لا يشأ الحضور حالاً للالتحاق بى فليكثر من الزاد حيث ان احداق الثلوج لن يعطى وسيلة لاهالى نوفارا للتغلب عليه. وبسوى ذلك يتعذر عليهم الانتصار».

هذا ما قاله لى ذلك الهالك بينما كان يتأهب للانصراف ثم رحل.

بطرس الماديشيني وكوريو

بعدئذ رأيت هالكاً اخر كان حلقه مثقوباً وانفه مبتوراً حتى الحاجبين. وله اذن واحدة وكان وقف مع رفقائه لينظر الى معجباً. فبادرنى الكلام فاتحاً قصبة حلقه الدامية التى كانت تقطر دماً من كل صوب. وقال لى: انت الذى لست بمحكوم عليك بعقاب ما. واذا لم اكن مخدوعاً فانك تحاكى رجلاً رأيته فى الدنيا بايطاليا. فاذا عدت لرؤية سهل ايطاليا الشمالية البديع الممتد من فرشيلى (Vercelli) الى حصن مركابو (Marcabo) (رافينا) تذكر بطرس الماديشيني[١]. واخبر الرجلين الاعظمين فى فانو: اى غويدو الكاسيروى وانجيولينو

(١) — بطرس كتانى من ماديشينا: وهى قرية صغيرة فى نواحى بولونيا اشتهر ببث الخلافات بين البشر. وكان السبب فى نشوب الحرب بين فيرنزه وبولونيا وبين هذه والاوبلدين واخيراً بين فانو والمالاتستيين.

الكارينيانوى، ان لم تكن نبوءتنا كاذبة: انهما سيوضعان فى كيس مربوطى الايدى والارجل ويرميان فى البحر بالقرب من كاتوليكا (على شاطئ الادرياتيك بين ريمينى وفانو)[١]. وذلك عملاً بخيانة جبار ظالم خائن. ان نيتونو (Nettuno) (آله البحر) لم يرَ قرصاناً ولا ادغونياً (الادغونيون اغريقيون كانوا يجوبون البحار للقرصنة) ارتكب اثماً فظيعاً كهذا فى البحر المتوسط من جزيرة قبرص الى جزيرة مايوليكا. (من جزر الباليارى التابعة لاسبانيا (Baleari))

ان ذلك الخائن الاعور (مالاتستينو سيد ريمينى) حاكم تلك الارض التى تمنى احد رفقائى المتعذبين الا يكون رآها ابداً حيث ارتكب فيها الشر الذى اوقعه فى هذه الحفرة. سيستدعى ذينك الرجلين بحجة المخابرة ثم يأمر برميهما فى البحر قبل ان يتمكنا من الوصول الى فوكارا (جبل بالقرب من كاتوليكا(Cattolica)).

فقلت له: ان كنت تشاء ان اتكلم عنك لدى رجوعى الى الدنيا الفانية ارنى وقل لى من هو رفيقك الذى ذكرت عنه بانه ندم على مشاهدته ريمينى ؟

(١) – سنة ١٣١٢ امر مالاتستينو حاكم ريمينى الاعور بان يرمى فى البحر كل من غويدو دال كسيرو (Goldo del Cassero) من اشراف فانو وانجيولينو من كارينيانو اللذين كانا ذهبا لمخابرته اجابة لطلبه وذلك قبل ان يصلا اليه .

حينئذٍ وضع يده على حنك احد رفقائه وفتح له فمه وصاح: هذا هو رفيق الذى ترغب برؤيته. فهو لا يستطيع التكلم كون لسانه مقطوعاً من الحلق. فهو اقنع يوليوس قيصر بان يجتاز روبيكونى[١] ويزحف على وطنه قائلاً له: من يستعد للقتال يتضرر دائماً من الانتظار كى يشرع فيه»

آه كم كان يخال الىّ كوريو[٢] مخيفاً بلسانه المقطوع من الحلق وقد كان جريئاً هكذا! (فى اعطاء تلك النصيحة ليوليوس قيصر).

موسكا لامبرتى

ثم صاح هالك آخر يداه مقطوعتان رافعاً فى الفضاء المظلم ذراعيه والدم يتساقط منهما فيلطخ وجهه وقال: تذكر ايضاً موسكا لامبرتى الذى سئل اعطاء رايه فاجاب بكل عناء: ان يقطع حالاً

(١) – جدول كان فاصلاً بلاد الغال عن ايطاليا. وكان محظوراً على الجيوش الرومانية اجتيازه. فاجتازه قيصر عملاً بنصيحة الهالك المتكلم ودخل ايطاليا على رأس جيش جرار واضرم فيها الحرب الاهلية .

(٢) – كوريو: من اعضاء مجلس شيوخ رومه. كان اولا من حزب بومبيوس ثم باع صوته من يوليوس قيصر. وترك رومه الى رافينا (٤٩ ق. م.) وكان الاعتقاد عاما بانه اشار الى قيصر باجتياز جدول روبيكونى والزحف على رومه .

راسه وبذلك فصل الخطاب! فكان بهذا الراى نتيجة انقسام الفيورنتين على بعضهم بعضاً وخراب وطنهم».

غير انى زدت على كلامه وقلت وكان ايضاً سبباً لقتل اقربائك» حينئذٍ ازداد الماً فوق عذابه اذ عرف بهلاك ذريته عن بكرة ابيها وانهزم كالمجنون التائه(٣).

برترامو دال بورنيو

ولبثت انظر الى ذلك الفريق فرأيت شيئاً غريباً اخاف الا اصدق اذا ما وصفته. ما لم يكن شاهد عيانى فيثبت كلامى.

غير انى اشعر بضميرى كونى صادقاً فى ما اقول. وان الضمير لهو الرفيق الصالح. يجعل المرء حراً لانه يعلم بكونه بميداً عن ذنب الكذب.

رأيت بالحقيقة ويخال الى انى اراه الان. تمثالاً نصفياً بلا

(٣) – حصل خلاف بين عائلتين فيورنتيتين: اميداى (Amedei) وبونديلمونتى (Buondelmonti) وذلك بسبب امتناع البونديلمونتى عن تزويج ابنته لاحد الاميدائيين فـثل موسكا لابرتى المتكلم رايه فاشار بقطع رأس والد الابنة وبذلك فصل الخطاب. وهكذا كان. غير ان قتله سبب انقسام الاهلين الى حزبين: «البيض والسود» وادى بالفريقين الى حروب اهلية كانت نتيجتها خراب مدينتهم فيرنزه.

رأس. يمشى كما يمشى الهالكى كلهم بقدم ثابت. ماسكاً راسه بشعره كما يحمل المرء فانوساً. وينظر الينا ويقول: الويل لى !..

هكذا كان ذلك الرأس يستنير طريقه بعينيه وكان له اثنان فى عين واحدة. وعين واحدة فى اثنتين. والله وحده يعلم كيف يمكن ان يكون ذلك فهو يدبر كيفما يشاء.

وحينما وصل ذلك الهالك الى تحت الجسر رفع ذراعيه مع رأسه ليدنيه منا ويسمعنا كلامه. وهذا ما قاله لى:

«انت الذى وان تكن حياً آتياً لزيارتنا نحن الموتى المحكوم علينا بالعذاب الابدى. انظر الى هذا العقاب الهائل النازل بى. وفكر فى ما اذا كان ممكناً قصاص اصرم منه. وكى تتحدث عنى فى الدنيا اعلم باننى برترامو من بورنيو[١] قد اعطيت انريكو الشاب الارشادات السيئة ضد ابيه انريكو الثانى ملك انكلترا.

فاوقعت الشقاق بين الوالد والابن، ولم تكن تحريضات ايكتوفل (مستشار الملك داود) التى حملت شالون على ان يثور على ابيه اشر من ارشاداتى هذه.

---

(١) – برترامو من بورنيو: شاعر وموسيقى عاش فى النصف الثانى من الجيل الثانى عشر، حرض انريكو الشاب بكر انريكو الثانى ملك انكلترا على الخروج على ابيه وبث خلافات غيرها بين البشر ومات راهباً.

والان فيالتعاستى ! قد حكم علىّ بالهلاك بهذا الشكل. لانى فرقت بين شخصين مرتبطين برباط قرابة شديدة وها انى احمل دماغى الذى فى رأسى مفترقاً عن النخاع الشوكى الذى فى جسمى: وهكذا يظهر فىّ الحكم القاضى : «السن بالسن والعين بالعين». فاتعذب من نوع الخطيئة التى ارتكبتها .

النشيد التاسع والعشرون

توطئة

كان دانتى يرغب ايضاً بالوقوف ليرى احد اقاربه ولكن فيرجيليو بدل فكرته. يستأنف الاثنان السير . وهما يتحادثان عن ذلك القريب يصلان جسر الحفرة العاشرة: ولكى ينظرا جيداً ينحدران الى السد الاخر. وهناك يجدان مزيفى المعادن معاقين بالبرص .

(المعرب)

النشيد

جيرى ديلبيلو

(Geri del Bello)

كانت عيناى اغرورقتا بالدموع من جراء نظرى الى اولئك الاناس المديدين باذرى الشقاق فى العالم والى جراحاتهم المختلفة التى كانوا يتألمون منها. وكانت نفسى تتوق المكوث هنالك لاذرف العبرات. ولكن فيرجيليو قال لى: الى اى شىء تنظر ايضاً ؟ ولماذا باقٍ تتطلع الى اسفل فى تلك الانفس الهالكة الكئيبة والمشوهة ؟

انك لم تقف هكذا فى الحفر الاخرى. واذا كنت تظن انك تستطيع مشاهدة كافة تلك الانفس فهذا مستحيل. فكر بان مساحة هذا الوادى لا تقل عن ٢٢ ميلاً. وان المتعذبين فيه لكثير عددهم. وقد فات الوقت. فالقمر اصبح تحت اقدامنا (الساعة واحدة ونصف بعد الظهر) ولم يبق لنا من الزمان سوى اليسير. مع ان كثيراً ما علينا ان نزوره بعد.

فاجبته حينئذ: لو كنت تعلم لماذا اقف متطلعاً لربما كنت تأذن لى بالوقوف قليلاً ايضاً»

وبينما كان مرشدي يسير وانا اتبعه. وهو يحفز ايجيبني اسرعت فقلت له: اظن ان فى تلك الحفرة التى كنت موجهاً نظرى اليها بكل انتباه نفس احد اقاربى. والظاهر انه ارتكب خطيئة زرع الشقاق. التى يعاقب عليها فى اسفل هذه الحفرة بكل صرامة. حينئذٍ قال معلمي: ما عدت تفكر بتلك النفس. ووجه فكرك الى غيرها. فدعها هنالك فى عذابها. لاننى رأيتها عند اسفل الجسر تشير اليك لرفيقاتها. وتهددك بشدة باحدى اصابعها. وسمعتها تدعو نفسها جيرى ديلبيلو[1]. وحينما كانت تنظر اليك كنت انت مهتماً بحادثة برترام البورنيونى الذى كان سيد حصن التافورتى. ولم تلفت نظرك الى الجهة الاخرى حتى ابتعد هو»

فقلت ايها المرشد الحكيم: ان آل جيرى لم يثأروه للان. ومن اجل ذلك ربما يكون مغتاظاً منى وابتعد دون ان يكلمنى. وهذا ايضاً ما اخذنى منه شفقة زائدة»

هكذا كنا نتحادث ونحن سائرون الى ان وصلنا الجسر حيث لو كان ثمة نور ساطع لكانت ترى الحفرة العاشرة حتى قاعها.

(١) – كان جيرى ديلبيلو ابن شقيق جد دانتى. سبب خلافات عديدة. فقتل احد اخصامه غيلة ثم قتل بدوره. ففى ايام دانتى لم يثأره اهلوه وكان فى ذلك الزمان الاخذ بالثار حقا شرعيا ودينا شريفا.

مزيفو المعادن

ولما وصلنا سور ماليبولجه الأخير حيث كان بالامكان مشاهدة الهالكى أثر فى كثيراً ما كان يصدر عنهم من الانين والتوجع حتى انى سددت اذنى عن استماعه .

وكان الالم المتكون فى الحفرة العاشرة هذه شبيها بالم المرضى المصابين بالحميات فى ايام الصيف بالبلاد المجاورة لمستنقعات فال دى كيانا(Valdichiana) والمارما(Maremma) وسردينيا(Sardegna)[١] وكانت النتانة المنبعثة منها اشبه بتلك التى تصدر عن الاعضاء المتعفنة.

وحيث كنا موجودين لم ير جلياً ما فى قاع الحفرة فانحدرنا من منتهى الجسر الى سد ماليبولجه الاخير الفاصل بين الدائرتين الثامنة والتاسعة ونحن نسير يساراً. حينئذٍ تمكنت جيداً من تمييز ما فى القاع حيث العدل الالهى يعاقب المزيفين. وعلى ظنى ان المرء لا يشعر بشفقة لدى مشاهدته كافة الانفس المكدسة فى تلك الحفرة

(١) – فى عصر دانتى كانت فال دى كيانا والمارما التوسكانية وسردنيا مقاطعات تكثر فيها الحميات الخبيثة لوجود مستنقعات شتى فيها .

المظلمة اقل من الشفقة التي يشعر بها لدى رؤيته عموم سكان اجينا [١] الذين اصيبوا بالطاعون وهلكوا عن بكرة ابيهم وحتى اخر حشرة فيها. وقد اعيد سكان تلك الجزيرة المنكودة الحظ باستحالة النمال الى بشر كما ذكر الشعراء الاقدمون. وبين اولئك الهلكى من كان متمدداً على بطنه. ومنهم من كان مستقل كتفي رفيقه. وغيره يزحف من مكان الى اخر متوكئاً على يديه ورجليه بكل عناء.

اما نحن فكنا نمشي خطوة فخطوة صامتين صمداً في السد ناظرين وسامعين اولئك الخطاة الذين لم يكونوا يستطيعون الوقوف على الاقدام لما هم عليه من الامراض.

غريفولينو وكابوكيو

(Griffolino e Capocchio)

فرأيت هالكين جالسين متكئاً الواحد على الاخر كما تستند قدران موضوعان معاً فوق موقدة واحدة والبرص آكل جسديهما.

(١) — اجينا: جزيرة في بحر اليونان. وتقول الميثولوجيا ان جيونونه ارسل اليها الطاعون فمات فيها اولا كافة الحيوانات ثم البشر ماعدا أكو فالتمس من الاله جونه (المشترى) اعادة اهالي الجزيرة فاستجاب الاله طلبه وجعل النمال التي كانت تحت قدميه تستحيل الى بشر. وهكذا اعيد ذلك الشعب.

ولم ارَ اخوريا ينتظر مولاه، او مشتاقاً الى الذهاب لمرقده، يسرج الحصان باسرع من ذينيك الهالكين فى حكهما جسديهما باظافرهما. فان البرص يحدث فيهما الحاجة للحك. ولا راحة لهما بسواه. وكانا يكشطان لحمهما باظافرهما كما يكشط الطاهى حراشف السمك.

فابتدر فيرجيليو احدهما بالكلام وقال له: انت الذى تحك جسدك بقوة وتمزقه احياناً باظافرك كانها كلابات حديدية، قل لى: هل يوجد هنا بين الهلكى ايطالى الجنسية. وانى اتمنى لك دوام اظافرك للقيام بهذا العمل ؟»

فاجاب باكياً: الا ترى كيف اننا متلفان. فنحن الاثنان ايطاليان. ولكن انت الذى تسالنا من تكون؟ .

فاجاب المرشد: اننى منحدر الى اسفل درجة فدرجة مصحباً هذا الحي لاريه الدوائر الجهنمية.

حينئذٍ افترق الهالكان عن بعضهما والتفتا الىَّ مرتجفين. وكذلهما فعل الاخرون اذ سمعوا كلام فيرجيليو.

فاقترب استاذى منى وقال لى: قل لهما اذاً ما يبدو لك. فبعد ان اجاز لى الكلام قلت: اتمنى لكما الا يمحى ذكركما من اذهان البشر فى الدنيا الاولى وليدم سنوات عديدة. قولا لى من انتما ومن اى بلد فى

ايطاليا . ولا يلزم ان يحول عذابكما المؤلم دون اخبارى بحالكما»

فاجاب احدهما : انا ولدت فى اريتزو(Arezzo). وامر البيرو السيناوى(Albero da Sienna)بوضعى على المحرقة. والكن ليس السبب الذى من اجله حكم على بالموت اوصلنى الى هذا العذاب. اجل. اننى قلت يوماً لا لبيرو على سبيل المزاح : انى استطيع الطيران فى الفضاء. وهو نظراً لكثرة رغبته باستقصاء كنه الامر ، ولم يقدر على فهمه. الح على فى ان اعلمه هذه الصنعة . وحيث لم اتمكن من ارضاء خاطره أمر بحرقى حياً . غير ان مينوس لا يخدع . فحشرنى فى هذه الحفرة الاخيرة لاننى استخدمت الكيمياء فى الدنيا لتزييف معادن ثمينة» (١) .

فقلت للشاعر هل فى الدنيا الاولى شعب متغطرس كاهالى سيينا (Siena) ؟ والحق يقال ان الفرنسويين الشهيرين بغطرستهم ليسوا شيئاً بالنسبة لاولئك .

---

(١) — ان الذى يتكلم هنا هو غريفولينو من اريتزو هلك فى جهنم لانه زيف المعادن. يحكى عنه أنه قال يوما الى البيرو من متمولى سيينا انه وجد طريقة للطيران. فسأله البيرو ان يعلمه هذه الصنعة . ولكن غريفولينو ماطله. فشكاه البيرو الى الاسقف وكان سبب نعمته. فامر الاسقف بالقبض عليه وباعدامه بالموت حرقا كما لو كان مارقاً من الدين

واذ سمع الاجرب الثانى كلامى الموجه الى فيرجيليو اجاب: واثباتاً لقولك . اذكرك بالمبذر ستريكا وبنيقولو ساليمبنى الذى اول من استذوق وضع القرنفل فى الاطعمة . وتذكر ايضاً تلك الزمرة الشهيرة التى احد ابطالها كاشيا شالنغى الذى استهلك كافة الغابات والكروم التى كان يمتلكها بالقرب من حصن اشيانو . وبرتو لميئو فولكاكيرى الملقب بالابا لياتو الذى بدرق عقله كله[١] .
وان كنت تريد ان تعرف من انا الذى وافقت على حكمك بفطرسة الشعب السيناوى تفرس فى جيداً فلا شك انك تعرفنى . لان وجهى الذى عرفته فى عالم الاحياء لا بد ان تستعرفه الان . فترى حينئذٍ انى كابوكيو[٢] الذى باستخدامى الكيمياء زيفت المعادن . واذا لم تخدعنى ملامحك فانك انت هو من يخال الى . فتذكر كم كنت اجيد تقليد البشر وتزوير الاشياء .

(١) – ان هذا الهالك يذكر دانتى بزمرة اغنياء من مدينة سينا اصبحوا فى فقر مدقع لانهم عاشوا بالبذخ ولاسراف بلا قياس . بينهم ستريكا من عائلة ساليمبنى ونيقولو قريبه: وكان الاول فى استذواق القرنفل فى الاطعمة وتمكنت هذه العادة من النهمين الشرهين . اما كاشيا فقد استهلك غاباته وكرومه . وفولكاكيرى فقد عقله وامواله . ويذكر المؤرخون ان هذه الزمرة كانت مؤلفة من اثنى عشر شخصا غير ان دانتى يشير الى اهمهم .
(٢) – كابوكيو: رجل قليل الفهم طائش كان يقلد البشر والاشياء ثم تحول الى تزييف المعادن باستخدامه الكيمياء فحكم عليه بالحرق حياً سنة ١٢٩٣

النشيد الثلاثون

توطئة

لا يزال الشاعران فى الحفرة العاشرة . حيث يجدان اثنين من مقلدى الاشخاص يجريان كالمجانين. ثم يجدان بين مزيفى النقود المصابين بمرض الاستسقاء آدم البريشانى فيقف دانتى يتحدث اليه. وبين الكذبة زوج فوتيفار واليونانى سينون . وبعدها يحضران حواراً عنيفاً بين آدم وسينون . ثم يوبخ فيرجيليو دانتى لوقوفه يستمع ذينك الهالكين .

(المعرب)

النشيد

مقلدو انفسهم

يحكى ان الالهة جيونونه(Giunone) كانت غضبت على اهالى تيبه. لان الاله المشترى(Giove) كان فضل عليها سيميله(Semele) ابنة كادمو(Cadmo). وقد سعت مراراً لايقاع الضرد بهم. فصيرت

اتامانتي(Atamante) ملك تيبه معتوهاً حتى انه اذ راى مرة زوجته اينو آتية اليه وحوالى عنقها ابناها الصغيران ليارك‍و(Learco) وميلشيرتا(Melicerta) صاح: فلنطرحن الشباك انا تقط اللبوة وشبليها. وفعلاً قبض بيديه القاسيتين على لياركو وبعد ان برمه فى الهواء اطلقه فذهب ضارباً صخرة. اما والدته فلدى رؤيتها تلك الفاجعة انهزمت وعلى ذراعها ميلشيرتا والقت نفسها من عن الصخرة فى اليم.

ويحكى ايضاً انه لما قلب الدهر ظهر المجن لمملكة طرويا القوية التى كانت تجرأ على فعل كل ما تشاء سقطت. فخربت عاصمتها طرويا وقتل ملكها (بريامو) وأخذت ملكتها اكوبا التعسة اسيرة. وغب ان شاهدت ـ والالم يذيب فؤادها ـ ابنتها بوليسينا تذبح امام عينيها. ووجدت على شاطئ البحر جثة ابنها بوليدورو جنت من التأثر واخذت تنبح نبح الكلاب.

ولكن لا عتاهة اتامانتي، ولا جنون اكوبا، ولا اى غضب بشرى او هيجان حيوانى يمكن ان يحاكى الغضب الذى كان مستولياً على الروحين الذابلتين العريانتين اللتين رايتهما فى الحفرة

المباشرة. فكانتا تجريان وتنهشان كل من تصادفانه من الهالكى، كالخنزير الجائع الذى عندما يفتح باب زريبته، يخرج حالاً ويتلقف كل مايراه امامه.

واذ وصلت احداهما الى كابوكيو عضته فى عقدة عنقه بقوة وجذبته زحفاً على بطنـه الى قاع الحفرة المظلم. اما غريفولينو[1] فخاف ان تعضه الروح الاخرى. فقال لى وهو يرتعش هلعاً: ان تلك الروح الهائجة التى تعذب بجنون الهلكى الاخرين انما هى روح جوانى سكيكى[2]. فقلت له: اتمنى لك الا تأتى الروح الاخرى لتعضك. ولكن قل لى قبل ان تبتعد، ان كان ذلك لا يزعجك: روح من هذه الهائجة؟.

(١) – كابوكيو وغريفولينو: قد سبق ذكرهما فى حاشية النشيد السابق.

(٢) – جوانى سكيكى: احد فرسان اسرة كافالكانتى من فيرنزه اشتهر فى تقليده البشر.

يقال ان بووزو دوناتى توفى دون ان يترك وصية. فتمدد جوانى فى سرير الميت وعصب وجهه حتى لا يرى. واخذ يملى على محرر المقاولات وصيته مقلداً صوت الميت تماماً. ووزع التركة بينه وبين سيمان دوناتى قريب المتوفى المتفق معه على هذا الاحتيال. ونال جوانى على سبيل التقدمة بغلة بووزو وكانت اجمل بغلات البلدة.

فاجاب: انها لقديمة هنا وهي روح ميرا الفاجرة[1] التي خالفت شريعة الحب الطبيعي وعشقت اباها. فاتخذت ملامح امرأة اخرى واضطجعت معه. كما فعل سكيكى (السابق الذكر) ليكتسب بغلة بووزو لكونها اجمل بغلة. فقلد صاحبها واملى وصيته. فقبلت وتنفذت شرعاً[2].

وحالما ابتعد ذينك الهائجان وكنت انظر اليهما التفت لاشاهد المتعذبين الاخرين.

مزيفو النقود

فرايت هالكاً بطنه منتفخاً جداً حتى لو قطعت فخذاه من خط اتصالهما بجسده لكان ظهر كالمزهر. فانه مبتل بمرض الاستسقاء على اخر درجة. وبسبب عدم عمل الليمفا (الخلط المائي) وظيفتها تتبدل هيئة

(١) - ميرا: ابنة شيرزا ملك قبرص عشقت اباها عشقا شديداً وبالاتفاق مع مرضعها وبمساعدة ستار الظلام تمكنت من ارضاء شهوتها الهائجة متخذة ملامح امرأة اخرى. غير ان حيلتها اكتشفت فضربت الى بلاد العرب حيث تقمصت في شجرة الصبر. التي تدعى بالايطالية ميرا (Mirra).

(٢) - انظر حاشية ٢ في الصفحة السابقة.

الاعضاء حتى ان الوجه يصبح ناحلاً فلم يعد مناسباً للبطن المنتفخ. وهذه الحال تضطر الخاطئ الهالك الى ان يفتح فاه دائماً قالباً شفتيه كما يفعل المسلول (المبتلى بداء السل) الذى يحترق كبده من العطش.
ولما ابصرنا قال: لا اعلم لماذا ـ وانتما بلا عقاب ـ تطوفان فى هذه الجحيم. قفا وتاملا فى عذاب المعلم آدم[١]. فى الحياة الدنيا كنت حاصلاً على كل ما تشتهى نفسى. والان يا لتعاستى. اشتهى قطرة ماء لارطب بها جوفى الملتهب. انى اتصور دائماً امام عينى تلك السواقى التى تحدر من روابى كاسينتينو الخضراء وتصب فى الارنو بعد ان تروى الاراضى التى تجتازها. وان تصورى اياها امامى يزيد عذابى من العطش اكثر ما يفعل بى الاستسقاء الذى انحل وجهى.
فان عدل الله الصارم الذى حكم علىَّ بالقصاص يزيد عقابى قساوة بجعلى اذكر الاماكن الرطبة اللطيفة التى ارتكبت فيها الذنوب.
هناك يوجد حصن رومينا (Romena) زيفت فيه القطعة الذهبية (الفيورينو) المنقوشة فيها صورة القديس يوحنا المعمدان. ولذلك وضعت على المحرقة حياً فهلكت. ولكن لو كنت ارى هنا روح

(١) – ان هذا المعلم آدم اشتهر بزمانه بتزييف النقود. وبناء على طلب امراء رومينا (Romena) زيف الفيورينو الذهبى فاكتشف امره وحكم عليه بالحرق حياً وذلك سنة ١٢٨١ م.

غويدو التعسة ام روح اسكندر او روح اخيهما[١] لما كنت اوجه نظرى حتى ولا الى عين براندا[٢] حيث ان الفرح العظيم الذى يستولى على فؤادى من جراء مشاهدتى احدى تلك الارواح ينسينى عطشى المحرق .

فلا اعلم اذا كان صحيحاً ما قاله لى اولئك المتعذبون مقلدو الاشخاص: ان روحاً[٣] من تلك الارواح الثلاث، التى تمنيت انحدارها الى هنا ، قد سقطت فى هذه الحفرة . غير ان هذا لم يفدنى شيئاً لان اعضائى معقدة فلا استطيع الذهاب لرؤيتها .

فلو كان باقياً لى قليل من الخفة حتى اقدر ان اقطع مرحلة قصيرة، ولو غب مرور مئة سنة، لكنت الان سائراً فى الطريق ، ابحث عن تلك الارواح، بين هؤلاء المشوهين . واجتاز الحفرة بكاملها، رغم كون دائرتها ١١ ميلاً ، فى اقل من نصف ميل عرضاً.

(١) – يشير الى ارواح الامراء الذين حملوا المعلم آدم على تزييف الفيورينو فهلك فى جهنم .

(٢) – براندا : هى عين جميلة ذات مياه صافية باردة كائنة بالقرب من رومينا وهى اجمل عين رآها الهالك فى حياته .

(٣) – يقال انها روح غويدو لان فى عام ١٣٠٠م، كان اخواه لا يزالان فى قيد الحياة .

فمن اجل هؤلاء الاخوة الثلاثة اتعذب هنا. لانهم حملونى على تزييف الفيورينى[١] واضعاً فى كل قطعة منه ٣ قراريط من نحاس»

تشاتم الهالكين

فسألته من هما ذيناك التعسان المتمددان بجانب بعضهما من عن يمينك ويتصاعد من جسديهما بخار كما تفعل اليد المبتلة فى الشتاء .؟

فاجابنى: لما سقطت فى هذه الحفرة وجدتهما فيها. ولم يتحركا قط من مكانهما. وعلى ظنى لن يتحركا ابداً. فالواحدة هى تلك المرأة المنافقة زوج فوطيفار التى اتهمت زوراً يوسف الصديق بانه اراد ارتكاب الشر معها عنوةً مع انه كان انهزم منها اذ كانت تريد ان تفسده. والاخر سينون اليونانى الذى بكلام مزور اقنع الطروايانيين بقبول الحصان الخشبي داخل اسوار مدينتهم طرويا . فالاثنان مصابان بحمى محرقة. ولذلك يتصاعد منهما بخار كثيف»

(١) – ان الفيورينو الذهبي عملة فيرنزه ضرب اولا سنة ١٢٥٢ م. وكان يعادل ١٠٠ سانتيما ووزنه ٢٤ قيراطا من الذهب الخاص . اما الفيورينو المزيف كما ذكر انفا كان يحتوى على ٢١ قيراطا من الذهب و٣ قراريط من النحاس .

حينئذٍ غضب سينون ولربما تكدر من التصريح باسمه في جهنم وضربه بقبضة يده على بطنه المنتفخ فخرج صوت كصوت الطبل. فصفعه المعلم آدم على وجهه صفعة لم تكن اقل شدة من الضربة على بطنه. وقال له: ولئن كنت منعت من الحركة لثقل اعضائي. غير ان ذراعي حرة وتكفي لاجراء ما يلزم. فاجابه سينون بخبث: ولكن لما ذهبت الى المحرقة لم تكن ذراعك حرة هكذا. بل كانت موثوقة. غير انها كانت سريعة كالان واكثر ايضاً وقت تزييفك النقود. فاجاب المستسقي: لقد نطقت حقاً بهذا. ولكنك كذبت عندما سئلت في طرويا.

وسينون - فان كنت كذبت فقد كذبت مرة واحدة. ولكذبة واحدة اتعذب هنا. غير انك بتزييفك النقود قد ارتكبت ذنوباً شتى لم يرتكبها شيطان من شياطين جهنم.

آدم: تذكر الحصان ايها الحانث. فقد حلفت يميناً كاذبة. فاقترفت الذنب واصبح اسمك في العالم قاطبة اشهر من نار على علم.

سينون: ان العطش سبب عذابك. فهو ينشف لسانك والماء النتن ينفخ بطنك فيعيقك عن النظر:

آدم: هكذا يتشدق فمك بالنميمة. فقد اعتادها فى الدنيا فان كنت عطشاناً فان بك احتراقاً واضطراب رأس. ولو تسنى لك ان تلمس حتى قعر عين نرشيسو[٢] لما كنت بحاجة الى كثرة السؤال.

توبيخ دانتى

كنت منتبهاً بكليتى لاستماع تشاتمهما واذا استاذى يقول لى متهكماً: انتبه جيداً واصغ . . . فقد كدت اتكدر منك. . .

فلما سمعته يوبخنى هكذا. عطفت نحوه بخجل الآن اشعر به لتأثره فى مخيلتى وصرت فى حال من يحلم حادثاً مضراً. ويرغب، وهو فى الحلم، بان يحلم للحصول على ما يرغب كما لو كان ذلك الحلم حقيقة ناصعة. وهكذا لم اكن استطيع التكلم من الخجل الذى استولى علىّ. ومع ذلك كنت اريد أن اتكلم لاعتذر. ولكن، وانا ملازم الصمت، كنت اعتذر دون ان اشعر بذلك. حينئذٍ قال لى: ان خجلاً اقل من خجلك هذا لكاف لعذرك عن خطاء اكبر من الذى وقعت فيه الان. ولذلك دع عنك كل كدر. واذا تصادف وجودك مرة

---

(٢) – نرشيسو: من ابطال الميتولوجيا كان ذا جمال فارط. احتقر حب الحورية اكو. وفى ذات يوم اذ رأى ظله فى ماء عين. هام بصورته هياما جنونياً حمله على ان يرمى بنفسه فى ذلك الماء فغرق.

اخرى امام محاجة مهينة ففكر بانى مقيم بالقرب منك لاوبخك. لان المكوث الاصغاء الى حوارات كهذه لهو غير خليق بذى العقل السامى»

النشيد الحادي والثلاثون

توطئة

يجتاز الشاعران السد الاخير الكائن بين الدائرتين الثامنة والتاسعة ويصلان الى فوق بئر داخلية، يبان منها الجبابرة الذين يخالون الى دانتي - لدى اول نظرة - انهم ابراج. يستمع الشاعران احدهم يتكلم لغة يجهلانها. ثم يتحدث فيرجيليو الى دانتي عن احد الجبابرة. عندها يأتى الجبار انيتو. وبناء على طلب فيرجيليو. ياخذ الشاعرين وينحدر بهما الى المنطقة الاخيرة من جهنم.

(المعرب)

النشيد

غلطة دانتى

ان لساناً واحداً وبخنى اولاً حتى احمرت وجنتاى خجلاً. ثم اسمعنى كلاماً كان بلسماً لجرحى وسلواناً لخاطرى. وهو اشبه برمح اكيله (Achille) وابيه. وحكايته انه يجرح اولاً ثم يبرئ الجرح[1].

برحنا الحفرة العاشرة. وبدون ان نتكلم اجتزنا الصخرة التى تحتاط بها. ليس هناك ظلام حالك، ولا نور ساطع. ولذلك لم اكن اتمكن من رؤية ما فى امامى جيداً: وسمعت حالاً صوت بوق . قصف الرعد اخف منه. فحولت نظرى وانتباهى نحو الجهة الآتى منها. ان اورلاندو[2] (Orlando) لم ينفخ ببوقه بقوة كهذه حينما

(١) – اكيله: البطل الاول لرواية اوميروس. يقال انه ورث من ابيه رمحاً ذا معجزة. فكانت الجراح التى تتأتى منه لا تبرأ الا بان يوضع عليها الصداء المتكون فى الرمح نفسه .

(٢) – اورلاندو: من رجال بلاط شرلمان ملك فرنسا وامبراطور الغرب (٧٤٢ – ٨١٤ م.) كلفه الامبراطور فى الحرب ضد العرب بالمحافظة على ممر رونشيسفال وهى قرية من اعمال نافارا الاسبانية بمؤخرة الجيش غير ان العرب احتاطوا به وكسروه شر كسرة ويقال ان صوت بوقه طالبا النجدة قد سمع عن بعد ثمانية اميال .

وجد نفسه محاطاً من العرب واراد طلب النجدة من قائده الاعلى شارلمان (Carlo Magno) الذى رأى جيشه فيما بعد منهزماً مكسوراً

وبعد قليل من انتباهى لتلك الجهة خيل الىَّ ان ارى ابراجاً اخرى عديدة ولذلك سالت استاذى: ما هى هذه المدينة ؟

فاجابنى : انك بنظرك الى جهة بعيدة جداً فى هذا الفضاء المظلم تخطئ بحكمك على الاشياء التى تراها. ولما تصل الى اولئك الذين يظهرون لك ابراجا تعلم حينئذ كم خدعك نظرك فى حكمك عن بعد. ولذلك اسرع خطواتك بزيادة»

ثم مسك بيدى بلطف وقال لى : قبل ان تزداد تقدماً الى الامام وحتى يبان لك الشيء باقل غرابة. اعلم انهم ليسوا ابراجاً بل جبابرة . وهم من الصرة الى ما اسفل موجودون فى البئر. ومن الصرة الى ما اعلى ظاهرون على السد الذى يحيط بالبئر.

الجبابرة

وكما يتاتى للنظر لدى تبدد الضباب فياخذ ان يميز شيئاً فشيئا الاجسام التى كانت متوارية وراء البخار المائى الذى يجعل الهواء

كثيفاً. هكذا حصل لى. فاخذت - وانا اتقدم خطوة فخطوة على حافة البئر - انظر بين الفضاء المظلم الحالك. وكانت الفكرة التى فكرتها خطاءً بكون هؤلاء ابراجاً تزول شيئاً فشيئاً. وفى الوقت نفسه كان يزداد الخوف الذى شعرت به لدى سماعى كلام فيرجيليو عنهم.

وكحصن موترجيونه[١] المتوج بعشرة ابراج بادزة فوق دائرة اسواره. كان الجبابرة الهائلون[٢]، الذين الان يسمعهم المشترى تهديداته بالرعد القاصف، ظاهرين كالابراج باوساط اجسادهم فوق السد الذى يحيط بالبئر. وكنت بدأت ارى وجه احدهم واميز كتفيه وصدره وقسماً كبيراً من بطنه وذراعيه حوالى جنبيه.

لقد احسنت الطبيعة بالكف عن انتاج مثل هؤلاء الجبابرة فحالت بذلك دون وجود حربيين اشداء لا يمكن لقوة بشرية مقاومتهم

(١) - موترجيونه : (Mottergione) : حصن قديم يبعد ستة اميال عن مدينة سيينا. شيد سنة ١٢١٣ م. على رابية منفردة بشكل قالب سكر. دائرة سوره ما تربو على نصف كيلو متر. وفوقه ١٢ برجا كثيرة الارتفاع. خرب فى الجيل الحادى عشر.

(٢) - شهر الجبابرة حربا على المشترى وفى واقعة فلاجيرا صعقهم فاباده‍م من بكرة ابيهم.

واذا كانت داومت انتاج الفيلة والحيتان العظيمة فكل من له قدر ذرة من العقل يحكم بانها ظهرت بعملها هذا اكثر عدالة وحكمة. لان هذه الحيوانات غير عاقلة. ولذلك لا تقدر على اذية الانسان كثيراً. ولكن حيث يتحد العقل مع النية السيئة وقوة التنفيذ. فلا قدرة بشرية اذ ذاك يمكنها المقاومة على الاطلاق.

نمرود

وكان يخال الى ان وجه ذلك الجبار طويل ضخم مثل صنوبرة القديس بطرس برومه[1]. اما اعضاءه فكانت مناسبة لوجهه.

فالصخرة التي كانت تحجب نصف اجساد الجبابرة، كالمئزر الذي يتزر به الانسان، كانت مع ذلك تظهر منهم قسما كبيراً حتى ان ثلاثة من رجال فريسيا ـ وكانوا اطول ممن يوجد ـ موضوعين الواحد فوق الآخر، بالكاد يصلون الى ان يمسوا شعر ذلك الجبار. ولذلك كنت ارى منه ـ ماعدا رأسه ـ قدر ثلاثين شبراً كبيراً (اى سبعة امتار) من كتفيه الى صرته.

(١) ـ ثمرة الصنوبر مصنوعة من الفلز (نحاس اصفر) كانت موضوعة قديما فوق ضريح الامبراطور ادريانوس الرومانى وفى عصر دانتى وضعت فى ميدان كنيسة القديس بطرس برومه.

فلما ابصرنا اخذ فمه الوحشي –لا وصف الطف يطابقه– يصيح متلفظاً بالالفاظ الغريبة الاتية : (Rafel mai Amech Zabi et alma) «رافل ماى اميك ذابى والما»[١].

اما فيرجيليو فقال له: ايتها الروح الغبية. اذا كنت تريدين افراج كربتك، او ارضاء شهواتك الاخرى، فقوى بوقك. وفتشى فى عنقك ايتها الروح المضطربة فتجدين السير المربوط فيه البوق. وترينه كيف يطوق صدرك.

ثم قال لى: هذا نمرود[٢] الذى نصح ببناء برج بابل. ويشير الان الى نفسه بما تلفظ به من الكلام الغريب. ونظراً لاقتراحه

---

(١) – كلمات غريبة لم يفسرها الشراح. وقد قال بعضهم انها ربما تكون بلا معنى او ماخوذة من لهجات قديمة او لغات شتى. ويجوز القول ان المقصود منها شتيمة.

اما نحن فنقول ان دانتى قصد بوضعها غريبة على هذا الشكل ليدل على قائلها انه بانى برج بابل كما جاء فى التوراة : عندما اراد الله ان يضرب البابليين لتجبرهم عليه تعالى بلبل السنتهم حتى لم يعد احدهم يفهم الاخر.

ونزيد على ذلك انه ليس من المستحيل ان تكون هذه الالفاظ عربية الاصل وتحليلها «ترأف مى وامنم عذابى والمي» فربما يكون الشاعر نقلها عن احد الناطقين بالضاد وغلط بكتابتها كما يحدث غالبا مع الاعاجم الذين ينقلون الالفاظ العربية الى لغاتهم وهم لا يفقهون معناها فلا يحسنون كتابتها –او كان عالما بالعربية ووضع هذه الالفاظ مغلوطة قصداً – والله اعلم.

(٢) – نمرود : ذكرت عنه التوراة انه ابن حام بن نوح. وقال عنه دانتى انه هو الذى اشار ببناء برج بابل.

السئ ببناء برج بابل يستعمل الان سكان الدنيا لغات شتى بدلاً من لغة واحدة كما كان من قبل. وعبثاً نتحدث اليه لان الكلام معه يذهب سدى. فلا يفهم لسان احد كما ان لغته لا يفهمها احد.

فيالتي

فذهبنا سائرين شمالاً. ولما ابتعدنا رمية سهم، وجدنا الجبار الثاني، وهو اضخم من نمرود واكثر عتواً. فلست اعلم من هو ذلك الماهر الذي قيده هكذا جيداً. فكانت ذراعه اليسرى مقيدة على صدره واليمنى على ظهره بسلسلة ملتفة خمس لفات على عنقه الى اخر القسم البارز من جسده خارج البئر .

فقال مرشدي: ان هذا المتعجرف اراد ان يمتحن قدرته ضد الاله المشترى لذلك يتعذب هنا. فهو فيالتي[١] ولكي يخيف الالهة، وضع مع رفقائه الجبابرة جبلاً فوق جبل ظناً منهم انهم يستطيعون الوصول الى السماء. فذراعاه القويتان مقيدتان الان ولن تتحركا ابداً

(١) — فيالتي: ابن نبتونو وانيميا في الميتولوجيا. كان جبارا عظيما لا بل اقوى الجبابرة واجرأهم في الحرب التي شهروها على المشترى .

فقلت له : انى ارغب برؤية الجبار الفائق الوصف برياريو (Briareo) [١]. فقال: من تريد مشاهدته هو بعيد جداً من هنا. وهو مقيد كفيالتى وبشكله . غير ان منظره اوحش. فبدلاً منه اريك انتيو [٢]. فهو غير مقيد ويتكلم بلهجة مقبولة وسيصحبنا الى قاع جهنم .

فلم يهتز برج حصين من زلزال كما اهتز فيالتى لدى سماعه حديثنا فشعرت حينئذٍ بخوف الموت لم اشعر به مطلقاً من قبل . ولو لم انظر الى السلاسل المتينة المقيد بها لكانت نفسى زهقت حقيقة من الرعب .

انتيو

واصلنا السير فوصلنا قرب انتيو. وكان ظاهراً منه فوق البئر ما يربو على سبعة امتار .

---

(١) — برياريو: ابن اورانو وتيرا (الارض) . جبار ذو مئة يد. امتاز ايضا فى الحرب ضد الالهة فطعنه المشترى .

(٢) — انتيو: ابن نيتونو وتيرا (الارض) . جبار ايضا متجاوز الحد. طوله ستون ذراعا. يقتات من لحم الاسود. وينام على اديم الارض . ومنها يكتسب قوة جديدة فلم يشترك بالحرب ضد المشترى لانه ولد بعدها .

فاسرع فيرجيليو وقال له: انت الذى افترست ما يزيد على الف اسد فى وادى باغراده[١] السعيد. حيث شيبيونى انتصر على انيبال وارغمه على الفرار. وكانت نهاية الحرب البونية الثانية.

انت الذى -كما يظن الكثيرون- لو كنت اشتركت مع اخوانك الجبابرة فى الحرب التى شهروها على المشترى لكنت فزت واياهم بالنصر.

فانحدر بنا الى قاع البئر حيث البرد يجلد مياه كوشيتو. فلا تدعنا نذهب الى تيزيو ولا الى تيفو[٢]. واعلم ان رفيقى هذا يقدر ان يحيى شهرتكم فى الدنيا الاولى الامر الذى ترغبونه كثيراً انتم المحكوم عليكم بالهلاك الابدى. ولذلك كن لطيفاً معنا ولا تبرم فمك احتقاراً امامنا. ورفيقى يمكنه ايضاً ان يذكرك فى عالم الاحياء لكونه حياً. ويامل ان يحيى بعد طويلاً ان لم يستدعه الله قبل الاجل المقرر للحياة البشرية.

---

(١) - فى وادى نهر باغرادا بالقرب من زاما انتصر شيبيونى الرومانى الملقب بالافريقى على انيبال قائد جيوش قرطاجنه. وبحسب ما ورد فى الميتولوجيا ان بهذا الوادى ولد انتيو.

(٢) - تيزيو وتيفو: هما جباران اخراف اشتركا فى الحرب ضد المشترى وهما مقيمان ايضا مع انتيو فى البئر غربى السد.

فلدى سماعه هذا الكلام مد بسرعة تينك اليدين اللتين صارعتا هرقل. وتناول معلمى. اما فيرجيليو فلما حس بالقبض عليه قال لى: التصق بى لاتمكن من امساكك. ثم طوقنى بذراعيه. وكنا الاثنان كمربوطين بحزمة واحدة.

من كان موجوداً عند اسفل برج كاريسندا (Crisenda)[١] من الجهة المنحنية ينظر الى اعلاه حينما تحرك السحب من الجهة المعاكسة فيلوح اليه. ان البرج يميل ويكاد يسقط عليه.

فقد حصل لى نفس التاثير حينما كنت اراقب انحناء انتيو. وشعرت فى تلك الساعة بخوف مريع وفضلت ان اكون اتخذت وسيلة اخرى. ولكن الجبار وضعنا بخفة فى قاع الدائرة حيث يعاقب لوسيفورس (رئيس الابالسة) ويهوذا (الاسخريوطى) ولم يلبث منحنياً بل انتصب كالسارية بعد ان وضعنا.

(١) — كاريسندا: احد برجى بولونيا المشهورين. فهو منحن بقدر مترين و٣٧ سانتيمترا ومرتفع ١٧ مترا و٥١ سانتيمترا. فاذا نظر اليه المرء من اسفل الى اعلاه يشعر كانه يسقط عليه.



النشيد الثاني والثلاثون

توطئة

غب ان وضع الجبار انتيو الشاعرين فى القاع المظلم ابصرا بحيرة مجلدة، فيها يقيم المحكوم عليهم بالعذاب الابدى وتقسم الى اربع دوائر :

١ — قاينية: فيها يتعذب خونة الاقارب.

٢ — انتورية: فيها يتعذب خونة الوطن.

٣ — طولومية: فيها يعاقب خونة الاصدقاء.

٤ — يهوذية: فيها يهلك خونة المحسنين.

ففى الدائرة الاولى يجد الشاعران كاميشونى باتسى. وفى الثانية بوكا أباتى فيتحصل منه دانتى على اخبار الهلكى الباقين. واخيراً يصادفان الكونت اوغولينو ورئيس الاساقفة روجيرى.

ان وطاء هذه البحيرة مصنوع من جليد غاية فى الصلابة ومائل نحو الوسط. والدوائر ليست مقسومة فيما بينها بعلامة منظورة.

(المعرب)

النشيد

قاينية

لو كان لى الفاظ فظة سمجة لاصيغ بها عقد منظومتى بشكل يوافق وصف قاع جهنم المظلم، اليه تنجذب، وفيه ترتكز كافة الدوائر الجهنمية. لكنت اعرب باكمل ايضاح عن زبدة افكارى. ولكن انى لى مثل هذه الالفاظ التى اتوق كثيراً الى الحصول عليها. ومع ذلك فاننى اواصل الوصف بما امكن مع علمى انه ليس من اليسر وصف وسط الجحيم وصفاً دقيقاً باللغة العامية.

ولكننى استغيث بربة الشعر متوسلاً اليها بان تساعد قريحتى كما عاونت انفيونى فى تحصين مدينة تيبه[1] حتى يطابق الوصف الموصوف.

---

(١) – جاء فى الميتولوجيا: ان انيفونى بن المشترى اذ اراد ان يحصن مدينة تيبه بسور عزف على عوده عزفا شجيا حرك عواطف ربة الشعر فارسلت الحجارة لبناء السور من تلقاء ذاته.

فما اتعسكم ايها الهلكى وما اشقاكم انتم الغارزون فى الدائرة التى يصعب وصفها. اما كان الافضل لكم ان تكونوا ولدتم فى الدنيا اغناماً ام معيزاً ؟

بعد ان وصفنا انتيو فى قاع البئر المظلمة. وبلغنا بسيرنا مكاناً اخفض كثيراً مـن قدمى الجبار. لان قاع البئر كان مائلاً نحو الوسط. وبينا كنت انظر الى اعلى السـور الذى انحدرنا منه اذا بصوت طرأ سـمعى قائلاً: انتبه اين تضع قدميك. واجتهد الاّ تدوس رؤوس الاخوان المساكين الاضناء. فالتفت ورأيت امامى وتحت قدمى بحيرة مجلدة برمتها تخال انها من زجاج وليس من ماء.

فلا نهر الطونا فى بلا النمسا ولا الدون (بروسيا) تجلدا مرة بصلابة فى فصول الشتاء القاسـية كما كان متصلباً جليد البحيرة الجهنمية هذه. فلو سـقط عليه جبل التمبرنيخ او جبل بياترابانا لا يتكسر منه شئ حتى ولا من حافته.

وكالضفدعة التى تمكث تنقنق ورأسها خارج الماء فى فصل الصيف الذى كثيراً ما تحلم فيه الفلاحة بجمع السنابل فى الحقول. هكذا الانفس الهالكة المتقززة من البرد كانت غارزة فى الجليد

حتى وجوهها. وتصطك اسنانها فيصدر عنها صوت اشبه بالصوت الذى يصدر عن اللقلق (وهو طائر طويل العنق والرجلين) عند ما يخبط طبقى منقاره على بعضهما.

كانت كل روح مطرقة وتظهر البرد من فمها بضرب اسنانها والحزن بذرف العبرات المتساقطة من ماقيها.

فبعد ان ارسلت نظرة عامة الى ذلك السطح المجلد التفت نحو قدمى فرأيت اثنين ملتصقين. وكان شعر راسيهما مشتبكا معاً. فقلت لهما: ايها الملتصقان. اخفضا عنقيكما وتفرسا فى. فاخذت عيونهما الممتلئة دموعاً تذرف العبرات فتتساقط على شفاههما. ثم تجلد حالاً وتبقى العيون مغمضة.

ان قطعه حديدية لم تثبت قط قطعتى خشب ملتصقتين بهكذا شدة. كما كان الجليد متجمداً على عيون ذينك الهالكين الذين من شدة الغضب تناطحا كتيسين.

ورأيت ايضاً هالكاً آخر كان فقد من البرد اذنيه فقال لى وعيناه منخفضتان: لماذا تحدق الينا طويلاً هكذا؟ فاذا كنت تشأ معرفة منهما ذينك الهالكان فاعلم ان الوادى حيث يجرى نهر

بيسنزيو كان ملكاً لابيهما البرتو[١] وابهما ايضاً. ولدا من ام واحدة وبقدر ما تبحث فى هذه الدائرة المدعوة قاينية لن تجد روحاً اجدر منهما بالقصاص فى هـذا الجليد. فلا روح ذاك الذى مات بطعنة رمح من يد ارتو[٢] خرقت صدره وازالت ظله. ولا فوكاشيا[٣] ولا هذا الذى يضايقنى كثيراً برأسه ويدعى ساسو ماسكرونى[٤]. واذا كنت توسكانياً فلابد ان تعرف من هو. وكى لا تحملنى على زيادة الكلام. اعلم انى كاميشونى باتسى[٥]. انتظر هنا كارلينو[٦]. لان وجوده معى يخفف وطأة وصمة العار الملتصقة بى.

---

(١) — البرتو البرتى كونت مانغونا كان له اثنان اسكندر ونابوليون. الواحد من حزب البيض والثانى من حزب السود. وقبل ان يموت سنة ١٢٥٠ كتب وصيته مخلفا لنابوليون عشر التركة. اما الاخوان فتنازعان على قصور ابيهما التى كانت فى وادى بيسنزيو وقتل بعضهم بعضا.

(٢) — ارتو: احد ملوك انكلترا. قتلا ابنه موردريك كان تآمر عليه. فطعنه ابوه برمح خرق صدره فدخلت فى الجرح اشعة الشمس فازالت ظل الجثة الملقاة على الحضيض.

(٣) — فوكاشيو: من عائلة كنشاليرى دى بستويا الشريفة قتل عمه.

(٤) — ساسو ماسكيرونى: من فيرنزه قتل ابن عمه الوحيد ليرث اباه المتمول

(٥) — كاميشونى باتسي: من والدرنو. خان قريبه اومبرتو باتسى وقتله.

(٦) — كارلينو من حزب البيض. فى سنة ١٣٠٢ خان حزبه لقاء دراهم انتقدها من السود فسلمهم حصن بيانتريونيا (Piantrevigne).

انتينورية

ثم شاهدت نيف والف وجه تقززت من البرد . فشعرت برعشة اشعر بها كل مرة اذكر ذلك الجليد الجهنمى .

وبينا كنا نسير نحو وسط الدائرة حيث كانت الانفس تجتمع طبعاً. كنت ارتجف من الجليد الازلى الكائن فى ذلك القاع. وحدث لى وانا امشى بين الرووس، انى دست وجه احداها، ولا اعلم اذا كان ذلك بمشيئة الهية، ام بقضاء وقدر، ام صدفة. فصاحت بى باكية: لماذا تدوسنى؟ فان لم تكن أتيت خصيصاً لتزيد قصاصى عن خيانتى فى مونتابرتى فلمَ تزعجنى؟

فقلت حالاً لاستاذى: انتظرنى هنا الان حتى ازيل عنى الشك الذى حصل لى من هذا. وبعدئذ عجل بى بقدر ما تشاء.

فتوقف فيرجيليو عن السير وانا عطفت نحو ذاك الذى كان يواصل الشتيمة بغضب وسالته: من انت الذى توبخ الغير بهذا الغضب؟

فاجاب: قل لى بالعكس من انت يا من تسير فى الانتينورية[1]

---

(١) - انتينورية : هنا الشاعران موجودان فى الحلقة الثانية من الدائرة التاسعة. يدعو دانتى هاذه الحلقة انتينورية - اى محل عذاب خونة الوطن - نسبة لانتينورى امير طروياى قد خان وطنه بحسب اعتقاد الشاعر .

دائماً وجه الغير دوسات كادت تكون قوية حتى ولو كانك كنت حياً. فاجبته: انا حى ارزق. فان كنت تريد شهرة فى الدنيا فكن مطمئناً فانى ساذكر اسمك فى منظومتى. فقال: بالعكس انى لا ارغب قط بان اذكر فى الدنيا. لا بل اريد ان اكون نسياً منسياً. فاذهب اذاً ولا تزيدنى انزعاجاً. واعلم ان كلامك المملق لا يصادف قبولاً لدينا نحن الغارزين فى هذا الجليد كما تريد ان تعتقد.

حينئذٍ قبضت على شعره وقلت له: الاوفق لك ان تقول لى ما اسمك والا لن تبقى شعرة واحدة فى رأسك. فاجاب: ولو قلعت شعرى كله لست قائلاً لك من انا. ولو قفزت الف قفزة على رأسى فلن اريك وجهى.

فكان شعره كله ملتفاً على يدى. وكنت نزعت منه اكثر من خصلة وهو مازال يواصل الصراخ بحنق مطرقا حتى لا يمكننى من رؤية وجهه واذا بهالك اخر يصيح: يا بوكا[1] ما بالك؟ الا يكفيك اصطكاك اسنانك من البرد؟ أفلا ترتاح اذا لم تصح؟ اى شيطان يعذبك؟

---

(١) – بوكا اباى: من عائلة فيورنتية قديمة. حارب البيض فى واقعة مونتابرتى سنة ١٢٦٠ وقتل ذراع يعقوب ناكاباتسى حامل علم السود. وعندئذ دب الفشل فى الجيش وتشتت شمله وانكسر شر كسرة.

وعندما عرفت اسمه قلت له: لم اعد اشاء اذاً ان تتكلم ايها الخائن الشرير. فانني ساذكرك فى الدنيا. واخبر عنك الخبر اليقين.

فاجاب: اذهب من هذا المكان واخبر عنى بما تشاء. ولكن متى خرجت لا تنسى ان تذكر من تلفظ باسمى. فهو ينوح هنا على الدراهم التى انتقدها من الفرنسويين ثمناً لخيانته. ويمكنك ان تقول ايضاً: انك وجدت بووزو دويرا[١]. فهو مقيم مع المحكوم عليهم بالعذاب فى الجليد. واذا سئلت عمن موجود هنا ايضاً. فان بجانبك تيسو دى بيكيريا[٢] الذى حز الفيورنتيون حنجرته واظن انه على بعد قليل من هنا يقيم جوانى سولدانيرى[٣] مع غانيلونى[٤] وتيبالديلو[٥] الذى فتح مدينة فاينزا الى اعدائها.

---

(١) — بووزو (Buoso) من كريمونا. من عائلة دويرا (Duera). كان عهد اليه امر المحافظة على الاماكن المتقدمة نحو بارما (Parma) ومعه جيش قوى كى يمنع مرور الفرنسويين الزاحفين عليها بقيادة غويدو مونفرتى. فاشتراه الفرنسويون بالمال ولذلك تركهم يجتازون بسلام.

(٢) — تيسورو دى بيكيريا (Tesauro dei Bieccheria) من بافيا. اباتى وقاصد رسولى فى توسكانا اتهم بمساعدة السود على الرجوع الى فيرنزه بعد خروجهم منها سنة ١٢٥٨ فقبض عليه وشنق.

(٣) — جوانى سولدانيرى (Giovanni Soldanieri) من فيرنزه ومن حزب البيض وضعه دانتى هنا لانه خان حزبه.

(٤) — غانيلونى (Ganellone) خان الامبراطور شارلمان ولذلك قتل العرب ثلاثين الف من جنوده.

(٥) — تيبالديلو (Tebaldello) من فاينزا خان مدينته ففتح ابوابها ليلا فدخلها البولونيون.

الكونت اوغولينو

(Il Conte Ugolino)

فعب ان تركنا بوكا وجدت هالكين مجلدين فى حفرة واحدة رأس الواحد فوق رأس الاخر كما لو كان احدهما قبعة للثانى.

وكالجائع الذى يقرض الخبز بشراهة هكذا كان الاعلى يعض قحف الاسفل فى النقطة حيث يتصل الدماغ بالنقرة والاقسام الاخرى من ذلك الرأس. كما قرض تيديو[١] صداغ ميناليبو غضباً.

ولدى رؤيتى هذا المشهد المريع قلت. انت يامن تسكن غضبك بهذا الشكل الوحشى نحو ذاك الذى تأكله قل لى لماذا تفعل ذلك؟ وقل لى ايضاً فيما اذا كنت مصيباً حقيقة بغضبك هذا

فاذا عرفت من انتما وما هو الذنب الذى ارتكبه نحوك. فانى اكافئك على جوابك متى عدت الى الدنيا لان الموت لم ييبس بعد لسانى.

---

(١) — تيديو (Tideo) ابن ملك خالقدونيا قتل ميناليبو (Menalippo) اثناء هجومه على تيبه وجرح جرحا خطيرا ورغم ذلك طلب ان يأتوه بجمجمة عدوه، وحينما رآها اخذ يقرضها غضبا.

النشيد الثالث والثلاثون

توطئة

يرفع الخاطئ فمه ويتكلم. هو الكونت اوغولينو. يقص حكاية موته القاسي. ثم يعود فيعض جمجمة رئيس الاساقفة روجيرى .

اما الشاعران فيواصلان سيرهما ويدخلان الدائرة الثالثة اى الطولومية حيث الخائنون مرتمون على الجليد وليس لهم العزاء بالبكاء لان العبرات التى يذرفونها اولاً تتجلد حال سقوطها من المآقى. والتى تاتى بعدها تبقى داخلاً فتزيد المهم.

يتكلم الراهب البريكو عن نفسه وعن غيره من المتعذبين ويقول ان ارواح الخونة تتدهور فى جهنم حال ارتكابهم الخيانة. بينما ابليس يتسلط على اجسادهم الى ان تحل اجالهم.

وهذا الهالك يطلب الى دانتى ان يرفع الجليد عن عينيه ولكن الشاعر لا يجيب طلبه احتراماً للعدل الالهى. (المعرب)

النشيد

الكونت اوغولينو

رفع الخاطئ فمه من عن الطعام الهائل الذى كان ياكله ومسحه بشعر الرأس الذى كان يقرضه من وراء وقال منعطفاً نحوى: انت تريد ان اجدد الالم الاليم، الذى بمجرد تفكرى به اشعر بضغط على قلبى، فكيف يحل بى اذا تكلمت عنه. ولكن اذا شرحت لك السبب الذى من اجله اقرض بقساوة هذا الرأس. فان كلامى يلحق بهذا الخاطئ اعظم فضيحة، ويجعلك ان ترانى اتكلم وابكى بوقت واحد.

انا لست اعلم من انت. ولماذا اتيت الى هنا اسفل. ويخال الىَّ انك فيورنتيني (اى من فيرنزه). فيجب ان تعلم اننى الكونت اوغولينو[١]. وهذا هو رئيس الاساقفة روجيرى (Ruggeri) [٢].

(١) — الكونت اوغولينو من اشراف مدينة بيزا (Pisa) وواليها. فحباً بالانتقام منه اتفق رئيس الاساقفة روجيرى (Ruggeri) مع عائلات غوالاندى (Gualandi) وسيسموندى (Sismondi) ولافرانكى (Lafranchi) القويات. فاثاروا عليه الشعب متهمينه بانه باع سراً بعض الحصون من الفيورنتيين. فاعتقلوه مع ولديه غادو (Gaddo) واوغوشيونى (Uguccione) وحفيديه انسلموتشيو (Anselmuccio) وبريغاتا (Brigata) فى برج الغولانديين حيث هلكوا جوعا

(٢) — روجيرى اوبالدينى (Ruggeri degli Ubaldini) رئيس اساقفة بيزا توفى سنة ١٢٩٥

والان اخبرك سبب وجودى الى جنبه على هاته الصورة. انه لقد خانني رغم ثقتي التامة فيه ولذلك القى القبض عليّ ومت كما تكون عرفت. ولكن لا يمكنك ان تكون اطلعت على كيفية موتي القاسية. فساقص عليك الخبر وحينئذٍ تعلم فيما اذا كان اساء الي ام لم يسئ:

فمن نافذة سجني الذي يدعونه اليوم «برج الجوع»، نسبة لموتي فيه واولادي جوعاً، حيث يسجن كثيرون اخرون. كثيراً ما كنت رأيت بزوغ القمر وغيابه. وهذا ما كان ينبئني بمرور اشهر عديدة على وجودي فيه حينما حلمت حلما سيئاً دلني على كيفية موتي الاليمة.

رأيت في الحلم رئيس الاساقفة روجيري بصفته رئيساً وحاكماً يطارد الذئب واجريته نحو الجبل الفاصل بين املاك مدينتي لوكا (Lucca) وبيزا (Pisa) فيمنع شعب كل منهما عن رؤية الاخر. بواسطة كلبات جائعات متدربات خفيفات وهن: عائلات غوالاندي وسيسموندي ولافرانكي. وهو واقف في الطليعة يدفعهن الى الامام. وبان لي ان الاب والابناء (الذئب واجريته)، بعد مطاردة قصيرة، سقطوا ضنكاً من التعب والكلبات تنهشهم وتمزق لحومهم».

فحينما استيقظت قبل بزوغ الفجر سمعت ابنائى المسجونين معى يبكون وهم يحلمون طالبين خبزاً .

فان لم تتأثر منذ الان وتفكر بما كان يشعر به فؤادى من التشاؤم فتكون قاسى القلب صلب الفؤاد. وان لم يبكك هذا الامر. فاى شئ ياترى يمكنه ان يبكيك عادةً ؟.

كان ابنائى استيقظوا ايضاً وكانت دنت الساعة التى فيها يحضر السجان الطعام عادةً. وحيث كانوا قد رأوا الرؤيا نفسها، فكل واحد منا كان يتشائم بما عساه ان يحل بنا.

وفيما نحن على هاته الحالة واذا بصوت فتح باب البرج الهائل طرأ سمعى فارسلت نظرة الى وجوه الاولاد دون ان انبس ببنت شفة. ولم اكن ابكى لان الدموع كانت تحجرت داخل المآقى من هذا الامر.

اما هم فكانوا ينتحبون وانسلموتشيو المسكين قال لى: مالك يا ابت تحدق الينا بهذا الشكل؟. مع ذلك لم تسقط دمعة من عينى ولم اجب. ولم انطق بكلمة طيلة ذلك اليوم وليله حتى فجر الصباح الثانى. ولما سطع شعاع الشمس فى السجن المؤلم لاحظت فى وجوه

الاولاد الاربعة المتغيرة منظر وجهي فعضضت يدي الماً وحنقاً . فظنوا ان الجوع حملني على اكلها . وانتصبوا حالاً على اقدامهم وصاحوا: يا ابانا . لو كنت تأكل من لحمنا يخف المنا كثيراً. فانت الذي اعطيتنا هذا اللحم التعس وانت جرده منا .
حينئذٍ سكنت حتى لا ازيدهم الماً . ولم يعد يتكلم احد منا طيلة ذلك اليوم واليوم التالي.

آه ايتها الارض القاسية التي لم تشفق عليّ. فلما لا تنشقين وتبتلعيني حتى لا اشاهد استشهاد ابنائي الهائل!

ولما بلغنا اليوم الرابع -ونحن صيام- ارتمى غادّو على صدري وتمدد امام قدمي قائلاً: لماذا لا تعينني يا ابت؟ واسلم الروح

وكما انك تشاهدني الان فقد ابصرت في اليومين الخامس والسادس اولادي الثلاثة الاخرين سقطوا امامي جثثاً باردة. فافقدني الحزن بصري . واخذت اتلمس كلاً منهم. وواصلت استدعاءهم يومين آخرين بعد وفاتهم. وقد فعل بي الصوم مالم يقدر ان يفعله السجن: فازهق روحي» .

قال هذا ونظر عن عرض حنقاً. وعاد لقرض جمجمة روجيري وكانت اسنانه تفعل بالعظم بقوة انياب الكلب.

طعن في بيزا

آه يا بيزا ! يا بيزا ! يا وصمة عار على شعوب البلد الجميل (ايطاليا) حيث ينطق بكلمة (سي) نعم.

وحيث كان جيرانك قد ابطأوا بقصاصك على قساوتك الهائلة هذه فلتتحرك كابريا وغورغونا[١] وتسدا مصب نهر الارنو حتى يفيض ويغرق كل شخص من بنيك.

فاذا قالوا ان الكونت اوغولينو قد خانك ببيعه حصونك من الفيورنتيين . فما كان من الواجب ان تحكمي على بنيه بهذا العقاب الهائل. بل كان عليك ايتها المدينة التي مزقتها المنازعات الداخلية كمدينة تبه[٢] ان تفكري بان حداثة سن اوغوشيوني وبريغاتا والاثنين الاخرين المذكورين انفاً كانت بينة ساطعة على براءتهم .

---

(١) – بيزا (Pisa) مدينة مشيدة على نهر ارنو. وعند مصبه جزيرتان صغيرتان كابرايا (Ca praia) وغورغونا (Gorgona) قائمتان في بحر تيرينو (Tireno). كان الشاعر يريد ان تحرك هاتان الجزيرتان وتسدا مصب النهر فيفيض ويغرق كافة اهالي بيزا .

(٢) – تبه : مدينة قديمة يونانية واليوم تدعى (Tira) . حاضرة بويتيا(Boesia) كان سكانها الاولون متوحشين فابادو بعضهم بعضا في الحروب الاهلية .

الطولومية

واصلنا السير نحو دائرة اخرى، فيها يحيط الجليد بالهالكى بشكل يزيدهم آلاماً. ولم تكن وجوههم موجهة الى اسفل بل بالعكس كانوا متمددين على ظهورهم. ففى هذه الدائرة لا يسمح البكاء نفسه بذرف الدموع. فان العبرات تجد حاجزاً لدى خروجها من المآقى وتعود الى الوراء فتزيد الالم. فالاولى منها تتجلد عند سقوطها. وتجمد فتصبح كعدسيات بلورية تملأ حفرتى العينين. ومع كون وجهى قد فقد من البرد كل حاسة كما لو كان مكنباً. وكان يخال الىّ انى اشعر بهبوب ريح. لذلك سألت استاذى: اليس كل شئ يخال انه ساكن فى اسفل الجحيم هذا ؟.

فاجابنى : قريباً نصل حيث يمكنك ان ترى بام عينك سبب هذه الريح. وفيما نحن نتكلم واذا بهالك صاح قائلاً : ايتها الروح القاسية حيث محكوم عليك بالهلاك فى الدائرة الاخيرة من جهنم انزعى عن وجهى هذه الدموع المجلدة حتى أتمكن من ان اتنفس الصعداء قليلاً ، اى قبل ان تتجلد الدموع الجديدة . فاجبته: ان كنت تشأ ان اعينك قل لى اولاً من انت. فلاسقطن فى قاع هذا الجليد ان لم احل جفونك.

وهو = انا الراهب البريغو[1] ذلك الذى قتل اعداءه عند تقديم الفاكهة. وهنا اتعذب قصاصاً على خيانتى.

وانا = كيف ذا - هل مت انت ؟

وهو = انى لست اعلم كيف ان جسدى لا زال مقيما فى عالم الاحياء. ان لهذه الدائرة المدعوة طولومية[2] امتيازاً. فكثيراً ما تسقط فيها النفس قبل ان يموت الجسد. وكى تنزع بطيبة خاطر الدموع المتجلدة عن عينى اخبرك انه عندما يرتكب المرء خيانة تحاكى خيانتى هذه. يدخل ابليس فى جسده ويتسلط عليه الى ان ياتى اجله غير ان نفسه الخائنة تسقط فى هذه البئر الجهنمية. وربما بقى ظاهراً فى الدنيا بين الاحياء جسد هذه النفس المتجلدة ورائى هنا فانت الاتى الى الجحيم عليك ان تعلم اذا كان لم يزل حياً.

---

(١) - البريغو منفردى من فاينزا من رهبانية المتمتعين اذ اراد يوما الانتقام من عدوين له احتال عليهما بمصالحتهما. ثم دعاهما الى وليمة وعند تناول الفاكهة امر بقتلهما خدعة.

(٢) - طولومية: تدعى طولومية هذه الدائرة نسبة الى طولوميو (بطليموس) والى اريحا فانه دعى يوما الحبر سمعان الميكابى الى وليمة ومعه ولداه متاتيا ويهوذا وعند نهايتها امر بتقطيعهم اربا اربا.

فهو برنكا دوريا[1]. وقد مرت اعوام على هلاك نفسه هنا.

وانا = اظن بانك تخدعنى لان برنكا دوريا ما زال حياً ياكل ويشرب ويرقد ويكتسى.

وهو = لم يكن ميخائيل زانكى قد وصل الى حفرة مالبرانكه حيث يفور القير (النشيد الثانى والعشرون) بينما فى جسد برانكا دوريا وقريب له شريكه فى الخيانة كان دخل ابليس.

فالان مد يدك الى وافتح عينى»

اما انا فلم افتحهما. وكان رفضى هذا لطفاً منى اليه واحتراماً للعدل الالهى الذى انزل بذلك الخاطئ العقاب الذى استحقه.

آه. ايها الجنويون (اهالى جنوا) البعيدون عن كل عادة شريفة. والمنغمسون فى كل رذيلة. فلماذا لم تذهبوا ايدى سبا فى العالم؟.

لقد وجدت مع اردأ نفس فى رومانيا روح احدكم متجمدة فى جليد كوشيتو بينما جسده لازال حيا فى الدنيا.

---

(١) - برنكا دوريا من جنوى. كان صهر السيد لوغودورو وميخائيل زانكى. اذ اراد الاستيلاء على حصن لوغودورو دعا حماه الى وليمة وامر بقتله مع رفقائه. مات سنة ١٣٢٥ اى بعد مرور سنوات عديدة على اقترافه الجريمة.

النشيد الرابع والثلاثون

توطئة

يدخل دانتى وفيرجيليو الدائرة الاخيرة من الجحيم، المدعوة «يهوذية»، المعدة لعذاب خونة الاحسان. فيها يتعذب الخطأة فى الجليد. وفى وسطها يقيم لوسيفوروس رئيس الابالسة، له ثلاثة وجوه، عاضاً بكل فم من إفواهه الثلاثة هالكا من الثلثة الآتين: يهوذا، وبروتوس. وكاسيوس. يحمل فيرجيليو دانتى على كتفيه ويتمسك بشعر ساقى لوسيفوروس الذى يقل الشاعرين ويضعهما خارج اليهوذية من كوة كائنة فى الصخرة.

يتمكن الشاعران، وهما يجتازان ممراً ضيقاً، من الخروج الى الفضاء ويعودان الى رؤية الكواكب.

(المعرب)

النشيد

اليهوذية

قال لى استاذى: الان تظهر لنا اعلام ملك الجحيم. ولذلك انظر امامك اذا كنت تستطيع ان تميز الاشياء. اما انا فكنت كمن يشاهد طاحونة ريح تتحرك من بعد عندما يظلل نصف كرتنا ضباب كثيف، ام يخيم ظلام المساء البهيم فيحجب الفضاء. وخيل الىّ ان. ارى آلة تحاكى تلك الطاحونة فتتحرك مثلها. فخفت من شدة الريح وانزويت وراء استاذى لعدم وجود ملجأ آخر.

لقد كنت وصلت الى اليهوذية[١]. فاصفها الان والخوف آخذ منى ماخذه. ففيها الانفس مغطاة كلها بالجليد. وكانت تبان من تحته كما يظهر القش من تحت الزجاج الشفاف. بعض منها متمدد وبعضها منتصب والاخر منكس وبالعكس. وغيرها مقوس الظهر ووجهه نحو قدميه.

---

(١) – اليهوذية: آخر دائرة فى الجحيم تحوى خونة الاحسان ودعيت يهوذية نسبة ليهوذا الاسخريوطى خائن معلمه يسوع المسيح.

لوسيفوروس

وحينما تقدمنا كثيراً احب استاذى ان يرينى المخلوق الذى كان قبلاً ذا جمال باهر. فانسحب على حدة واوقفنى قائلاً: ها هو ديته[١]. وهاك المكان الذى تحتاج فيه الى زيادة رابطة جاش من كل مكان آخر».

لاتسلنى ايها القارئ كيف تجلد الدم فى عروق. وارتبط لسانى فى حلق خوفا ورعبة. فاننى لا اصف لك ذلك، حيث لا كلام يفى بالاعراب عن الحالة التى كنت عليها. فلم امت ولم ابق حياً. فتصور اذا كان لك مسحة من العقل كيف كنت بين الموت والحياة.

كان ملك تلك المملكة المؤلمة (لوسيفوروس) خارجاً عن الجليد من صدره الى ما اعلى. فكما لا توجد نسبة بينى وبين احد الجبابرة. هكذا لا نسبة بين الجبابرة وبين ذراعى لوسيفوروس وحدهما. فاذاً يمكنك ايها القارئ ان تتصور كم كان جسده كبيراً بالنسبة الى ذراعيه. فاذا كان قبلاً جميل الصورة بقدر ماهو قبيحها الان وعصى خالقه فيكون بلا شك مصدراً لكافة الشرور.

(١) - ديته: هو لقب وضعه دانتى الى لوسيفوروس رئيس الابالسة.

آه كم انى دهشت حينما رأيت رأسه ذا ثلاثة وجوه: الواحد من امام، قرمزى اللون (رمز الغضب)، والاثنان الاخران من عن الجانبين، مرتكز كل منهما فوق كتف، والثلاثة متصلة ببعضها بعضاً من خلف الرأس. اما الوجه الايمن فلونه ابيض ضارب الى اصفرار (رمز العجز) والايسر لونه اسود (رمز الجهل) كلون اولئك الذين يأتون من حيث يهبط النيل (اتيوبيا). وتحت كل منها جناحان ضخمان بنسبة ضخامة جسده.

فلم أر اشرعة سفينة كبيرة كتلك الاجنحة الجرداء، جلدها رقيق كجلد جناحى الخفاش وبالهيئة نفسها. فكان يحركها فتتحرك بها ثلاث رياح فتجلد مياه كوشيتو[1] بكاملها.

وكان لوسيفوروس يبكى غضباً وقهراً من عيونه الست. والدموع تتساقط على خدوده فتمتزج بالزبد الدامى الذى كان يقطر من اذقانه الثلاثة.

ففى كل فم من افواهه الضخمة اسنان تحاكى كل منها المدقة. فكان يسحق بها خاطئاً. وهكذا كان يعذب ثلاثة خطاة فى وقت

(١) — سبق ذكره فى النشيد الرابع عشر.

واحد. وكانت عضاته للخاطئ المتملق بالفم الامامى لا شئ بالنسبة الى الخدوش التى كثيراً ما كان يحدثها فى ظهره مغرزاً فيه اظفاره فيمزق جسده .

فقال لى فيرجيليو : ان الروح التى تراها تتعذب بشدة انما هى روح يهوذا الاسخريوطى[١]. فكان رأسه داخلاً باحد افواه لوسيفوروس. وساقاه تتحركان خارجاً. اما النفسان الاخريان اللتان كان رأساهما مسترسلين من فمى لوسيفوروس. فالمسترسلة من فم الوجه الاسود انما هى روح بروتوس[٢]. فانظر اليها كيف انها تتبرم كلها ولا تنطق ببنت شفة. والاخرى الظاهرة انها مبتلية بداء المفاصل هى نفس كاسيوس[٣]. ولكن قد بدأ الليل فعلينا ان نرحل لاننا اتممنا زيارة الجحيم .

---

(١) – يهوذا الاسخريوطى: احد تلاميذ السيد يسوع المسيح (عيسى بن مريم). خان معلمه لقاء ثلاثين من الفضة.

(٢) – بروتوس: ربيب يوليوس قيصر خانه واشترك بقتله (راجع ذلك فى تحفة الجنان فى مختصر تاريخ الطليان للمعرب)

(٣) – كاسيو (Casio) خائن آخر ليوليوس قيصر وشريك باغتياله.

الخروج من الجحيم

وبناء على طلب فيرجيليو، تعلقت بعنقه، وهو انتظر الزمان والمكان المناسبين ليتعلق بلوسيفوروس. فلما بسط هذا جناحيه. تمسك استاذى بشعره النابت فى جنبيه. واخذ ينقل يديه من خصلة الى اخرى نزولاً حتى وصل الى ما بين الشعر الكثيف والرصفتين المجلدتين. وعندما بلغنا مركز اتصال الفخذ لفت فيرجيليو رأسه بتعب وشدة الى حيثما كانت ساقاه - اى تقوس- فتمسك بشعر ساق لوسيفوروس فظننت اننا نعود الى الجحيم. فقال لى وهو يلهث كالرجل التعب: تمسك جيداً بعنقى فعلينا ان نتخذ مثل هذه السلالم لنتمكن من الابتعاد عن المكان المملوء شروراً شتى.

ثم خرج من كوة صغيرة كائنة فى صخرة واجلسنى على حافتها ووثب بخفة فاصبح بجانبى. فرفعت بصرى ظناً منى ان ارى ايضاً لوسيفوروس منتصباً امامى كما كنت تركته. بيد انى نظرته رافعاً ساقيه مكوساً فاضطربت اضطراباً لا اعلم كيف اشرح سببه. فليتصور ذلك اولئك الجهلاء الذين لا يفهمون كيف انى بعد ان اجتزت وسط الارض كنت مساقاً الى الصعود وليس الى الهبوط.

اما استاذى فقال لى: قم وانتصب على قدميك. فالطريق طويلة والسفر شاق. وقد مضى على شروق الشمس ساعتان ونصف ساعة، وليس بالامكان السير كما لو كنا فى قاعة فسيحة كائنة فى قصر. بل ان امامنا كهفاً طبيعياً ضيقاً. وطأه وعر والنور فيه ضئيل.

وحالما نهضت على قدمى قلت: تحدث الىَّ قليلاً ايها الاستاذ قبل ان نغادر قاع جهنم وازل عنى الخطا الذى وقعت فيه. وقل لى اين هو الجليد؟ ولماذا تكوس لوسيفوروس. وكيف انتقلنا حالاً من المساء الى الصباح؟

فاجاب: «انت تتصور انك مازلت فى المنطقة الشمالية بعيداً عن وسط الارض حيث تعلقت انا بشعر المخلوق الشرير الذى يجتاز البسيطة من جهة الى اخرى وهو مقيم بنصفه فى وسطها. فانت كنت هنالك حينما انحدرت اليك وعندما لفت لاشرع بالصعود. حينئذٍ انت اجتزت وسط الارض اليه تجذب كافة الاثقال من كل حدب.

اما الان فقد وصلت الى داخل الارض، فى المنطقة الجنوبية، المقابلة للمنطقة الشمالية، المغطاة بالارض. التى على سطحها

وفى وسطها قائم جبل اورشليم حيث صلب ذاك الذى ولد ومات بلا خطيئة . وهو الاله الانسان (يسوع المسيح).

انت الان فى بقعة صغيرة مستديرة تجاه البقعة الكائنة فيها «اليهوذية، فى نصف الكرة الارضية الآخر. فعندما يكون هنا صباحا يكون هناك مساء. والذى استخدمناه سلماً للصعود متمسكين بشعره لم يزل غارزاً فى الجليد كيفما كان قبلاً. فمن هذه الناحية عينها سقط من السماء الى اسفل، والارض التى كانت ظاهرة قبلا انسحبت خوفا منه وتوارت فى البحر، واتحدت بنصف كرتنا . وقد يكون، عند فراره، فتح هذه الكوة وخرج منها وتركها مفتوحة وذهب ليكون جبل المطهر القائم فى نصف الكرة هذا».

اما مرشدى وانا فسرنا فى مجرى ذلك الجدول الذى لا يرى لنخرج من الظلمة الى العالم المنير بدون ان نهتم باخذ قليل من الراحة، وصعدنا: هو الاول. وانا الثانى. حتى انى رأيت من كوة مستديرة اشياء جميلة كانت تشاهد فى السماء. ومن ثم خرجنا لنتمتع ثانية برؤية الكواكب.

ان المكان الذى كنا فيه لهو عبارة عن قعر حفره بعلزبو[1]

---

(١) - بعلزبو: اسم اخر للوسيفوروس رئيس الابالسة وملك الجحيم .

وهو يمتد من وسط المنطقة الشمالية الى المنطقة الجنوبية التى يدل على وجودها جدول غير منظور، بل يسمع خرير مياهه. فتخرج من ثغرة كائنة فى صخر خرقها بمجرد انحدارها فى القعر جارية فى مجرى غاية فى الضيق وقليل الانحناء»

انتهى

الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وهو:

المطهر

تنبيه واعتذار

لقد وقع سهواً بعض اغلاط مطبعية طفيفة لا تخفى على القارئ اللبيب معرفتها. وكنا نرغب فى ان نقيد بعض الكلمات بالحركات تسهيلا لقراءتها ودفعا للالتباس فى فهم معناها ولكن عدم وجود الشكل لهذا الجسم من الحروف فى المطبعة حال دون تحقيق الرغبة فاقتضى التنبيه راجين من القراء عذراً.

المعرب

٢٩٦

فهرس

P298

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

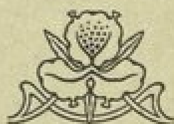
لفت نظر

(ولو بعد حين)

الفت نظر القارئ الكريم الى خطأ وقع سهواً فى ترتيب الصفحتين الاخيرتين من الجزء الاول «الجحيم» (٢٩٥ — ٢٩٦). فالقطعة التى تبدأ فى السطر الحادى عشر من الصفحة ال ٢٩٥ «اما مرشدى وانا الخ .... وتنتهى «برؤية الكواكب» يجب ان تكون خاتمة الكتاب فتتقدمها التى ما بعدها.

واذا انتبه القارئ الى كل جزء من اجزاء الرحلة الثلاثة فيرى ان الشاعر قد ختمه بلفظة «الكواكب» وهى، وايم الحق، بلاغة شعرية لا مثيل لها .

(المعرب)



مؤلفات المعرب

مطبوعة

١ – «الطالب اللبناني»: كتاب ايطالي عربي لتعليم القراءة الايطالية لابناء اللغة العربية. مصادق عليه من وزارة خارجية ايطاليا ومستعمل في المدارس الملكية الايطالية في الاقطار الخارجية. طبعة اولى وثانية: ١٨٩٦ – ١٩٠٦ (المطبعة الكاثوليكية) بيروت. مطبعة النصير لبنان.

٢ – «المجموعة الادبية لتعليم القراءة العربية» ثلاثة اجزاء مقيدة كلماتها بالحركات الكاملة ومصورة. طبعة اولى وثانية ١٩٠٥–١٩٠٨ مطبعة النصير – لبنان

٣ – «كتاب للصلوة» بحسب الطقس الماروني. ١٩٠٧. مطبعة النصير – لبنان

٤ – «النصير» جريدة لبنانية يومية واسبوعية. سياسية وادبية. ١٩٠١-١٩١٤

غير مطبوعة

١ – «ترجمة ايطالية لرسالة ابي زيد القيرواني» في الفقه الاسلامي. المذهب المالكي

٢ – «تحفة الجنان في مختصر تاريخ الطليان». من الخليقة الى ايامنا هذه مصورة

٣ – «غراماطيق» ايطالي عربي لتعليم اللغة الايطالية لابناء العربية.

٤ – «الاسلام»: كراسة ايطالية تحوي قواعد اساسية في الفقه الاسلامي حسب المذاهب الاربعة

٥ – تعريب مطهر دانتي اليغيري

٦ – « نعيم « «

Opere del Traduttore

Pubblicate

1. - « *Lo studente Libanese* »: testo italo-arabo per imparare a leggere l'italiano, ad uso della gioventù araba, approvato dal R. Ministero degli Esteri ed adottato nelle RR. Scuole italiane all'estero. — Edizione 1ª e 2ª - 1896-1906 — Imprimerie Catholique, Beyrouth - e Tipografia « an-Nassir », Libano.
2. - «Serie di libri di lettura araba accentata», 1°, 2° e 3° illustrati - 1ª e 2ª ediz. 1905-1908 — Tipografia «an-Nassir» - Libano.
3. - «Libro di preghiera» - rito maronita (arabo), 1909 - Tipografia «an-Nassir» - Libano.
4. - «an-Nassir: periodico libanese quotidiano e ebdomadario, politico e letterario - 1901-1914 - Beirut, Libano. Tip. propria.

Non pubblicate

1. - Versione italiana del Messaggio di al Imam ibn Abi Zaid al-Qairauani: diritto islamico - rito malechita.
2. - Compendio della storia d'Italia dalla creazione ai giorni nostri, illustrato (arabo).
3. - Grammatica italo-araba, per imparare la lingua italiana, ad uso della gioventù araba.
4. - «L'Islm»: nozioni fondamentali del diritto islamico, secondo le quattro scuole (italiano).
5. - «Purgatorio» - Dante Alighieri - vensione in prosa araba.
6. - «Paradiso» - Dante Alighieri - versione in prosa araba.

CAV. PROF. ABBUD ABI RASCID BEY

La Divina Commedia

DI

DANTE ALIGHIERI

VERSIONE IN PROSA ARABA

INFERNO

1930 - A. VIII E. F.
« Tipolit. Scuola Arti e Mestieri » di P. Maggi
Tripoli



IL TRADUTTORE المعرب

